إذ المراد في الأربعين ولكن له دون ما يروى حيا ولا ميتا
فدعه ولا تنفس عليه الذي مضى وإن جر أسباب الحمد له

كتاب مجموع

الذريعة إلى مكارم الشريعة

صنفه الشيخ الإمام الأوحد
العالم أبو القاسم الحسين بن محمد
بن المفضل الراغب
الأصبهاني رحمه الله وعفى عنه

أبو القاسم هذا هو صاحب
كتاب مفردات ألفاظ
القرآن

وهذا كتاب رسالة وتفضيل الشائين
وتحصيل السعادتين

رحمه الله عليه هذا الكتاب

ذكر الترمذي في كتابه نوادر الأصول مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا نزع أحدكم في النوم فليقل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه
وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين أن يحضرون فكان
عبد الله بن عمر رضي الله عنه يعلمها من بلغ من أولاده ومن لم يبلغ كتبها في
صك ثم علقها في عنقه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال
لدغت رجلا عقرب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أما لو قلت حين أمسيت
أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك
شيء حتى تصبح

Süleymaniye U Kütüphanesi
Kısmı
Yeni Kayıt No
Eski Kayıt No 1410

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نسال الله بجوده الذى هو سبب الوجود نورا يهدينا الى الاقبال عليه وسبيلا الى الاصغاء اليه ويدنينا على حسن معاملته والقوة على النفاذ فى طاعته وان يجعلنا من جملة من ضمن ان يحرسهم عن خايلة الشيطان حيث قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وجعلهم المشيطان مثنوية السبين حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الشيخ الامام ابو القسم الراغب رحمه الله كنت قد اشرت فيما امليه من كتاب تحقيق البيان فى تاويل القران الى الفرق بين احكام الشريعة ومكارمها وان الكلم الطيفة هى اسم لما لا يتحاشى من وصف البارى تعالى باكثرها نحو الحكمة والجود والحلم والعفو وان كان وصفه تعالى بذلك على حد اشرف مما يوصف به البشر وان الاحكام تتناول ذلك والعبادات وانه باكتساب المكرمة يستحق الانسان ان يوصف بكونه خليفة الله المعنى بقوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة وبقوله تعالى ويستخلفكم فى الارض وبقوله تعالى وهو الذى جعلكم خلايف الارض واشرف ان خلافة الله عز وجل لا تصح الا بطهارة النفس كما لا تصح اشرف العبادات الا بطهارة الجسم وقد استخرت الله الان وعملت فى ذلك كتابا يكون ذريعة الى مكارم الشريعة ويلتئت كيف يصل الانسان الى منزلة العبودية التى جعلها الله شرفا للاتقيا وكيف

يترقى عنها اذا وصلها الى منزلة الخلافة التى جعلها الله شرفا للصديقين والشهدا فبالجمع بين احكام الشرع ومكارمه علما وابرازا عملا يكتسب الغلى ويتم التقوى وتبلغ الجنة المأوى ورغبنى ايها الاخ الفاضل وفقك الله لرشدك واعاذك من شر نفسك فى تصنيفه ما رايت من تشوفك بان ترتين ما وليه الله من حسن خلقك وخلقك بما تتولاه من تحسين لابك والكمال مروءتك فما احسدك ان تحمل وراءك بيت الصحيح الترابى حتى تضاف الى ترجا يطيب معا نورا وحملا وطاب العود والورق فما اقبح بالمرء ان يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه جنة يعمرها بوم وصرمة تحرسها ذيب كما قال حكيم جاهل صبيح الوجه اما البيت فحسن واما ساكنه فوذى وان يكون باعتباره بكثرة ماله وحسن اثاثه ثورا عليه خلى فقد سمى بعض الحكما الاغنيا بيوسا صوفها در وخمر اجلالها حبر ودخل حكيم على رجل فراى دارا منجدة وفرشا مبسوطة وراى صاحبها خلوا من الفضيلة فبزق فى وجهه فقال له ما هذا السفه ايها الحكيم فقال ما هذا حكمة ان البصاق ليرمى به اخس مكان فى الدار ولم ار فى دارك اخس منك فنبهه بذلك على دناة الجهل وان قبحه لا يزول باد خار الاثاث فكن ايها الاخ عالما وبعلمك عاملا تكن من اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واحذر الشيطان ان يسبيك ويغريك باعراض الدنيا وزخارفها فيجعلك من اولياءه وتحرفك بوساوسه كما قال عز وجل

اتماذ لكم الشيطان يخوف اولياءه واعلم انه قبيح بذى العقل ان يكون
بهيمه وقد لعكنه ان يكون انسانا او انسانا وقد لعكنه ان يكون ملكا وان يرضى
بقنيه معارة وحيوة مستردة ولو ان يتخذ قنية مخلدة وحيوة موبده

فلم ير فى عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

وان اردت ان تعرف بقا العلما الاتقيا فاعتبر ما قاله امير المومنين رض الله عنه
مات خزان الاموال وهم احيا والعلما باقون ما بقى الدهر اعيانهم مفقوده
وآثارهم فى القلوب موجوده وان اردت ان تشاهدهم فى الجنه يتنعمون فاستفد
حال حارثه حيث قال للنبى صلى الله عليه اصبحت مومنا حقا فقال
عليه السلام لكل حق حقيقه فما حقيقه ايمانك فقال فى جمله جوابه وكانى
انظر الى اهل الجنه يتزاورون فصدقه عليه السلام وقال له عرفت فالزم
ولا تخد عنك عن ذلك واداكه الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا
وهم بالاخره هم كافرون فقد وصفهم الله بالصم والعمى اذ قال تعالى
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ثم ذمهم بقوله اولئك الذين
خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ثم فرق بينهم وبين من ضادهم
فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا
تذكرون فاخبر تعالى انهم لا يسمعون ولا يبصرون لفقدان سمع القلب
وبصيرته اللذين هما مناط حقايق المسموعات والمبصرات

طلب

ذكر الفصول وانواعها

الفصل الاول فى احوال الانسان وقواه وفضيلته واخلا

مثل اهل الدنيا وما شحواله ∴ ماهيته الانسان وكيفيه تركيبه تعاون
القوى الروحانيه وكيفيه ادراكها ∴ بيان فضيله الانسان على سايير
الحيوان ∴ بيان ما به يفضل الانسان ∴ كون الانسان بين الملك والبهيمه
∴ ما لاجله اوجد الانسان ∴ السياسه التى يستحق بها خلافة الله ∴ الفرق
بين مكارم الشريعه وبين العباده وعماره الارض ∴ كون طهاره النفس شرطا
فى صحه خلافه الله وكمال عبادته ∴ فيما يفزع اليه فى طهاره النفس
∴ بيان منازعه الهوى العقل ∴ الفرق بين ما يشبه به العقل وما يسومه
الهوى ∴ فى ذكر الخاطر الذى يعرض من جهه العقل ∴ حصول الخلق
المحمود بطهاره النفس ∴ الفرق بين الخلق والسجيه والطبع والعاده
والهوى ∴ امكان تغيير الخلق ∴ صعوبه اصلاح القوه الشهويه وما
فيها من المنفعه والمضره ∴ ازدياد الانسان فى الفضايل والرذايل
بتعاطيها ∴ الفرق بين ما يحمد ويذم من التخلق ∴ سبب اختلاف
الناس ∴ وجوب اكتساب الفضيله المحموده ∴ انواع نعم الله
الموهوبه والمكتسبه ∴ حاجه بعض هذه الفضايل الى بعض الفضايل
الجسميه ∴ الفضايل المطيفه بالانسان ∴ الفضايل التوفيقيه ∴
ما يتولد من الفضايل النفسيه فى ملازم الفضايل النفسيه بعضها بعضا
∴ البواعث على فعل الخير تحرى الفضايل ∴ الموانع من تحرى الفضايل ∴
الارتقا فى درجات الفضايل والانحدار عنها الى اقصى الرذايل ∴ بيان

الاخلاق

عادة الله في تهذيب الكتب ترددها في الذابل حتى فسدت احلاقتهم مع سار اصناف الناس ٥

الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وبضادها

انواع العقل ٥ المكتسب من العقل الدنيوي والاخروي ٥ منازل العقل واختلاف اسامیها بحسبها ٥ جلالة العقل وشرف العلم ٥ الفرق بين العلم والعقل وبين العلم والمعرفه والدراية والحكمة ٥ توابع العقل ٥ توابع العقل في معرفة الله الضروريه والمكتسبه وغايه ما يبلغه الانسان من ذلك ٥ وجوب بعثة الانبيا عليهم السلام وقلة الاستغنا عنهم ٥ ما يعرف به صحة النبوه ٥ كون الرسل والعقل عادلين للخلق الى الحق ٥ تعذر ادراك العلوم النبويه على من لم يتهذب ٥ الايمان والاسلام والتقوى والبر في الايمان ٥ في معنى الخير والايمان بضع و سبعون باب ٥ في انواع الجهل ٥ حصر انواع المعلومات ٥ ما يعرف به فضيله العلوم ٥ استحسان معرفه انواع [illegible] العلوم معاداة بعض الناس لبعض العلوم ٥ الحث على تحصيل البلغه من كل علم والاقتصار عليه ٥ احوال الانسان في استفادة العلم وافادته ٥ ما يجب على المتعلم ان يتحراه مع العلم ٥ ما يجب ان يتحراه المعلم مع المتعلمين منه ٥ وجوب منع الجهله عن حقايق العلوم ٥ وجوب ضبط المتصدرين للعلم ومضرة اهمال ذلك ٥ ذكر من يصلح لوعظ العامة

الحال التي يجب ان يكون عليها الواعظ ٥ صعوبة المعيار الذي يعرف به حقايق العلوم ٥ كراهة الجدال للعوام وذمه ٥ ما يجب ان يعامل به الجدل المماحل ٥ الوجوه التي يقع من اجلها الشبه والخلاف ٥ بيان اختلاف الناس في الاديان والمذاهب ٥ المطر والصمت ٥ الصدق والكذب ٥ انواع الكذب والسبب الداعي له ٥ الذكر الحسن من المدح و الثنا ٥ الشكر ٥ الغيبه والنميمه ٥ الكلام المستقبح المزاح و الضحك ٥ الحلف ٥

الفصل الثالث فيما يتعلق بالقوى الشهويه

الحيا ٥ الوفا ٥ كبر الهمه ٥ المساورة ٥ النصح ٥ كتمان السر ٥ التواضع ٥ الكبر ٥ الفخر ٥ العجب ٥ انواع اللذات وتفاصيلها ٥ ما يحسن تناوله من المطعم وما يقبح ٥ ما يحسن تعاطيه من المنكح وما لا يحسن ٥ ذكر العفه ٥ القناعة والزهد ٥ الورع ٥

الفصل الرابع فيما يتعلق بالقوى الغضبيه

ما ينتج من الغضبيه ٥ انواع الصبر ومدحه ٥ الشجاعة ٥ اسباب انواع الخوف [illegible] والفرق بينها وبين ما يحمد منها ويذم ٥ مداواة الغم وازالة الخوف ٥ احوال الناس في محبة الموت والاحتيال لعلة المبالاة به ٥ السرور والفرح ٥ العذر والتوبه ٥ الحلم والعفو ٥ شور الغضب وفضل كظمه ٥ الغيرة والجوار ٥ الغبطه والمنافسه والحسد

الفصل الخامس فيما يتعلق بالعدالة والظلم والمحبة والبغض

ذكر العدالة وفضيلتها ∴ انواع العدالة وما يستعمل ذلك فيه ∴
ما حسن تركه العدالة فيه ∴ كون الظلم ∴ الاسباب التي تحمل عليها
الاضرار ∴ ذكر المكر والكيد والخديعة والحيلة ∴ بيان ماهيته
المحبة وانواعها ∴ فضيلة الصداقة ∴ ذكر المحبب في الناس
∴ الحث على مصاحبة الاخيار ومجانبة الاشرار ∴ فضيلة
الفرد عن الناس ورذيلته ∴ العداوة ∴

الفصل السادس فيما يتعلق بالصناعة

حاجة الناس الى اجتماعهم للتظاهر ∴ تسخير الله هم الناس
للصناعات ∴ كون الفقر وخوفه ∴ سبب نظام الناس ∴ مناسبة
الاهداء للصناعات المحلفة وعنايتكل احدهما بتحراه ∴ وجوب
التكسب ∴ مدح السعي وذم الكسل ∴ تفاسيم الصناعات
ومراتبها وفضيلة بعضها على بعض ∴ مدح المال وذمه ∴ ذكر المال
والادب في اقتنايه والوجوه التي منها يحصل ∴ سبب اختلاف العاقل
والجاهل ∴ تحقيق كون الملك في ايدي الناس ∴ تفاوت احوال
الغنا والفقر لاعراض الدنيا ∴ في بيان ما ورد من الايات المتفاوتة الظاهرة
في شان الدنيا ∴ احوال الناس في مراعاة امور الدنيا والاخرة ∴ بيان
حال من يجوز له الاستكثار من اعراض الدنيا ومن لا يجوز له ذلك ∴ ما ينال
ارباب الدنيا من العقوبة الدنيوية ∴ ذكر تفاوت المحمود والمذموم
∴ ذكر حقيقة الشجاعة والجود والشح والبخل ∴ انواع الجود والمجعول

الجود

الفصل السابع في ذكر الافعال

انواع الافعال ∴ الفرق بين الفعل والعمل والصنع ∴ انواع الصناعات
∴ الافعال الارادية وغير الارادية ∴ ما يستحق به من الافعال
اللوم وما لا يستحق به ∴ الاسباب التي يمكن نسبة الفعل اليها ∴

الباب الاول من الفصل الاول

باب مثل اهل الدنيا وما ماثلهم وحالهم

الانسان في هذه الدار كما قال امير المؤمنين رضي الله عنه الناس سفر
والدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن امه مبدا سفره والاخرة مقصده
وزمان حيوته مقدار مسافته وسنوه منازله وشهوره قراسخه
وايامه امياله وانفاسه خطاه ويسايره سير السفينة براكبها كما قال
الشاعر ∴ راينا الدنيا وان كان خافضا اخا سفر نسري به وهو لا يدري
وقد دعي الى دار السلام كما قال عز وجل لهم دار السلام عند ربهم وقوله
والله يدعوا الى دار السلام وتوجه به اليها نحو اشرف الزهرات
والذ الثمرات حنات تجري من تحتها الانهار بل لا جنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين لكن لما كان الطريق اليها مضلة مظلمة قد استولى
عليها اشرار الظلمة جعل الله لنا من العقل الذي ركبه فينا و
كتبه التي انزلها علينا نورا هاديا ومن عبادة التي امرنا بها حصنا
واقيا فقال في وصف نوره الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح

المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور
على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس
فجعل المصباح مثلا للعقل والمشكاة مثلا لصدر المومن والزجاجه
لقلبه والشجرة المباركة وهي الزيتونه الدين وجعلها لا شرقيه
ولا غربيه تنبيها انها مصونة عن الافراط والتفريط كما قال
ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والزيت القران وبين ان القران يهدي
العقل مد الزيت المصباح وانها يكاد يكفي لوضوحه وان لم يعاضده
العقل ثم قال نور على نور اي نور القران ونور العقل وبين انه يخص بذلك
من يشاء وقال في وصف ما جعله الله لنا من الحصن ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان اي المخصصين بعبادتي فمن لم يقم برعاية نوره وحماية
حصنه عمه في دجاه ويمكن من استغوايه عداه كما قال عز وجل
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون فمن لم يتزود من دنياه زاده كما امر
تعالى بقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى حانت رحلته فليستعجل
منه ما اعير من جسده وذات يده فيحشر حين لا ينفعه حسرة
ويقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين
ونقول هل لنا من شفعا فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
حينيذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا

وايضا فان الانسان في دنياه حارث وعمله حرثه ودنياه محرثه
ووقت الموت وقت حصاده والاخرة بيدره ولا يحصد الا ما زرعه
ولا يكيل الا ما حصده ولهذا قال الله تعالى من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب
وكما ان في البيدر مكاييل وموازين امنا وحفاظا ومشاهدين
كذلك في الاخرة مثل ذلك كما قال عز وجل ونضع الموازين القسط
ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون وقال عز وجل وجيء بالنبيين والشهدا وقضي بينهم
بالحق وكما ان في البيدر تذرية وتمييز بين النقاوة والحطام كذلك
في الاخرة تمييز بين الحسن والاثام كما قال تعالى ليميز الله الخبيث
من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله
في جهنم وقال في عمل الكفار والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيا وقال تعالى مثل
الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
لا يقدرون مما كسبوا على شيء ومن عمل لاخرته يزرع له في كيله
وورنه ويجعل له منه زادا لابد كما قال تعالى ومن اراد الاخرة
وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا ومن
عمل لدنياه خاب سعيه وبطل عمله كما قال تعالى من يريد الحيوة
كان

الدنيا وبينها توفى اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يخسرون اولئك الذين
ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون
فاعمال الدنيا كشجر الخلاف بل كالدفلى والحنظل في الربيع يرى غض
الاوراق حتى اذا جاء حين الحصاد لم ينل طائلا واذا الخضر مجتناه اليد
لم يفد نائلا ومثل اعمال الاخرة كشجرة الكرم والنخل المستقيم المنظر
في الشتاء فاذا حان وقت القطاف والاجتناء افاد ذلك زادا واذا خرف
منها عدة وعتادا والى نحوها اشار تعالى بقوله ضرب الله مثلا كلمة
طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن
ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ولما كانت
زهرات الدنيا رائقة الظاهر خبيثة الباطن نهى الله تعالى عن الاغترار بها
فقال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم

باب ماهية الانسان وكيفية تركيبه

الانسان مركب من جسم مدرك بالبصر ونفس مدركة بالبصيرة واليها اشار
تعالى بقوله اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين فالاشارة بالروح الى النفس واضافته تعالى الروح الى نفسه تشريف
له وعنى بها النفس المذكورة في قوله تعالى اخرجوا انفسكم ووجود النفس
في الانسان لا يحتاج ان يدل عليه لوضوح امره بل بنيته الجاحد لها والغافل
عنها بانها هي التي بحصولها في الجسم تحصل الحيوة والحركة والحس والعلم

والهوى والتمييز ويكون الجسم متصرفا بها ارحا ملائما ومستحسنا ومستطابا
ومحببا وبفقدها عدم هذه الاشياء فيصير جيفة تحتاج الى عدة تحمله
وهي محل الاعراض الروحانية كالجسم في كونه محلا للاعراض الجسمانية
وقد حث الله تعالى على تدبر النفس والتفكر فيها وجعل معرفتها مقرونة
بمعرفته في قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
وقال سنريهم ايانا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وكان
يقال في الامم السالفة من انكر الباري رجم لكونه جاحدا ومن انكر النفس رجم
لكونه جاهلا وقيل كان في كتب الله المنزلة اعرف نفسك يا انسان تعرف
ربك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعرفكم بربه اعلمكم بنفسه
بل قال عز وجل ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم اولئك هم
الفاسقون منبها انهم لما نسوه تعالى حتى نسيانهم اياه على نسيانهم لها
وقالت الحكماء قد ركب الله تعالى الانسان تركيبا محسوسا معقولا
على هيئة العالم واوجد فيه شبها من كل ما هو موجود في العالم حتى قيل الانسان
هو عالم صغير ومختصر العالم الكبير وذلك ليدل به على معرفة العالم فيتوصل
بها الى معرفة صانعها فغاية معرفة الانسان لباريه تعالى ان يعرف العالم فيعلم انه
موجد وان له موجدا ليس مثله تعالى ه

باب في قوى الانسان

قد جعل الله تعالى للانسان خمس قوى يدرك على وجودها فيه ما يظهر من
تاثيراتها قوة الغذاء وبها النشو والتربية والولادة وقوة الحس وبها الاحساس

والالم وقوة التخيل وبها تصور اعيان الاشيا بعد غيبوبتها
عن الحس وقوة النزوع وبها يكون الطلب للموافق والهرب من المخالف والرضى
والغضب والايثار والكراهية وقوة التفكر وبها يكون النطق و
العقل والعلم والحكمة والروية والتدبير والمهنة والراى والمشورة
فاما القوة المدركة منها فخمس الحواس الخمس والخيال والفكر و
العقل والحفظ فاما الحواس فلكل واحدة منها ادراك مخصوص فللمس
عشر ادراكات الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين و
الخشونة والصلابة والرخاوة والثقل والخفة وللذوق سبع الحلاوة
والمرارة والملوحة والحموضة والحرافة والعفوصة والتفهة وللشم
اثنان الطيب والنتن وللسمع اثنان الصوت البسيط والكلام المركب
منه وللبصر عشر النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله
ووضعه وابعاده وحركاته وسكناته فلاون هذه الادراكات اللمس
ثم الذوق ثم الشم فالنفس لا تكاد تستعين بها الا فيما يعود نفعها الى صلاح الجسم
وارفع الادراكات العقل ثم الفكر ثم التخيل فان ثلاثتها تدرك الاشيا الروحانية
فاما السمع والبصر فمتوسطان فانهما يخدمان النفس والجسم وخص منهما
للنفس اكثر ويدركان الاشيا الجسمانية والتخيل متوسط بين العقل والفكر وبين
السمع والبصر فيأخذ تارة من السمع والبصر ويسلم الى العقل والفكر وذلك
في حال اليقظة ويأخذ تارة من العقل والفكر ويسلمه الى السمع والبصر وذلك
في حال النوم ولما كان تأثير هذه القوى من الدماغ قيل مسكن الفكرة وسط الدماغ

ومسكن الخيال مقدمه ومسكن الحفظ الذكر مؤخره ولما كان قوام الدماغ
بل قوام الجسم كله من القلب الذي فيه منشأ الحرارة العزيزية صار في
كلام الناس يعبر عن هذه القوى مرة بالدماغ فيقال لفلان دماغ اذا قوي
منه هذه القوى المدركة ولفلان خلل في الدماغ اذا ضعف فيه هذه القوى
ويعبر عنها تارة بالقلب والثاني اكثر وعلى ذلك قال عز وجل ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب ولما كان ادراك اكثر الحقايق بهذه القوى الثلاثة
القلب السمع والبصر عظم الله تعالى المنة على الانسان باعطايه اياها
وحمد من استعملها وذم من اهملها فقال تعالى وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة وقال في ذم من لا ينتفع بها لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا
يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وقال صم بكم عمي فهم لا يعقلون
اي لا يفهمون المعنى لانهم لا يسمعون الاصوات ولا يبصرون الذوات
وجعلهم بكما من حيث انهم لا يوردون معنى مستنبطا بالفكر ومدركا بالعقل
واعلم ان السمع والبصر كالخوين يخدم كل واحد منهما صاحبه في
ادراكه فقد ينوب السمع عن البصر في ابلاغ القلب بما يأخذه عن اللفظ
فيدرك في ساعة ما لا يدركه البصر البصر في برهة وينوب البصر عن السمع
في ابلاغ القلب بمطالعة الكتب فلا يدركه السمع في مدة سنة اذا
كان المخاطب ناقص العبارة او غير مثبت في الكلام او دقيق المعنى وغامضه

باب تفاوت القوى الروحانية وكيفية ادراكها

القوى الروحانية متعاونات في اكثر رسوم المعلومات فان الخيال يتصور عن

المحسوس فتبقى فيه صورته الروحانية فيتنعش بها نقش الخاتم الشمع صورة
الختم ثم يأخذه الفكر فيميز بعضها عن بعض بنور العقل فيبحث عن
خواصها ومنافعها ومضارها ثم يؤديه الى القوة الحافظه فان اراد ابرازه
لفظا سلط عليه القوة الناطقة فيعبر عنه باللسان وان اراد ابرازه فعلا
سلط عليه القوة العاملة فتوجده بالجوارح وقد ذكر بعض الحكماء مثلا
لهذه القوى يقرب منه تصورا تأثيرها فقال ان القوة المفكرة ومسكنها
وسط الدماغ منزله الملك بسكن وسط المملكة والخيالية ومسكنها
مقدم الدماغ جارية مجرى بريده والحافظه ومسكنها مؤخر الدماغ
جارية مجرى خازنه والقوة الناطقة جارية مجرى ترجمانه و
العامله جارية مجرى كاتبه والحواس جارية مجرى الجواسيس واصحاب
الاخبار الصادقي اللهجات فيما يرفعونه من الاخبار فيلتقط كل واحد
الخبر من الصقع الذى وقع فيه فيرفعه الى صاحب البريد وصاحب البريد
يسقط ما يراه محشوا ويرفع الباقي صافيا الى حضرة الملك فميزه ويعرف
منافعه ومضاره ويسلمه الى خازنه الى وقت الحاجة اليه فحينئذ تقدم
باخراجه قالوا وكما ان للملك افعالا يستعين فيها بغيره وافعالا
ينفرد بها هو بنفسه والافعال التى يتولاها بنفسه اشرف مما يفوضه الى
غيره كذلك للقوة افعال يفوضها الى غيرها وافعال تختص هى بها وهى
الرويه والفكر والاعتبار والتصور والقياس والفراسه فالرويه
تدبير الامور والتفكر استخراج الغوامض والاعتبار تحصيل التجربة

وبالقياس استنباط المجهول بتوسط المعلوم وبالفراسه الاطلاع
على الاسرار ونحو هذا المثل ما روى عن كعب الاحبار قال دخلت على
عايشه رضى الله عنها فقلت الانسان عيناه هاديان واذناه قمع ولسانه
ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب
جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب تفاوت فضيلة الانسان على سائر الحيوان

للانسان فضل على الحيوانات كلها فى نفسه وجسمه اما فضله فى نفسه
فبالقوة المفكره التى بها العقل والعلم والحكمة والتدبير والراى
فان البهايم وان كانت كلها تحس وبعضها تخيل فليس لها فكر ولا رويه ولا
استنباط المجهول بالمعلوم ولا تعرف علل الاشيا واسبابها وليس فى
قواها تعلم الصناعات المتخيله واقواها فى ذلك الفيل والقرد واما
فضله فى جسمه فاليد العاملة واللسان الناطق واستصاب القامة الدال
على استيلايه على كل ما فى هذا العالم وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله لقد
خلقنا الانسان فى احسن تقويم وبقوله وصوركم فاحسن صوركم ولم يعن
الصورة المخطط بها فقط بل عناها الصورة المعقولة ولتشريفه
تعالى اياه بذلك قال ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ومن زعم ان الانسان
خلق خلقة ناقصة عن الوحشيات من حيث لم يكف الملبس كما كفيته
ولم يعط سلاحا كما اعطى كثيرا منها فقط ره ناقص اذ قد اعطى الانسان بدله

التمييز الذي يمكنه ان يتخذ به كل ملبس وكل سلاح حسب ما يريده
فيتناوله متى ما اراد ويضعه متى احب ثم لو اعطى الانسان بعض الاسلحة
التي اعطيته لم يمكنه ان يستعمل غيره كالوحشيات وايضا لو اعطى
ذلك لكان من الحق ان لا يعطى التمييز لانه حينئذ كان يستغني عنه فيبطل
فايدته وتدبيره وفعل الله تعالى منزه عن ذلك وان قيل فكيف قال عز وجل
خلق الانسان ضعيفا فاستضعفه قيل ضعفه بالاضافة الى الملأ الاعلى
لما فيه من الحاجات البدنية التي قد كفيها واعلم ان كل ما اوجد في
هذا العالم فانما اوجد لاجل الانسان اما لانتفاعه به كالخيل والبغال
او كالاغذية له كالبقر والغنم والحبوب والثمار واما الانتفاع
ما ينتفع به الانسان كالعشب والحشرات وما لا يعرف الانسان نفعه
فليس يخرج من كونه نافعا وقد بين الحكما نفع جلها وما لا سبيل لبعضنا
او كلنا الى معرفة نفعه فليس جهلنا به قادحا في حكمة الله تعالى في
ايجاده فرب شيء جهلنا منفعته وقد سخر لمعرفته بعض الحيوان كالنحل
الذي فيه العسل بالقوة وما سخر لمعرفته واستخراجه الا النحل وما البق
من انكر حكمة الله لجهله به ان ينشد وما على بان لا يفهم البقر هـ

باب بيان ما به يفضل الانسان

الانسان وان كان هو بكونه انسانا افضل موجود فذلك بشرط ان يراعى ما به
صار انسانا وهو العلم والعمل المحكم فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل
ولهذا قيل الناس انسان ما يحسنون اى ما يعرفون ويعلمون من العلوم والاعمال

الحسنة يقال الحسن فلان اذا علم واذا عمل حسنا فاما الانسان
من حيث ما يتغذى وينمو ويتناسل فنبات ومن حيث ما يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث
الصورة المخطيطه فكصورة في جدار وانما فضيلته بالنطق وقواه و
مقتضاه ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة او صورة
ممثلة فالانسان يضارع الملك بقوة النطق والعلم والفهم ويضارع
البهيمة بقوة الغذا والنكاح فمن صرف همته كلها الى تربية الفكر بالعلم
والعمل فخليق بان يلحق بافق الملك فيستحق ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا
الا ملك كريم ومن صرف همته كلها الى تربية القوة الشهوية باتباع
اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فخليق ان يلحق بافق البهايم
فيصير اما غمرا كثورة او ماشرها كخنزير او ضرعا كالكلب او حقودا
كجمل او متكبرا كنمر او ذا رغاء كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان
مريد وعلى ذلك قوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت
ولكون كثير ممن صورته صورة الانسان وليس هو في الحقيقة الا كبعض
الحيوان قال تعالى في الذين لا يعقلون عن الله ان هم الا كالانعام بل هم اضل
وقال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون فبين ان الذين
كفروا لم يستعملوا القوة التي جعلها الله لهم هم شر الدواب وقال تعالى
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اى مثل واعظ
الكافرين كما عن الانعام تنبيها انهم فيما يقال لهم كالبهايم وهذا المعنى عبر
الشاعر عن بعض من ذمه فقال

اللوم اكرم من بر ووالده واللوم اكرم من بر وما ولدا ❊
تنبيها انه لا يستحق ان يقال له مَن لكونه بعيه وعلى هذا قال المتنبي
تخطى اذا جيت فاستفهامه بمَن ❊ ولما ذكرنا لم يكن بعض هذه الانواع
وبعضها من التفاوت ما بين انسان وانسان فانك قد ترى احد العشرة
لا بل واحد المائة وعشرة اخرى هذه دون واحد كما قيل لاعرابي في
منامها اعشر هذه اجتاليك او واحد كعشرة لا بل واحدا كالف ترى
والف مثل واحد كما قال الشاعر
ولم ار امثال الرجال تفاوتا لدى المجد حتى عد الف بواحد ❊
بل ترى واحد العشرة الف وترى عشرة الاف دون واحد كما قال عليه السلام
وهو صدق قيل الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة والابل في
تعارف فهم اسم لمائه بعير فما به بل هي عشرة الف بعير بل لو قيل
قد يرى واحد كعالم وعالم كواحد جاز كما قال عليه السلام وزنت بامتي
فرجحتهم وعلى هذا قال ابو نواس ❊
وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد ❊

باب كون الانسان بين البهيمية والملك

الانسان لما ركب تركيبا بين بهيمة وملك فشبهه للبهايم بما فيه من
الشهوات البدنية من المآكل والمشارب والمناكح وشبهه للملك
بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة والعدالة والجود صار
واسطة بين جوهر رفيع ووضيع ولهذا قال تعالى وهديناه النجدين

فالانسان من وجه العقل والهوى ومن وجه الدنيا والاخرة ومن وجه
الضلال والهدى ومن وجه موالاة الله وموالاة الشيطان المذكوران
في قوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ومن وجه النور و
الظلمة المذكوران في هذه الاية اي الفضيلة والنقيصة ومن وجه
الحيوة والموت المذكوران في قوله عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه
فمن وفقه الله للهدى واعطاه قوة لبلوغ المدى فراعى نفسه وزكاها
فقد افلح ومن حرمه التوفيق فاهمل نفسه ودساها فقد خاب وخسر
كما قال عز وجل قد افلح من زكاها وقد خاب من دسيها ❊

باب ما لاجله اوجد الانسان

الانسان من حيث ما هو انسان وكل واحد كالاخر
فالارض من تربة والناس من رجل ❊ وانما يتشرف بان يوجد كاملا
في المعنى الذي لاجله اوجد وبيان ذلك ان كل نوع اوجده الله في
هذا العالم اوهدى بعض الخلق لايجاده وصنعته فانه موجد لفعل
يختص به وله غرض لاجله خص بما خص به كالبعير انما خص بذلك
ليبلغنا واثقالنا الى بلد لم نكن بالغيه الا بشق الانفس والفرس
ليكون لنا جنابا نطير به والمنشار والمنحت ليصلح بهما الباب والسرير
ونحوهما والباب لنحرز به البيت فالفعل المختص بالانسان ثلثة عمارة الارض
المذكورة في قوله عز وجل واستعمركم فيها وذلك ما به تزجية المعاش

لنفسه فقط او لنفسه وغيره وعبادته المذكورة في قوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وذلك هو الاشتغال للباري عز
وجل في اوامره ونواهيه وخلافته المذكورة في قوله عز وجل و
يستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وغيرها من الايات وذلك هو
الاقتداء بالباري عز وجل بقدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم
الشريعة ومكارم الشريعة هي الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس
والحلم والاحسان والقصد منها ان يتبلغ بذلك الى جنة المأوى
وجوار رب العزة تعالى وكل ما اوجد لفعل ما فشرفه لتمام وجود ذلك
الفعل منه ودناءته لفقدان ذلك الفعل منه كالفرس للعدو والسيف
للعمل المختص به في القتال متى لم يوجد فيه المعنى الذي لاجله اوجد
كان ناقصا فاما ان يطرح طرحا او يرد الى منزلة النوع الذي هو دونه
كالفرس اذا لم يصلح للعدو اتخذ حمولة او اعد اكولة فمن لم يصلح لخلافة
الله والعبادة والاستعمار ارضه فالبهيمة خير منه ولذلك قال عز وجل
في ذم الذين تكلوا هذه الفضيلة ان هم الا كالانعام بل هم اضل

باب السياسة التي يستحق بها خلافة الله

قد تقدم ان الخلافة تستحق بالسياسة وذلك بتحري المكارم الشرعية
فالسياسة ضربان احدهما سياسة الانسان نفسه وبدنه وما يختص به
والثاني سياسة غيره من ذويه وبلده ولا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح
لسياسة نفسه ولهذا ذم الله تعالى من ترشح لسياسة غيره فامر

بالمعروف ونهى عن المنكر وهو غير متهذب في نفسه فقال الآمرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم اي هذبوها قبل الترشح لتهذيب غيركم وبهذا
النظر قال تفقهوا قبل ان تسودوا وتنبيها انكم لا تصلحون للسيادة
قبل معرفة الفقه والسياسة العامية ولان السايس المحسوس يحري
من المسوس محرى الظل من الظل ومحال ان يعوج ذو الظل ويستقيم ظله
ولاحالة ان يهتدي المسوس مع كون السايس ضالا قال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا
والمنكر فحكم انه محال ان يكون مع اتباعه الشيطان يامر الا بالفحشاء

باب الفرق بين مكارم الشريعة وبين العبادة وعمارة الارض

اما مكارم الشريعة فمبدأها طهارة النفس بالتعلم واستعمال العفة
والصبر والعدالة ونهايتها التخصص بالحكمة والجود والحلم والاحسان
ومن حصل له ذلك فقد تدرع المكرمة المعنية بقوله عز وجل ان اكرمكم
عند الله اتقيكم وصلح لخلافة الله وصار من الربانيين والصديقين
والشهدا واعلم ان العبادة اعم من المكرمة فان كل مكرمة عبادة
وليس كل عبادة مكرمة ومن الفرق بينهما ان للعبادات فرايض معلومة وحدود
مرسومة وتاركها يعد ظالما متعديا والمكارم بخلافها ولن يستكمل
الانسان مكارم الشرع ما لم يقم بوظايف العبادات من باب العدل وتحري

المكارم من باب الاحسان ولا يقبل نفل من اهمل الفرض ولا يفضل من
ترك العدل ولا يصح تعاطي الفضل الا بعد العدل فان العدل فعل ما
يجب والفضل الزيادة على ما يجب وكيف يصح تصور الزيادة على شيء هو
غير حاصل في ذاته ولهذا قال لا يستطيع الوصول من ضيع الاصول
قيل فمن شغله الفرض عن الفضل فمعذور ومن شغله الفضل عن الفرض
فمغرور وقد اشار تعالى بقوله بالعدل الى الاحكام وبالاحسان
الى المكارم في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون
ففعل الخير هو الزيادة على العبادة واما عمارة الارض فالقيام بما
فيه تزجية الحيوة وصلاح المعاش فالانسان الواحد من حيث
لم يكف امر معاشه بانفراده من ماكله وملبسه ومسكنه ولم يكن
له سبيل الى اتيانه والانبيا الا بما يستوجبه ويبتغي عوضه ولقيه
من الحر والبرد لم يكن له بد من تحصيل ذلك ولذلك قال عز وجل
ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومتى كان
سعي العبد في ذلك على الوجه الذي يجب وكما يجب يكون سعيه
عبادة وجهادا في سبيل الله كما قال عليه السلام من طلب رزقه على ما
سنذكر فهو في جهاد ومتى لم يكن على ذلك فسعيه هباء منثورا كما قال تعالى
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وكان فيما يتولاه خادما للناس مسخرا بلا ارادة منه لخدمتهم حتى كانه من

باب كون طهارة النفس شرطا في صحة خلافة الله وكمال العبادة

من جملة البهايم التي سخرها الله لعباده فامتن عليهم بها في قوله تعالى
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ع
لا يصلح لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة ارضه الا من كان طاهر
النفس قد ازيل رجسه ونجسه فللنفس نجاسة كما ان للبدن نجاسة
لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك الا بالبصيرة
واياها قصد بقوله تعالى انما المشركون نجس وبقوله والرجز فاهجر
وبقوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون وانما لم يصلح لخلافة الله
الا من كان طاهر النفس فان خلافته هو الاقتداء به على قدر طاقة البشر
في تحري الافعال الالهية ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر الفعل
فكل آناء الذي فيه يرشح ومن يعجز مسك سوء عرف سوء ولهذا قيل من
طاب نفسه طاب عمله ومن خبث نفسه خبث عمله وقال عليه السلام
المومن طيب من عمله والكافر خبث من عمله بل قد اشار تعالى بقوله
الطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات وقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته
باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ولاجل انه لا يطيب عمل من خبث
نفسه قال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال بعضهم في قوله عليه السلام
لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب انه اشار بالبيت الى القلب واشار بالكلب
الى الحرص الحسد ونحوهما ونبه ان نور الله لا يدخله اذا كان فيه ذلك

عبادة

الى ذلك

منك نسخة

واستدل على صحة ان الحرص يقال له الكلب انه يقال فلان احرص من الكلب
وتقوى ذلك ما روى التقوى لا يسكن الا قلبا نظيفا والى الطهارة اشار
تعالى قوله عز وجل وثيابك فطهر والرجز فاهجر وكنى بالثياب عن البدن
كقول الشاعر ثياب بنى عوف طهارى نقيه ** وقال عز وجل
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد قال بعض الحكماء انما سمى الحواريون
بذلك لانهم كانوا يطهرون نفوس الناس باقادتهم الدين والعلم من قولهم
حورته اى بيضته وما روى انهم كانوا قصارين واشارة الى هذا المعنى
وان كان لم يتخصص بمعرفة الخبايا تصور من هذا التفسير المهنة المعروفة بين
العامة ع باب فيما يفزع اليه في طهارة النفس
الذى يطهر النفس حتى تتشح لخلافة الله عز وجل وتستحق بها ثوابه هو
العلم والعبادات الموظفة التى هى سبب الحياة الاخروية كما ان الذى يطهر
به البدن الماء الذى هو سبب الحياة الدنيوية ولذلك سماهما الحياة
وسمى ما انزل الله تعالى من كتابه الماء فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
لما يحييكم فسمى العلم والعبادة حياة من حيث ان النفس متى فقدتها
هلكت هلاكا لا بد كما قال عز وجل في صفة الماء وجعلنا من الماء كل شئ حى
افلا يؤمنون وقال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها قال
ابن عباس عنى بالماء القرآن اذ كان فيه طهارة النفس قال الاودية
القلوب احتملته بحسب ما وسعته قال بعض العلماء في قوله تعالى وانزلنا

من السماء ماء طهورا وقوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به انه عنى
القرآن كقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين و
اجد بصحة قوله فان الماء المنزل من السماء المختص بالطهارة الذى لا يسد
غيره مسده هو هذا الماء عنى كلام رب العزة فاما المختص بطهارة البدن
فقد يسد غيره مسده في الطهارة لان الذى ينبع من الارض يعمل عمله والذى
يلزم تطهيره من النفس هو القوى الثلث قوة الفكرة فيطهرها حتى
تحصل الحكمة وقوة الشهوة يقمعها حتى تحصل العفة والجود وقوة
الحمية باسلاسها حتى تنقاد للعقل فتحصل الشجاعة والحلم وتتولد من
اجتماع ذلك العدالة فجميع الرذايل تنبعث من فساد هذه القوى
اما من فساد هذه الفكرة فيولد منها الجربزة او البله واما من فساد
القوة الشهوية فيولد منها الشره او خمود الشهوة واما من فساد
الحمية فيولد منها التهور او الجبن ومن حصول هذه الاشياء او حصول
بعضها تحصل اما الظلم او الانظلام فجميع رؤس الفضايل الخلقية اربعة
وجميع رؤس الرذايل الخلقية ثمانية ع

باب بيان منازعة الهوى العقل ١٣

اعلم ان مثل نفس الانسان في بدنه كمثل والٍ في بلده وقواه وجوارحه
بمنزلة صناع وعملة والعقل له كمشير عالم ناصح والشهوة فيه كعبد
سوء جالب للمضرة والحمية له كصاحب شرطه والعبد الجالب للمضرة خبيث
ماكر يتمثل للوالي بصورة الناصح وفي نصحه دبة العقرب ويعارض الوزير في تدبيره

ولا يغفل ساعة عن منازعته ومعارضته وكما ان الوالي في مملكه
متى استشار في تدبير امانه وزيره دون هذا الخبيث وادبه صاحب شرطته
وجعله مؤتمر الوزيره وسلطه على هذا العبد وتباعه حتى يكون
هذا العبد مسوسا لا سايسا ومدبرا لا مدبرا استقام امر بلدهم
كذا ايضا النفس متى استعانت بالعقل في التدبير وادبت الحميه وسلطته
على الشهوه وقواها استتبت امرها والا فسدت ولهذا قد حذرنا
الله غايه الحذر من اتباع الهوى فقال لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله
وقال ذم من اتبعه افرايت من اتخذ الهه هويه واضله الله على علم وقال
تعالى اخلد الى الارض واتبع هويه وقال تعالى في مدح من عصاه واما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنه هي المأوى وقال عليه السلام
اعدى عدوك نفسك بين جنبيك اشاره الى الهوى والعقل وان كان اشرف
القوى وبه صار الانسان خليفة الله في العالم فليس دأبه الا الاشاره الى
الصواب كطبيب يشير لما يرى فيه برؤه فان قبل منه المريض
والا سكت عنه ولذلك جعل له الحميه الحميه لتكون نايبه عنه في
المدافعه والممانعه ولهذا الا بين فضيله العقل لمن لا حميه له
وبهذا النظر قيل المهين من لا سفيه له وقال
تعدوا الذياب على من لا كلاب له وتتقى مربض المستاسد الحامي
وايضا مثل النفس في البدن مثل مجاهد بعث الى ثغر يراعي احواله وعقله
خليفة مولاه ضم اليه ليسدده ويرشده ويشهد له وعليه فيما يفعله

اذا عاد الى حضرة مولاه وبدنه بمنزلة فرس دفع اليه ليركبه ويشهوته سايس
خبيث ضم اليه ليتفقد فرسه ولا قد لهذا السايس عند المولى والقران بمنزلة
كتاب اتاه من مولاه وقد ضمن كل ما يحتاج اليه عاجلا واجلا كما وصفه
تعالى وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وقوله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شئ والنبي رسول اليه اتاه بالكتاب ليبين له ما يشكل عليه مما يقرأه
من الكتاب وقبح ان ينسى هذا المولى مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يبرمه
وينقضه ويصرف همته كله الى تفقد فرسه وسايسه ويقيم سايس فرسه
مقام خليفه ربه ومن وجه آخر الانسان من حيث جعله الله عز وجل
عالما صغيرا وجعل بدنه كمدينة والعقل كمدبر فيها وقواه من الفكر و
الخيال والحواس كجنده واعوانه والاعضاء كرعيته والشهوة كعدو
ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته صار بدنه كرباط وثغر
ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد اعداه فهزمهم او اسرهم او قهرهم
كما يجب حمد اثره اذا عاد الى حضرته كما ضمنه تعالى حيث يقول فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجه وكلا وعد الله الحسنى فدفاع
الهوى اعظم جهاد كما قال صلى الله عليه وقد سئل اي الجهاد افضل فقال
جهادك هواك وان ضيع ثغوره واهمل رعيته ذم اثره اذا عاد اليه
كما قال صلى الله عليه كلكم راع وكل مسؤول عن رعيته ان الله تعالى يقول
للكافر يوم القيمه يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضاله ولم تجبر
الكسير اليوم انتقم منك وايضا مثل العقل مثل فارس مهتد وشهوته
متصيد

وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه
مروضا وكلبه معلما فهو قمين بادراك حاجته من الصيد ومتى كان هو
اخرق وفرسه جموحا او حرونا وكلبه عقورا فلا فرسه ينبعث تحته
منقادا ولا كلبه يسلس معه مطيعا فهو قمن ان يعطب فضلا عن ان يدرك
ما طلب وللانسان مع هواه ثلث احوال الاولى ان يغلبه الهوى فيملكه
كما قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه والثانية ان يغالبه فتقهره ويقهرها
مرة واياه قصد بمدح المجاهدين وعناه النبي صلى الله عليه وسلم جاهدوا
اهواكم كما تجاهدون اعداكم والثالثة ان يغلب هواه ككثير من الابيا
وبعض صفوة الاولياء وهذا المعنى قصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما من احد الا وله
شيطان وان الله قد اعانني على شيطاني حتى ملكته فان الشيطان
يتسلط على الانسان بحسب وجود الهوى فيه

القسم الثاني سزاوار شدن

باب الفرق بين ما تشبه به العقل وما يسومه الهوى

من شان العقل ان يرى ويختار ابدا الافضل والاصلح في العواقب وان كان على
النفس فيه مؤونة ومشقة والهوى على الضد من ذلك فانه يؤثر
ما يدفع به الموذي في الوقت وان كان يعقب مضرة من غير نظر منه في
العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر اكل الحلاوات واللعب في الشمس
على اكل الاهليلج والحجامة ولهذا قال صلى الله عليه حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات وايضا فالعقل يرى صاحبه ماله عليه
والهوى يريه ما عليه دون ماله ويعمى عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا

قال صلى الله عليه حجل النبي يعمى ويصم ولذلك ينبغي للعاقل ان يتهم رايه
ابدا في الاشيا التي هو له لا عليه ويظن انه هوى لا عقل ويلزمه ان يستقصي
النظر فيه قبل امضا العزيمة وحتى قبل اذا عرض لك امران لم تدر ايهما
اصوب فعليك بالكريهة لا بما تهواه فاكثر الخير في الكراهة قال الله تعالى
وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وقال عز وجل فعسى ان تكرهوا شيا و
يجعل الله فيه خيرا كثيرا وايضا فان ما يرى العقل تقوى اذا فزع
فيه الى الله عز وجل بالاستخارة ويساعد عليه العقول الصحيحة اذا فزع
اليها بالاستشارة وينشرح له الصدر اذا استعين فيه بالعبادة وما
يشبه به الهوى ضد ذلك وايضا فالعقل يرى ما يرى بحجة وعذر
والهوى يرى ما يريه بشهوة وميل وربما تشبه الهوى بالعقل فتعلق
بشبهة فرحرفة وحجة موهمة كالعاشق اذا سئل عن عشقه والمتناول
لطعام رديء اذا سئل عن فعله قال بعض الحكما اذا مال العقل نحو
مولم جميل والهوى نحو ملذ قبيح فتازعا حسب غرضيهما وتحاكما الى
القوة المدبرة بادر نور الله الى نصرة العقل ووساوس الشيطان الى
نصرة الهوى كما قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات
ممن كانت القوة المدبرة من اولياء الشيطان ومحبتيه لم تر نور الحق
فعميت عن نفع الاجل واغترت بلذة العاجل فخبطت الى الهوى
كما قال عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ومتى كانت

من حزب الله واوليايه اهتدى بنوره فاستهانت بلذة العاجل وطلبت
سعادة الاجل كما قال عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ومما نبه تعالى على فساد
الهوى قوله ولو اتبع الحق اهواهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن اي لو اعطى
كل انسان ما يهواه مع ان كل واحد يهوى ان يكون اغنى الناس واعلاهم منزله
وان يملك الدنيا الخير الابدي بلا مزاولة ولا تعلم لكان في ذلك فساد العالم
وقيل في قول الله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبه كشجرة
طيبه اصلها ثابت وفرعها في السما انه ضرب الشجرة الطيبه مثلا للعقل
والخبيثة مثلا للهوى ففرع الطيبة النور والاسلام وفرع الخبيثه
الكفر والضلال ان قيل ما الفرق بين الشهوة والهوى قيل الشهوة ضربان
محمود ومذموم فالمحمود من فعل الله تعالى وهي قوة جعلت للانسان لتبعث
بها النفس لنيل ما نظن ان فيه صلاح البدن والمذموم من فعل
البشر وهي استجابة النفس لما فيه لذتها البدنيه والهوى هو هذه الشهوة
اذا غلبت واستتبعت الفكرة وذلك ان الفكرة بين العقل والشهوة فالعقل
فوقها والشهوة تحتها فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة
تولد المحاسن واذا انضعت ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعه
وتولد المفاسد والنفس قد تريد ما تريد بمشورة العقل تارة وبمشورة
الهوى تارة ولهذا قد يسمى الهوى ارادة ع ع ع ع

١٦

باب في ذكر الخاطر الذي يعرض من جهة العقل والهوى

اول ما يعرض من ذلك السانح ثم الخاطر والى ذلك اشار النبي صلى الله عليه
بقوله ان للشيطان لمة وللملك لمة فاما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق
بالحق واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرا الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشا منه من بعد ما الارادة ثم العزم ثم العمل فالسانح
علة الخاطر والخاطر علة الارادة والارادة وهي الهمة علة العزم والسانح
والخاطر يعبر عنهما بالهاجس والواجس متجافى عنهما مالم يصير ارادة
وعزما لقول الانسان اذا خطر له خاطر ان يسبره عاجلا فان وجد خيرا
اباه حتى يجعله فعلا وان وجده شرا بادر الى قمعه وقلعه قبل ان يصير
ارادة ويطهر منه قلبه تطهيرا رضيه من خبيثات النيات وهذا المعنى
اراد الحسن رحمه الله بقوله رحم الله عبدا وقف عند همته فان كان
لله مضى والا كف قال بعض الحكما ان تداركت الخطرة اضمحلت والا
صارت شهوة وان تداركت الشهوة والا صارت طلبا وان تداركت الطلب
والا صار عملا قال بعض الحكما ان ولي الله اذا انتبه لمة الشيطان ابتهج
لذلك ورأى بصيرته ظلمة ووجد روعة فاذا انتبه لمة الرحمن انشرح
صدره واوليا الشيطان بخلافه لقوله تعالى واذا ذكر الله وحده
اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون

١٧

باب حصول الخلق المحمود بطهارة النفس

قد تقدم ان طهارة النفس باصلاح القوى الثلث فاصلاح الفكرة بالتعلم

حتى يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد وبين الصدق والكذب في المقال وبين
الجميل والقبيح في الفعال واصلاح الشهوة بالعفة حتى يسلس للجود
والمواساة المحمودة بقدر الطاقة واصلاح الحمية باسلاسها حتى
تحصل الحلم وهو كف النفس عن قضاء وطر الغضب وتحصل السجاعة وهي
كف النفس عن الخوف وعن الحرص المذمومين وباصلاح القوى الثلث تحصل
للنفس العدالة وهذه جماع المكارم وطهارة النفس وحسن الخلق الممدوح
بقول النبي عليه السلام اكمل المومنين ايمانا احسنهم اخلاقا والطفهم باهله
ويعني باللطافة بالاهل تهذيبهم وتاديبهم المشار اليه بقوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا والممدوح ايضا بقوله صلى الله عليه
احبكم الى احاسنكم اخلاقا الموطون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقيل
جماع المكارم في قوله عز وجل انما المومنون الذين امنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وذلك انه
بالايمان تحصل العلم والحكمة وذلك باصلاح الفكرة وبالمجاهدة بالاموال
والانفس تحصل العفة والجود واللذان هما تابعان لاصلاح الشهوة و
الشجاعة والحلم اللذان هما تابعان لاصلاح الحمية وعلى ذلك قوله عز وجل
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه في تفسير
ذلك هو ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك فالعفو عمن
ظلمك نهايه الحلم والشجاعه واعطاء من حرمك نهايه الجود ووصل من قطعك نهايه

الاصل ٧ باب الفرق بين الطبع والسجية والخلق والعاده

الطبع اصله من طبع السيف وهو اتخاذ الصورة المخصوصة في الحديد وكذلك
الطبيعة والضريبة اعتبارا بضرب الدراهم والسجية اعتبارا بالنحت
والنجر اعتبارا بنجر الخشب والغريزة اعتبارا بالمغروز عليه كل
ذلك اسم للقوة التي لا سبيل الى تغييرها والشيمة اسم للحالة التي عليها
الغريزة اعتبارا بالشامة التي في اصل الخلقة والسجية اسم لما ينجي
عليه الانسان من قولهم عين ساجية اي ساكنة خلقة واكثر ما يستعمل
ذلك كله فيما لا يمكن تغييره واما الخلق ففي الاصل كالخلق كقولهم
الشرب والشرب والصرم والصرم لكن الخلق يقال في القوي المدركة بالبصيرة
والخلق في الهيئات والاشكال والصور المدركة بالبصر وجعل الخلق
تارة في القوى الغريزية ولهذا قال النبي عليه السلام فرغ الله من الخلق
والخلق والرزق والاجل وتارة تجعل اسما للحالة المكتسبة التي يصير الانسان
بها خليقا ان يفعل شيئا ومن شتى كمن هو خليق بالغضب لحدة مزاجه
ولهذا خص كل حيوان بخلق في اصل خلقته كالشجاعة للاسد والجبن
للارنب والمكر للثعلب وتجعل تارة من الخلافة اي الملاسة فكانه اسم
لما مرن عليه الانسان من قواه بالعادة وقد روي افضل الاعمال
الخلق الحسن وروي ما اعطى الله احدا افضل من خلق حسن فجعل الخلق مرة
للهيئة الموجودة في النفس التي يصدر عنها الفعل بلا فكر وجعل مرة
اسما للفعل الصادر عنه باسمه وعلى ذلك اسما انواعها نحو العفة و
العدالة والشجاعة فان ذلك يقال للهيئة والفعل جميعا وربما سميت الهيئ

باسم والفعل الصادر عنها باسم كالسخا والجود كان السخا اسم الهيئة
التي عليها الانسان والجود اسم للفعل الصادر عنها فان كان قد يسمى كل
واحد منهما باسم الاخر واما العاده فاسم لتكرير الفعل والانفعال
من عاد يعود وبها يكمل الخلق وليس للعادة فعل الا تسهيل خروج ما هو
بالقوة في الانسان الى الفعل فاما ان تجذب السجيه الى خلاف ما خلقت له
فمحال والسجيه اسم لفعل الخالق والعادة فعل للمخلوق ولا يبطل فعل المخلوق
فعل الخالق لكن ربما تقوى العادة قوة محكمة حتى تعد سجيه وبهذا النظر قيل
العاده طبيعة ثانية

تغيير

باب امكان تغيير الخلق

١٦ اختلف الناس في الخلق فقال بعضهم هو من جنس الخلقة ولا يستطيع
احد تغييره عما جبل عليه ان خيرا وان شرا كما قال الشاعر

وما هذه الاخلاق الا غرائز فمنهن محمود ومنهن ما ذم

ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه متكرم

وتعلق ايضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم من آتاه الله وجها حسنا وخلقا
حسنا فليشكر الله وما روى فرغ الله من الخلق والخلق والرزق والاجل
وقال محال ان يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق وقال بعضهم يمكن تغيير
ذلك فاستدل بما روى حسنوا اخلاقكم ولو لم يكن لما امر به قال
ولان الله عز وجل خلق الاشياء على ضربين احدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه
عملا كالسماء والارض والهيئة والثاني خلقه خلقة ما وجعل فيه
قوة تحيج الانسان لاكماله وتغيير حاله وان لم يرشحه لتغيير ذاته

كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل وسهل للانسان سبيلا الى ان يجعله
نعوز الله نخلا وان يفسده افسادا قال والخلق من الانسان يجري مجرى
هذا المجري فانه لا سبيل للانسان ايا تغيير القوة التي تصير السجية
وجعل له سبيلا ايا اسلاسها ولهذا قال عز وجل وقد خاب من
دسيها ولولم يكن كذلك لبطل فايدة المواعظ والوصايا والوعد
والوعيد والامر والنهي ولما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت
ولم تركت وكيف يكون هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض
البهايم ممكنا فالوحشي قد ينقل بالعادة الى التانس والجامح الى
السلاسة لكن الناس في غرايزهم مختلفون فبعضهم جبل جبلة سيئة
القبول وبعضهم جبل جبلة بطيئة القبول وبعضهم في الوسط
وكلا لا ينفك من اثر قبول فان قل واري ان من منع من تغيير الخلق فانه
اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح فان النوى محال ان يلبث منه الانسان
تفاحا ومن اجاز تغيير ما امكان ما في القوة الى الوجود وافساده
بما يماله نحو النوى فانه يمكن ان يتفقد فيصير نخلا فان يترك مهملا
حتى يعفن وهذا صحيح ايضا فاذا اختلافهما بحسب اختلاف نظريهما

باب صعوبة اصلاح القوى الشهوية وما في هذه القوة من المنفعة والمضرة

١٩ اصعب هذه القوى الثلث مداواة قمع الشهوة لانها اقدم القوى وجودا
في الانسان واشدها به تشبثا واكثرها منه تمكنا فانها تولد معه وتوجد
فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه بل في النبات الذي هو جنس جنسه ثم

توجد فيه قوة الحميه ثم آخر انوجد فيه قوة الفكرة والنطق والتميز
ولا يصير الانسان خارجا من جمله البهايم واسر الهوى الا بامانة الشهوات
البهيميه او يقهرها وقمعها ان لم يمكنه امانته اياها فهى الى تضره
وتغره وتجره وتصرفه عن طريق الاخره وتثبطه ومتى قمعه او اماته
صار الانسان حرا تقيا بل يصير الهيتا ربانيا فتقل حاجاته ويصير غنيا
عما فى يدى غيره وسخيا بما فى يده ومحسنا فى معاملاته فان قيل فاذا
كانت الشهوة بهذه المثابة فى الاضرار فاى حكمة اقتضت ان يبلى بها
قيل الشهوة اما ان تكون مذمومة اذا كانت مفرطة واهملها صاحبها حتى
ملكت القوى فاما اذا اذبت فهى المبلغة الى السعادة وجوار رب العزة وذلك لان
الوصول الى الاخره بالعبادة ولا سبيل الى العبادة الا بالجبوة الدنيويه ولا سبيل
الى الجبوة الدنيويه الا بحفظ البدن ولا سبيل الى حفظ البدن الا باعارة ما يتحلل منه ولا يمكن تناول الاغذية الا بالقوة الشهويه فاذا
القوة الشهويه محتاج اليها ومرغوب فيها ومقتضى الحكمة الالهيه ايجادها
وتزيينها كما قال عز وجل زين للناس حب الشهوات من النسا والبنين الايه
لكن مثلها مثل عدو تحتنى مضرته من وجه وترجى منفعته من وجه ومع عداوته
لا مستغنى عن الاستعانة به فحق العاقل ان ياخذ نفعه ولا يمكن اليه ولا يعمد عليه
الا بقدر ما ينتفع به وما اصدق قول المتنبى اذا تصورته فوصف الشهوة وان
قصدها فما اجود ما اراد بها ومن تكم الدنيا على الحر ان يرى عدوا مما من صداقته بد
وايضا فهذه الشهوة هى المشوقة لعامة الناس الى لذات الجنة من المآكل و

المشارب والمناكح اذ ليس كل الناس يعرف اللذات العقليه واقوى حبها ما نفعة
لما شوقوا الى ما وصف به من قوله عليه السلام فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ه ه

بلغ

باب ازدياد الانسان فى الفضايل والرذايل بتعاطيها ٢ ٢٥

كل متعاط لفعل من الافعال النفسيه فانه يقوى فيه بحسب الازدياد منه ان
خيرا فخير وان شرا فشر فباحتمال صغار الامور يمكن احتمال كبيرها وباجتمال
كبارها يستحق الحمد ولهذا قال امير المومنين رضى الله عنه الايمان بيد والكلة
بيضا فى القلب كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض واذا استكمل العبد ازداد
الايمان ابيض القلب كله وان النفاق بيد والنقطة سودا كلما ازداد ذلك
السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فالانسان يكمل فى الفضيلة
باربع درجات اثنين فى الاعتقاد وهما ان يعتقد الحق ويجعل اعتقاده عن براهين
واضحة وادلة قاطعة لا عن شبهات واهية واقناعات متداعيه واثنين
فى الفعل وهما ان يترك العادات السيئة فيجعلها كحيث بغضها فيتجنب الرذيله
يتوصل الى الفضيله وان يتعود العادات الحسنة فيجعلها كحيث يوثرها وتنعم
بها كما قال عليه السلم وجعلت قره عينى فى الصلوة وكما انه يكمل باربع درجات
فانه ينتكس باربع درجات درجتين فى الاعتقاد وهما ان لا يعتقد شيا من العلوم
الحقيقيه فيبقى منها غفلا او ان يعتقد عن تقليد اعتقادا فاسدا فيتمسك به
ودرجتين فى العمل وهما ان لا يتعود العادة الجميله راسا وان يتعود العادة القبيحة
فمن صار فى الفضيله الى الدرجة الرابعة فهو ممن شرح الله صدره للاسلام

ثم قال هو على نور من ربه ومن صار في الرذيلة الى الدرجة الرابعة فهو ممن وصفهم
الله تعالى اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها وقيل الحكيم الا تغلظ فلانا فقال ذاك على قلبه
قفل ضاع مفتاحه فلا سبيل الى معالجة فتحه وللانسان مع كل فضيلة و
رذيلة ثلاث احوال اما ان يكون في ابتدائها فيقال هو عبدها وابنها ولهذا
قال بعضهم من لم يخدم العلم لم يرعه والثاني ان يتوسطها فيقال هو
اخوها وصاحبها والثالث ان ينتهي فيها بقدر وسعه ويتصرف فيها
كما اراد فيقال هو ربها وسيدها ومنه قيل فلان ربان في العلم فان
رب الشيء هو الذي يربه وسيده هو الذي يملك سواه اي جمعه
وغاية الفاضل في الفضيلة ان تقع منه افعال الفضايل ابدا من غير
فكر ولا روية لغلبة قواها عليه وبعد ما بينها فيها فيه منه كالصانع
الحاذق في صنعته وغاية الرذل في الرذيلة ان تقع منه الرذايل
بغلبة قواها عليه ولهذا اخذ الخلق بانمحاء للانسان داعية الى الفعل من غير
فكر ولا روية ٢١ باب الفرق بين ما يحمد ويذم ٢١

الفرق بين الخلق والتخلق ان التخلق معه استثقال واكتياب ويحتاج الى
بعث وتشبه من خارج والخلق معه استخفاف وارتياح ولا يحتاج
الى بعث من خارج والتخلق والتشبه بالافاضل ضربان محمود ومذموم
فالمحمود ما كان على سبيل الارتياض والتدرب وتحراه صاحبه
سرا وجهرا على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي واياه قصد

بقوله ولن تستطيع الخلق حتى تخلقا ٠ بل قال صلى الله عليه وسلم
ما العلم الا بالتعلم وما الحلم الا بالتحلم والمذموم ما كان على سبيل
المراءاة ولاستجراء صاحبه الاجنبي يقصد ان يذكر به ويسمى ذلك رياء
وتصنعا وتشبعا وان ينفك صاحبه من اضطراب يدل على تشبعه كما قال
كليله الطبع المتكلف كلما ازددته تثقيفا ازداد تعقيفا وعلى ذلك
قول الشاعر — واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شيء في طباع على ضده ٠
واياه قصد عمر رضي الله عنه بقوله من تخلق للناس بغير ما في نفسه فضحه
وحال المتشبع كالجرح يندمل على فساد فلا بد ان ينبعث وان كان بعد
حين — فان الجرح يغور بعد حين اذا كان البنا على فساد ٠
وكما ان العضو المفلوج لا يطاوع صاحبه في تحركه وان جاهده فمتى حركه
الى اليمين تحرك نحو الشمال كذا ايضا الشره والظلوم والمتهور وان
جاهدوا انفسهم في اخفايها فان قواهم وتابى مطاوعتهم وقد ذم
عليه السلام ذلك فقال المتشبع بما ليس عنده كلابس ثوبي زور تنبيها
انه كاذب في قوله وفعله وعلى ذلك حمل قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون واياه قصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الشرك الخفي
في امتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وقبح الرياء النفاق
في الدين واقبح النفاق ما كان في اصل الاعتقاد وهو اظهار الايمان مع
استبطان الكفر ولذلك جعل تعالى عقابهم اعظم فقال
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ٠ ٠

باب سبب اختلاف الناس في اخلاقهم

جميع الفضايل النفسيه ضربان نظري وعملي وكل ضرب منها يحصل على وجهين احدهما بتعلم بشري يحتاج فيه الى زمان وتدرب وممارسة ويتقوى الانسان فيه درجة فدرجة وان كان فيهم من يكفيه ادنى مدارسة وفيهم من يحتاج الى زيادة ممارسه وذلك بحسب اختلاف الطبايع في الذكا والبلادة والثاني يحصل بفيض الهي نحو ان يولد انسان فصيح من غير معلم من البشر عالما كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا وغيرهما من الانبيا عليهم السلام الذين حصل لهم من المعارف من غير ممارسة ما لم تحصل للحكما وذكر بعضهم ان ذلك قد يحصل لغير الانبيا ايضا في الفينه بعد الفينة وكل ما كان يتدرب فقد يكون بالطبع كصبي يوجد صادق اللهجة وسخيا وجريا واخر على عكس ذلك فقد يكون بالتعلم والعادة فمن صار فاضلا طبعا وعادة وتعلما فهو كامل الفضيله ومن كان ذلك بثلاثتها فهو كامل الرذيله

باب وجوب اكتساب الفضيله المحمودة

حث الانسان في كل فضيله ان يكتسبها خلقا وجعل نفسه ذا هيئة مستعدة لذلك سوا امكنه ذلك ان يبرزه فعلا اولم يمكنه وذلك ان يكون عاهية الاحجا والشجعان والحكما والعدول وان لم يكن ذا مال يبذله ولا عرض له مقام يظهر فيه نجدته ولا معاملة يبنيه وبين غيره يبرز فيها عدالته وقد قيل لبعض الحكما هل من جود يعم به الوري فقال نعم ان تحسن خلقك وتسوي لكل احد خيرا وقال صلى الله عليه لن تسعوا الناس باموالكم فسعوها باخلاقكم

واعلم ان كل فعل تحتاج فيه الى الجاده وتجويده وتزيينه دنيويا كان او اخرويا لكن متى كان اخرويا تحتاج فيه مع ذلك الى امور لا تتم ولا تكمل الا بها وهو انه يجب ان يتعاطاها قصدا الى المكرمة كما قال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغا مرضات الله وتحراه بخلوص الطوية كما قال عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وان لا يقصد بها جر منفعه دنيويه او دفع مضرة فانه يكون بفعله ذلك تاجرا ويجب عند بعض المحققين ان لا يطلب به منفعة اخرويه ايضا فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم ومن فعل ذلك بانشراح صدر فهو اولى ممن يفعله لمجاهدة نفس ولقد قال صلى الله عليه ان استطعت ان تعمل لله في الرضى بالمقين فافعل والا ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقولهم الحق مر فهو اعتبار من لم تهذب نفسه ولم يزل مرضه فمن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الما الزلالا

فاما من كمل فانه يستطيب الحق وان كان ثقيلا كما قال صلى الله عليه وجعل قرة عيني في الصلوة ومن اصلح خلقه وهذب نفسه فهو اعظم الملكين فمن ملك نفسه وقواها وهذبها وزكاها فقد اطلع بذلك على ملكوت السموات والارض وملك اطوع جيش بلا عطايا يلزمه وقد نبه عز وجل على ذلك بقوله اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين فجعل النبوة مخصوصة فيهم وجعل الملك عاما لهم فنبهها على المعنى الذي ذكرته وعلى ذلك قوله عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما

باب انواع نعم الله الموهوبه والمكسوبه

نعم الله تعالى وان كانت لاتحصى مفصله كما قال تعالى وان تعدوا نعمه الله لا
تحصوها فانها بالقول المجمل خمسه انواع الاول وهو اعلاها واشرفها
السعاده الاخرويه واياها قصد بقوله تعالى واما الذين سعدوا ففي
الجنه خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ
وذلك هو الخير المحض والفضيله الصرف وهو اربعه اشياء بقاء بلافنا
وعلم بلاجهل وقدره بلاعجز وغنى بلافقر ولا يمكن الوصول اليه ذلك الا
باكتساب الفضايل النفسيه واستعمالها كما قال عز وجل ومن اراد
الاخره وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا واصول
ذلك اربعه اشياء العقل وكمال العلم والعفه وكمال الورع والشجاعه
وكمالها المجاهده والعداله وكمالها الانصاف وهي المعبر عنها بالدين
ويكمل ذلك بالفضايل البدنيه وهي اربعه اشياء الصحه والقوه والجمال
وطول العمر وبالفضايل المطيفه بالانسان وهي اربعه اشياء المال والاهل
والعز وكرم العشيره ولا تحصيل سبيل الى تحصيل ذلك الا بتوفيق الله
عز وجل وذلك باربعه اشياء هدايته ورشده وتسديده وتاييده فجميع
ذلك خمسه انواع هي عشرون ضربا ليس للانسان مدخل في اكتسابها
الا فيما هو نفسي فقط واعلم ان الفضيله الكامله والسعاده
الحقيقيه هي الخيرات الاخرويه وممتا عداها فتسميته بذلك اما لكونه
معاونا في بلوغ ذلك او نافعا فيه فكل ما اعان على خير وسعاده فهو خير

وسعاده وهذه الاشيا التي هي معينه ونافعه في بلوغ السعاده
الاخرويه متفاوته الاحوال فمنها ما هو نافع في جميع الاحوال على كل وجه
ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وربما يكون ضرره اكثر من
نفعه فحق الانسان ان يعرفها بحقايقها حتى لا يقع الخطا عليه في اختياره
الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس فالناس في متجر بايعها
طالب خير وهارب عن شر كما قال

كل يحاول حيله يرجو بها دفع المضره وجلب المنفعه
والمرء يغلط في تصرف حاله فربما اختار العنا على الدعه
لكن قد يحسب الشحم فيمن شحمه ورم . ويقتدى في الشي انه رزق نافع وحشوه سم
نافع فلذلك يحق على العاقل ان يتحرى بصيرته وطلب يعرف من كل ما يطلب
حقيقته ليلا يكون كمن يريد جبلا ينتطوبه فرأى حيه فظنه مبتغاه
فاخذها فلدغته وقد قسمت الخيرات على وجه آخر فقيل الخيرات ثلاث
موثره لذاتها وموثره لغيرها وموثره تاره لغيرها وتاره لذاتها فالموثره
لذاتها السعاده الاخرويه والنفسيه والموثره لغيرها الدراهم والدنانير
فانا لو تصورنا ارتفاع الضرورات التي تشتد فع بها لكانت هي والحصبا
سوا والموثره تاره لذاتها وتاره لغيرها كصحه الجسم فمعلوم ان الرجل
وان اريدت للمشي فالانسان يريد صحه الرجل وان استغنى عن المشي
ويقال ايضا الخيرات ثلاث نافع وجميل ولذيذ والشرور بلثه ضار
وقبيح ومولم وكل واحد من ذلك ضربان احدهما مطلق وهو الذي يجمع الاوصاف

الثالثه في الخير كالحكمة فانها نافعه وجميله ولذيذة وفي الشر كالجهل
فانها ضار وقبيح ومؤلم والثاني مفيد وهو الذي جمع شيا من اوصاف
الخيرات وشيا من اوصاف الشرور فرب نافع مؤذ كجرع قصبر انفه
فانه وان نفعه في ادراك الثار فقد اذاه ورب نافع قبيح كالحمق فانه
وان نفع من حيث ما قيل استراح من لا عقل له فهو جد قبيح ورب نافع
من وجه ضار من وجه آخر كمن في سفينه مخاف الغرق فالقى متاعه
في الما فخلصت السفينه وكل ما نفعه ولذته وجماله اطول مدة
واعم عايدة فهو افضل فحق العاقل ان يرغب الى الله عز وجل في ان
يعطيه ما فيه مصلحته مما سبيل له بنفسه الى اكتسابه وان يبذل
جهده مستعينا بالله تعالى في اكتساب ماله كسبه وبلوغ الاعلى
فالاعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف ومن ضيع انفس المقتنيات
مع التمكن من تحصيله فهو دني الهمة راض بخسيس الحال واشرفها
ما اذا حصل لم يغصب ولم يحتج في حفظه الى اعوان وحفظة وكان نافعا
عاجلا واجلا ومطلقا في كل حال وكل زمان ومكان وذلك هو الفضايل
النفسية ولا سيما العقل والعلم فاما القنيات الجالبه من
الجاه والمال فانما يقال لها الخيرات المتوسطه لانها تجذب الى
الفضيله مرة والى الرذيلة مرة لانها سبب للخيرات اذا كانت مع الغفل
وسبب للشر اذا كانت مع الجهل وقد نبه الله عز وجل على كون ذلك
سببا للشرور بقوله انما اموالكم واولادكم فتنه وقوله تعالى فلا تعجبك

اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا ولذلك قيل
السعيد هو الخير العاقل غنيا كان او فقيرا قويا كان او ضعيفا ان
قيل ما الخير والسعادة والفضيلة والنافع وهل بينها فرق
قيل اما الخير المطلق فهو المختار لاجل نفسه والمختار غيره لاجله
وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل قد قيل هو الذي تشوقه الكل بلا شعور به
فان الكل بالحقيقه يطلب الخير وان كان قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره
فمقصده الخير وبضادة الشر وهو المجتوي من اجل نفسه والمجتوى من اجل
غيره من اجله قال النبي صلى الله عليه لا خير بخير بعده النار ولا شر
بشر بعده الجنه فجعل الخير المطلق الجنه والشر المطلق النار كما ترى
وقد يقال الكل ما يتوصل به الى الخير خير ولهذا قد سمى الله تعالى المال
خيرا في قوله ان ترك خيرا الكن المال والجاه في الحقيقة قد يكونان خيرا
لبعض الناس وشرا لبعضهم فمعلوم انه كان شرا لمن قال فيه تعالى
يحسب ان ماله اخلده واما السعاده المطلقه فحسن الحياة في
الاخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها من البقا بلا فنا والقدرة بلا عجز
والعلم بلا جهل والغنى بلا فقر وقد يقال لما يتوصل به الى هذه السعادات
الاربع سعادة وهي الستة عشر المتقدمه وبضادتها الشقاوة
واما الفضيله فاسم لما تحصل به الانسان مزيه على غيره وهو اسم لما
يتوصل به الى السعاده وبضادتها الرذيلة واما النافع فهو ما يعين
على بلوغ الفضيله والسعادة والخير والنافع في الشي ضربان ضروري وهو

ما لا يمكن الوصول الى المطلوب الا به كالعمل والعمل الصالح للمكلفين
كالمكتسبين في البلوغ الى النعيم الدايم وغير ضروري وهو الذي قد يسد غيره
مسده كالمكتسبين في كونه قامعا للصفر فان ذلك قد يسد غيره مسده
وكل نافع قد يسمى فضيله وسعادة وخير الكونه مبلغا اليا ذلك ٢٤
باب حاجة بعض هذه الفضايل الى بعض
قد ثبت بما تقدم ان الخيرات والفضايل خمسة انواع اخرويه
ونفسيه وبدنيه وخارجة وتوفيقيه فيجب ان تعلم ان بعض
ذلك يحتاج الى بعض اما حاجة ضرورية بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح
وجود الآخر او خارجة ناقصة بحيث لو لم يوجد لاختل حالة الآخر
وذلك ان السعادة الحقيقية الاخروية لا سبيل لنا الى الوصول اليها
الا باكتساب الفضايل النفسيه ولذلك قال عز وجل ومن اراد الاخره
وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا فنبه انه لا
مطمع لمن اراد الوصول اليها الا بالسعي ولا سبيل الى الفضايل النفسيه
الا بصحة البدن وقوته لانه لا غنى لكمال الفضايل النفسيه والبدنيه
من الفضايل الخارجة فانه وان امكن حصولها لمن لا اهل له ولا مال ولا عشيرة
فانه لا يكمل الا بهاه باب الفضايل المطيفة بالانسان ٢٥
قد تقدم ان ذلك بالقول المجمل اربعة اشيا المال والاهل والعز
وكرم العشيرة وان هذه الاشيا نافعه في بلوغ الفضيلة الحقيقية و
السعادة الاخرويه رجاية مجرى الجناح المبلغ وان لم تكن الحاجة

تكمل اربعك وعدم كماله

اليها في بلوغ ذلك ضرورية فاما المال فصاحبه تمكن من فضايل اذا
فقده تكمل بلوغها فمعلوم ان كثيرا من القرب كالزكوة والحج تشكله الفقير
فالفقير في تحري المكارم كساع الى الهيجا بغير سلاح وكباز متصيد بالجناح
وفضله ما مغطى تحت الارض ونار كامنة في الصخر وما اصدق ما قال
الشاعر والمرء يرفعه الغنى والفقر منقصه وذل وقول الآخر
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وكان النبي صلى الله عليه يقول اللهم اني اسئلك الهدى والتقى والعفة
والغنى وقال صلى الله عليه نعم العون على تقوى الله المال واما
الاهل فنعم العون على بلوغ السعادة فمن كثر اهله وخلصوه صار له
به بهم عيون واذان وايد وقال تعالى حاكيا عن لوط عليه السلام لو ان
لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد وقال الشاعر
الم تر ان جمع القوم يخشى وان حرمهم واحدهم مباح
وقال صلى الله عليه
ينفع الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلث صدقة جاره وعلم ينتفع
به وولد صالح يدعو له وقال صلى الله عليه دخل الولد من زاحمة الجنة
وقال نعم العون على الدين المراة الصالحة فالمراة مزرعة الرجل قيضها الله
تعالى ليزرع فيها نوعه كما قال عز وجل نساوكم حرث لكم واما
العز فيه يتاتى عن تحمل الذل ومن لا عز له لا يمكنه ان يذود عن حرمه
ولذلك قيل الدين والسلطان اخوان توامان وقرينان مؤتلفان ومودان
الى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل الدين اس والسلطان حارس وما لا اس له

فهدوم وما لاحارس له فضايع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا لقهرها
اهل البصاير وقال عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض واما كرم العشيرة فانه يقال له الحسب والشرف لخص بمآثر
الاباء والعشيرة ولذلك يقال للعلو به اشراف ومن الناس من لا يعد شرف
الاصل فضيله فقال المرء بنفسه واستدل بقول امير المومنين رضى الله
عنه الناس ابناء ما يحسنون وقوله قيمة كل امرء ما يحسنه
وانشد — كن ابن من شئت واكتسب ادبا يغنيك محموده عن النسب
وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس ذلك كما ظن
لان كرم الاعمام والاخوال يخيلة لكرم المرء مظنة له فالفرع وان كان
قد يفسد احيانا فمعلوم ان الاصل اصله بورث الفضيله والرذيله فانه
لا يكون من النخل الحنظل ومن الحنظل النخل ولذلك قال
وما يك من خير اتوه فانه توارثه اباء اباهم قبل
وهل ينبت الخطى الا وشيجة وتغرس الا في منابتها النخل وقيل
وابن السري اذا سرى اسراهما ويبين ذلك ان الاخلاق تناسج الامزجه
ومزاج الابن كثيرا ما يتادى الى الابن كالالوان والخلق والصورة ومن اجل
تاديها اليه قال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال اياكم وخضراء
الدمن وما ذكر من قول امير المومنين رضى الله عنه الناس ابناء ما
يحسنون فحث للانسان على اقتباس العلا ونهى عن الاقتصار على ما ثر
الاباء وان المآثرة الموروثه قلما تسلم من الخاسر بعة الفنا ما لم يضامها

فضيله النفس لان ذلك انما حمد لكي يوجد الفرع مثله ومتى اخلف الفرع
وتخلف فكانه تخبر باحد شيئين اما بتكذيبه في انتسابه الى ذلك العنصر
وما فيها حط للمختار والمحمود ان يكون الاصل راسخا في الفضل والفرع شاملا
كما قال الشاعر — زانوا قديمهم بحسن مجدهم وكريم اخلاق وحسن خصال
ومن يجمع له الامران فلان يكون شريف النفس ذي الاصل اجمل من
ان يكون ذي الا النفس شريف الاصل شعر
فما الحسب الموروث لا در درة بمحتسب الا بآخر مكتسب
اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبه من المثمرات اعتده الناس في الحطب
ومن كان عنصره في الحقيقة سنيا وهو في نفسه دني فذلك انى اتى اما من
اهماله نفسه وسومها واما لتعود عادات قبيحه وصحبة اشرار وغير
ذلك من العوارض المفسده للعناصر فليس سبب الرذيله شيا واحدا

الفضايل الجسميه

قد استهان قوم بذلك وقالوا كفى بالمرء ان يكون صحيح البدن بريا من الامراض
الشاغلة عن تحري الفضايل العقلية وليس كذلك فالبدن للنفس بمنزلة
الآلة للصانع والسفينة للربان الذين بهما صار الصانع وربانا وجميع
اجزاء البدن بالقول المجمل اربعة العظام التي تجري للبدن كالالواح
واللحم الذي يجري مجرى الحشو للرباطات والجلد الذي يجري مجرى الغشاء
لجميعها فاذا اعتدلت هذه الاربعة بان يعتدل فيها الاربع القوى
وهي الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة سمي ذلك صحة ولو لا صحة

للمعينه والعصب الذي يجري
الرباط الذي يشد به الالواح

البدن لما حصل انتفاع به واما القوة فهي جودة تركيب هذه الاركان
الاربعة وهي العظام والعصب واللحم والجلد وما يتبعها وبها حصل البدن
للسعي والتصرف في امور الدنيا والاخرة واما الجمال فنوعان احدهما
امتلاء القامة الذي يكون من الحرارة الغريزية فان الحرارة اذا حصلت
رفعت اجزاء البدن الى العلو كالنبات اذا نجم كلما كان الطلب للعلو في منبته
كان اشرف في جنسه وللاعتبار بذلك استعمل في كل ما جاد في جنسه
العالي والغابر وكثر المدح بطول القامة كما قال
كان ثمرا المتبطرية علقت علابيها منه بجذع مقوم ٭ اخر
اشم طويل الساعدين كأنما يناط بخطي سيفه بلوا ٭ والثاني
من الجمال ان يكون مقدود اقوى العصب طويل الاطراف ممتلئها
رحب الذراع غير مشغل بالشحم واللحم كما قال
فتى قد قد السيف لا متضائل ولا رهل لبانة والبجله ٭
ولا يعني بالجمال ها هنا ما تعلق به الشهوة من الرجال والنساء
وذلك انوثيه وانما يعني به الهيئة التي لا ينبو الطبع عن النظر
اليها وهو دال شيء على فضيلة النفس لان نورها اذا اشرق تلألأ
الى البدن اشراقها وكل شخص له حكمان احدهما من قبل جسمه
وهو منظره والاخر من قبل نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان
ولذلك فزع اصحاب الفراسة في معرفة احوال النفس اولا الى
الهيات البدنية حتى قال بعض الحكماء قل صورة حسنة يتبعها

نفس رديئة فنفس الحيوانات مستقرة من الطين وطلاقة الوجه عنوان
ما في النفس وليس في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه وقال
صلى الله عليه اطلبوا الحاجات الى حسان الوجوه وقال عمر رضي الله
عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم فالوجه
والعين تظهر فيهما آثار النفس وكالمرآة تشتد لهما عليها
ولذلك يظهر فيها اثر سرور النفس وحزنها ورضاها وسخطها
ولذلك عبر بالوجه عن الجملة وعن رئيس القوم ايضا فقيل فلان
وجه القوم وعينهم وحتى قال عز وجل كل شيء هالك الا وجهه
وكون الوجه المقبول في دلالته على النفس وفضيلتها وان لم يكن حكما
لازما فهو على الاعم الاكثر وحكي ان المأمون استعرض جيشا
فمر به رجل قبيح الوجه فاستطقه فوجده الكن فامر باسقاطه
وقال ان الروح اذا كانت ظاهره كانت صباحة واذا كانت باطنه
كانت فصاحة واراه لا باطن له ولا ظاهر وكفاك من البيان في
فضل جمال الاسم قول الله عز وجل ان الله اصطفاه عليكم وزاده
بسطة في العلم والجسم وقال تعالى وزادكم في الخلق بسطة ولما طول
العمر ولولاه لفات حظ الانسان من السعادات الدنيوية التي ولاها ما نيلت
السعادات الاخروية ٭ باب الفضائل التوفيقية
التوفيق موافقه ارادة من الانسان لفعله قضاء الله عز وجل وقدره
وهو وان كان موضوعا في الاصل على وجه يصح استعماله في السعادة

والشقاوة فقد صار متعارفا في السعادة فقط والاتفاق مطاوعة
التوفيق لكن قد يستعمل في السعادة والشقاوة جميعا فيقال اتفاق جيد
واتفاق رديء والتوفيق مما لا يستغني عنه الانسان في كل حال
كما قيل لحكيم ما الذي لا يستغني عنه احد في كل حال فقال التوفيق وانه
اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده ۞ والسعادة
التوفيقية هي الهداية والرشد والتسديد والتاييد فيجب ان يعلم ان لا
سبيل لاحد الى شيء من الفضايل الا بهداية الله تعالى فهي مبدا الخيرات
ومنتهاها كما قال اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وخاطب عز وجل الناس
فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي هدايته ما زكى منكم من احد ابدا
ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه ما احد يدخل الجنة الا برحمة
الله اي هداية قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا بتنبيهه انه لو لم تتوهمت
رحمته من تفعه ابتداء وانتهاء ما كان لنا سبيل الى ذلك وللهداية
ثلث منازل في الدنيا الاول تعريف طريق الخير والشر المشار اليهما
بقوله وهديناه النجدين وقد خول الله تعالى الهدى كل مكلف بعضه
بالعقل وبعضه بالسنة الرسل واياه عنى بقوله تعالى فاما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى والثاني ما يمد به العبد حالا فحالا لا
حسب استزادته من العلم والعمل الصالح واياه عنى بقوله تعالى والذين
اهتدوا زادهم هدى والثالث نور الولاية التي هي فاتق نور النبوة
واياه عنى بقوله قل ان هدى الله هو الهدى فاضاف ذلك الى نفسه

تعظيما له ثم قال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي نورا تفرقون به
بين الحق والباطل وكل ذلك يسمى النور والحياة نحو او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي الاية وقال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه وتحرى هذه المنازل الثلث يتوصل الى الهداية للجنة المذكورة
في قوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدينا الله والرشد عناية الهية تعن للناس عند توجههم في اموره
فيقويه على ما فيه يسداده واكثر ما يكون ذلك من الباطن نحو قوله ولقد
اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين وكثيرا ما يكون ذلك بتقوية
العزم او بفسخه واليه توجه قوله واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه والتسديد ان تقوم ارادته وحركاته نحو الغرض المطلوب ليهجم عليه
في اسرع مدة يمكن الوصول فيها اليه وهو المسؤول بقوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم والنصرة من الله تعالى معونة الانبياء والاولياء
وصالحي العباد بما يودي الى اصلاحهم عاجلا واجلا وذلك يكون تارة
من خارج بمن يقيضه الله تعالى فيعينه وتارة من داخل بان يقوي
قلوب الاولياء ويلقي رعبا في قلوب الاعداء وعلى ذلك قوله عز وجل
انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد
وقوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون واما ما يختص بسعادة الدنيا ولا يعتبر فيه
العاقبة فيقال له الدولة والدولة وعلى هذا قوله تعالى وتلك الايام نداولها

للانسان ٤

ع الا ان يتعلم البركة
اي بهدايته صح

وقوله عز وجل في وصف التي كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم والتاييد
تقوية امره من داخل بالبصيرة ومن خارج بقوة البطش والاول
قال تعالى أيدتك بروح القدس والعصمة فيض الهي يقوى بها الانسان
على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع له من باطنه وان لم يكن مانعا
محسوسا واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان
ربه وقد روى ان يوسف عليه السلام راى صورة يعقوب صلى الله عليه
وهو عاض على ابهامه فاجم وليس ذلك بمانع بناء في التكليف كما تصوره
بعض المتكلمين فان ذلك كان تصورا منه وتذكرا لما كان حذره وعلى هذا
قال الكذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ومن عصمته تعالى ان يكرر
الوعيد على من يريد عصمته كيلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه كما قال
تعالى لنبيه عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين واعلم ان رشده تعالى للعبد وتسديده وعصمته ونصرته
يكون بما تحول من الفهم الثاقب والسمع الواعي والقلب المراعي وتقييض
الناصح له والرفيق الموافق وامداده من المال بما لا يقعده عن مغزاه
قلته ولا يشغله عنه كثرته ومن العشيرة والعزما يصونه عن سفلة
السفها وعن الغض منه من جهة الاجنبيا وان تحوله من كبر الهمة وقوة العزيمة
ما يحفظه عن التهيف الدنية والتاخر عن بلوغ منزلة سنية ه

باب ما يتولد من الفضايل النفسية

امهات الفضايل النفسيه وان كن اربعا فلهن بنات هن امهات لفضايل

جودة
لفضايل اخر وبيان ذلك ان العقل متى تقوى تولد من حسن نظره حسن الفكرة
وجودة الذكر ومن حسن فعله الفطنه وجزالة الراى وتولد من اجتماع
اربعتها جودة الحفظ وجودة الفهم والشجاعة متى تقوت تولد منها الجود
في حال الغمة والصبر في حال المحنة والصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصة
بالجوليه كما قال خلقنا رجالا للتجلد والاسى وهن الغواني للبكا والمآتم
والعفة اذا قويت ولدت القناعة والقناعة تمنع من الطمع في مال غيره فتولد
الامانه والعدالة اذا قويت تولد الرحمة والرحمة هي الاشفاق من ان يفوت
ذا حق حقه فهي تولد الحلم والحلم يقتضي العفو والانسانيه يجمع هذه
الفضايل وذلك ان الانسانية هي الفضايل النفسية المختصة بالانسان
وبقدر ما يكتسبه الانسان يستحقها وفيها تفاضل كثير كما تقدم في الفرق
بين الانسان والانسان فمنهم من قد ارتفع حتى التحق بافق الملك فلو تصورنا
ملكا جسميا لكان هو اياه لا ترتفاعه عن الانسانيه الا بالصوره التخطيطية
وعلى هذا قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم من هو
في اوساط هذين الدرجتين من درجات لها كثيرة ولهذا صح ان يقال فلان
اكثر انسانية من فلان وملخص به لفظ الانسانيه هو الاخلاق و
الافعال المحمودة فاما المذمومات من الاخلاق فيشارك الانسان فيها
البهايم والشياطين واما المروة فلها اشتقاق فان في احدهما تقتضي
ان تكون هي والانسانيه متقاربتين وهو ان تجعل من قولهم مرؤ الطعام وامراه
اذا تخصص بالمرئ لموافقته الطبع فكانها اسم للاخلاق والافعال التي يقبلها

الفضايل الاخلاقية كلها ارفع من الصناعة فلان الصناعة لا تتصور الا في الانسان والفضيلة قد تتصور في غيره وايضا فان الفضيلة الخلقية تتصور في الانسان وفي غيره بخلاف التخطيطية

النفوس السليمة تعلى هذا لكون اسما للافعال المستحسنه كالانسانيه
والثاني ان تكون من المرء فيجعل اسما للمحاسن التي تختص بها الرجل دون
المراة فتكون كالرجوليه وذلك اخص من الانسانيه اذ الانسانية يشترك
فيها الرجال والنسا والمروة اخص فكثيرا ما يكون فضيله للمراة يكون رذيلة
للرجل كالبسله والخفر والبخل والجبن ولهذا قيل افضل اخلاق الرجال
ارذل اخلاق النسا فالكيس والشجاعة والجود رذيلة لهن وقيل لمعويه
رضي الله عنه ما المروة فقال اطعام الطعام وضرب الهام وقيل للاحنف
فقال ان لا تفعل في السر ما تستحي منه في العلانيه وقيل لاخر فقال
جماعها في قول الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الايه واما
الكرم فاسم لجماعة الاخلاق والافعال المحمودة اذا ظهرت بالفعل والحريه
مثله لكن يقال ذلك فيمن لا يستعبد المطامع والاغراض الدنيويه
يقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة والكرم لا يقال الا في المحاسن الكبيرة
وذكر بعض الحكما ان الحريه يقل في المحاسن الكبيرة كمن ينفق مالا في
تجهيز جيش في سبيل الله او تحمل حمالة برفاد ما قبيلة فكل كرم حريه
وليس كل حريه كرما وايضا فالحريه يتعلق بالتطلف عن الاخذ
الكثير والكرم يتعلق بالانفاق الكثير وضد الكرم اللوم والحريه العبوديه اعني
المذكورة في قوله والعبد لا يطلب العلا ولا يعطيك شيا الا اذا رهبا
وكما ان الكرم اعم من الجود فاللوم اعم من البخل ولا يدخل في الحريه والكرم
النسا فانهن مستعبدات ولذلك دعي لوامر الله مخلوقا بعبادة
مستحق قابل مستعبد
مخلوق لامر النسا بعبادة ازواجهن ان قيل ما حقيقة قول الله عز وجل

ان اكرمكم عند الله اتقيكم قيل لما كان الكرم اسما للافعال المحمودة التي تقدم
ذكرها وهذه الافعال انما تكون فاضلة اذا كانت عن علم وقصدها اشرف
الوجوه اي وجه الله تعالى وذلك هو التقوى فليست التقوى الا العلم
وتحري الافعال المحمودة فاذا كل من هو اتقى كان اكرم والعزيز الذي
يتحمل يشاق المذلة واشتقاقه من العزاز وهو كالمتطلف في الامتناع من تناول
الشهوات المذلة واصله من الظلف اي الارض الصلبة وفرق بعض الحكما
بين العزيز والكريم فقال الكريم باي ان يقضى له والعزيز باي ان يقضى عليه
والظرف اسم لحالة تجمع عامة الفضايل النفسيه والبدنيه والخارجة
تشبيها بالظرف الذي هو الوعا ولذلك قال العرابي فلان حاضن الشرف
ومقر الفضل ولكونه واقعا على كل ذلك قيل لمن حصل له علم وشجاعة
ظريف ولمن حسن لباسه واثاثه وريائه ظريف فالظريف اعم من الحريه
والكرم واما الفتوة فكالمروة فانها اسم لما تختص به الفتى من
الفضايل الانسانية لكن هي بالرجوليه اشبه وقد استعارت الصوفية
لفظ الفتوة للتصوف لكونها مشاركة له في جميع افعالها الا
في الغرض لان غرض الفتيان استجلاب محمدة الاقران وغرض المتصوفه
استجلاب محمدة الرحمن بل مجرد مرضاته تعالى واما الحسب
فقد يقال فيما يختص به الانسان فيعده من مآثره وقد يقال فيما يوثر
عن ابايه والشرف نحوه لكن اكثر ما يقال فيما يوثر عن الاباء

باب في تلازم الفضايل النفسيه بعضها ببعض

العقل والعفه والشجاعة والجود والعدالة وسايرالفضايل فتلازم
فان العقل اذا اشرق عقل صاحبه عن الاقدام على مايورثه مذمته
ويحمله على الاقدام على المخاوف التي تورثه المحمدة وعلى ان يسمح بفضلات
ما في يده لمن يحتاج اليه وان يبذل لكل ذي حق حقه وذلك هو العفه
والشجاعة والعدالة وكذا اذا كان عدلا احمله عدله على ترك تناول مالا
يجوز تناوله وان لا يحجم عما يلزمه الاقدام عليه وان لا يبخل بفضلات
ما في يده واذا كان شجاعا لا يقهره شهوته على تناول مالا يجوز تناوله
وعلى ظلم غيره ولا يخاف الفقر فيبخل وبهذا النظر جعل بعض الشعرا
السماحه شجاعه والشجاعة سماحه فقال

ايقنت ان من السماح شجاعة ... وان من الشجاعة جودا

وجعل النبي صلى الله عليه دفع الشهوة جهادا فقال جهادك هواك و
جعلت العفه جودا فقيل الجود جودان جود بما في يدك وجود بما في يد
غيرك وهو اعظمها وهذه الفضايل اذا حصلت حصل بها الانسانيه
والحريه وعنهما يتاصل الاسلام والايمان والتقوى والاخلاص

باب البواعث على فعل الخير

البواعث على تحري الخيرات الدنيويه ثلاث ادناها الترغيب
الترهيب ممن يخشى ضره ويرجى نفعه والثانيه حب الحمد وخوف
الذم ممن يعتد بحمده وذمه والثالثه تحري الخير وطلب الفضيله
فالاولى من مقتضى الشهوه وذلك من فعل العامه والثانيه من مقتضى الحيا

وهو من فعل السلاطين والثالثه من مقتضى العقل وذلك من فعل الحكما
خيس ولهذه المنازل قيل ما اعطى الانسان عقل يردعه فان لم يكن فحيا يمنعه
فان لم يكن فخوف يقمعه فان لم يكن فمال يستره فان لم يكن فصاعقه تحرقه
ترتاح منه العباد والبلاد وكذلك البواعث على الخيرات الاخرويه
ثلث الاولى الرغبه في ثواب الله والمخافه من عقابه وذلك منزلة العامه
والثانيه رجا حمده ومخافه ذمه وذلك منزلة الصالحين والثالثه
طلب مرضاة الله في المحبات وذلك منزلة النبيين والصديقين والشهدا
وهي اعزها وجودا ولذلك قال بعضهم افضل ما يتقرب به العبد الى الله
عز وجل ان يعلم انه لا يريد عن الدنيا والاخره غيره قال الله عز وجل
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه و
قيل لرابعه لم لا تسئلين الجنه في دعايك فقالت الجار ثم الدار وبهذا
النظر قال بعضهم من عبد الله بعوض فهو لئيم وقال بعض العلما هذه
المنازل الثلاثه منازل الظالم والمقتصد والسابق واجدر ان يكون
منازل هولا الثلثه ما روى عن النبي صلى الله عليه انه قال سايل العلما
وخالل الحكما وجالس الكبرا وقد قال بعض العلما مسايلة العلما ترغبك من
الله في ثوابه وتخوفك من عقابه ومخالله الحكما تقربك من الحمد وتبعدك من
الذم ومجالسة الكبرا تزهدك فيما عدا فضل الباري تعالى

ما الموانع من تحري الفضايل

وذلك ضربان قصور وتقصير فاما القصور فان لا يكون له الة وقدره على اكتسابها

او يكون له ذلك ولكن يعوقه عن استعماله عائق من مرض او شغل ضرورى
يعذر محاجته الى السعى فيما يسد به جوعته ويتيسر به عورته وهما
عدم الوسع المذكور فى قوله تعالى لا تكلف الله نفسا الا وسعها وداوا
الامر بن الفزع الى الله عز وجل والتضرع اليه بان يجبر نقصه بتمام جوده
وسعة رحمته واما التقصير فاربعة اشياء الاول ان يكون انسان
لا يعرف الحق من الباطل والجميل من القبيح فيبقى غفلا وداوا ده سهل وهو
التعليم الصايب والثانى ان يكون قد عرف ذلك لكن لم يتعود فعل
الصالح وزين له سوء عمله فراه حسنا تعاطاه وامره اصعب من الاول لكن
يمكن ان يقهر على العادة الجميلة حتى يتعودها وان كان قد قيل ترك العادة شديد
والثالث ان يعتقد فى الباطل انه الحق وفى القبيح انه الجميل وترقى عن ذلك
ومداواته صعبة جدا فقد صار ممن طبع على قلبه اذ قد تنقش بنفس خسيس
كما عذكتب فيه ما يودى حذفه الى خرقه وفساده والرابع ان يكون
مع جهله وترتبه على فساد الاعتقاد شر يرا فى نفسه يرى الخلاعة
وقهر الناس فضيلة وذلك اصعبها وجوه والى نحوه قصد من قال من التعذيب
تاديب الذيب ليتهذب وغسل المسح ليبيض فالاول من هولا الاربعة
يقال له الجاهل والثانى يقال له الجاهل الفاسق والثالث يقال له الجاهل
والفاسق والضال والثالث يقال له الجاهل والفاسق والضال والشرير

والرابع

باب الارتقا فى درجات الفضايل والانحدار عنها الى اقصى الرذايل ٣٢

للانسان فى مهر تقى صعب ومنحدر سهل وعلى الارتقا فيها حث ربنا

منازل الفضايل

بقوله سارعوا الى مغفرة من ربكم وبقوله فاستبقوا الخيرات ومدح تعالى
قوما بقوله اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون وعن الاشرار
منهاهى تعالى بقوله ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين وبقوله تعالى
ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وذم قوما شانهم ذلك
بقوله ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول
لهم واملى لهم وبقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
فان الاية تقتضى هذا المعنى وان كان ظاهرها يدل على الجهل الذى يورثه الهرم
والخير استعير فى قبيها الى اشرف المنازل بارع درجات ومنحدر عنها
منتهى الى ارذل المنازل ايضا فما ادرجات الارتقا فاولها ان
يرتدع الانسان عن المآثم ويهجرها ويندم عليها ويعزم على ترك
معاودتها وذلك اولى درجة التايب المطيع لله ورسوله وثانيتها ان يقوم
بالعبادات الموظفه عليه ويسارع فيها بقدر وسعه وذلك درجة
الصالحين وثالثتها ان تحرى بعلمه الحقيقى تعاطى الحسنات من غير
تلفت منه الى المحظورات المجاهدة هواه واماته شهواته وذلك منزلة
الشهدا ورابعتها ان يكون مع حسن الاحوال المتقدمة يرضى
بقضا الله تعالى ولا يتزعزع وتحب حكمه ولا تسخط شيا من امره
ويعلم ان الله تعالى اولى به من نفسه وذلك درجة الصديقين وهذه المنازل
الاربعة هى المرادة بقوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن

اولیک نیقنا واجدر ان یکون هذه المنازل الاربعة هی المامور بها فی قوله
تعالی یا ایها الذین امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلکم تفلحون
واعلم ان منزلة الرضی اشرف المنازل بعد النبوة فمن رضی عن الله عز وجل
فقد رضی الله عنه لقوله تعالی رضی الله عنهم ورضوا عنه فجعل احد
الرضاین مقرونا بالاخر فمن بلغ هذه المنزلة فقد عرف خساسة الدنیا
واطلع علی جنة المأوی وخطب مودة الملا الاعلی بتحیتهم للعنیة
بقوله عز وجل والملائکة یدخلون علیهم من کل باب سلام علیکم بما صبرتم
فنعم عقبی الدار واما درجات الاکثار والایثار دعنها فاولاها الکسل عن
تحری الخیرات وبورثه ذلک الزیغ المعنی بقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
وثانیتها العباوة وهی ترک النظر وبغض العمل فیورثه ذلک ریبا علی قلبه المعنی
بقوله کلا بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون وثالثتها الوقاحة وهو ان
یرتکب الباطل ویراه فی صورة الحق ویذب عنه فیورثه ذلک قساوة القلب
کما قال عز وجل ثم قست قلوبکم من بعد ذلک فهی کالحجارة او اشد قسوة
ورابعتها الانهماک فی الباطل وهو ان یستحسنه وتحسنه فیورثه ذلک ختما
علی قلبه واقفالا علیه کما قال عز وجل ام علی قلوب اقفالها وکما قال تعالی
ختم الله علی قلوبهم وعلی سمعهم وعلی ابصارهم والکسل سبب العباوة
والعباوة سبب الوقاحة والوقاحة سبب الانهماک فی الباطل کما ان
الزیغ یوجب الرین والرین یوجب القساوة والقساوة توجب الختم
والاقفال فحق الانسان ان یراعی نفسه فی الابتداء ولا یترخص فی ارتکاب
الصغایر فیودیه ذلک ایضا ارتکاب الکبایر ان الامور دقیقها مما یهیج

به العظیم وقد قال عز وجل فان رجعک الله الی طایفة منهم فاستاذنوک
للخروج فقل لن تخرجوا معی ابدا ولن تقاتلوا معی عدوا انکم رضیتم بالقعود
اول مرة فاقعدوا مع الخالفین فدل ان قعودهم اول مرة اداهم الی ان
صاروا محکوما علیهم انه لا یبقی منهم الخروج معه علیه السلام بوجه ما

٢٣

باب بیان عادة الله فی تهذیب الذی تردد فی الرذایل

الناس ممن ترکوا تعاطی الاحسان والافضال وتحری العدالة فیما بینهم
فلا یاتونها لا خلقا ولا تخلقا ولا ریا ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة
فصاروا فی تعاطی الشر سواسیة کاسنان الحمار عدم فیهم الفضیلة
کما قال صلی الله علیه لن یزال الناس بخیر ما تباینوا فاذا تساووا
هلکوا فحینئذ ان بقی فی نفوسهم اثر القبول للخیر انشا الله تعالی
فیهم من یهذبهم بالسان والسیف المحرک بعثه النبی صلی الله علیه
فی العرب لما بقی فیهم من اثر الخیر تعظیم الشهر الحرام والبیت الحرام
والوفا بالذمام وان قل فیهم قبول الخیر سلط علیهم سیفا جابرا
کما قال تعالی وکذلک نولی بعض الظالمین بعضا وقال صلی الله علیه
ان الله تعالی ینتصف من اولیایه لاولیایه ومن اعدایه لاعدایه وعاملهم
بما عمل بنی اسرایل حیث سلط علیهم بخت نصر وان عدم منهم
اثر القبول بعث علیهم عذابا یفنیهم اما طوفانا واما جایحة
او نارا تحرقهم او نحافیها عذاب الیم او الجراد والقمل والضفادع والدم
فیطهر منهم البلاد ویریح منهم العباد کما صنع الله بعاد وثمود وقوم

لوط وقوم نوح وذلك كالارض اذا استولى عليها الشوك والدغل فلابد
من نسفها واحراقها بتسليط النار عليها حتى تعود بيضاء

محمار ٣٥ باب اصناف الناس

الناس ضربان خاص وعام فالخاص من تخصص من المعارف بالحقايق دون
التقليدات ومن الاعمال بما يتبلغ به الى جنة المأوى دون ما يقتصر به
على الحيوة الدنيا والعام اذا اعتبر بذلك فالذين يرضون من المعارف
من امور البلد بالتقليدات ومن اكثر الاعمال بما يعود الى منفعة دنيوية واذا
اعتبر بامور الدنيا فالخاص من تخصص بما ينخرم باقتقاده احد
السياسات المدنية والعام لا ينخرم باقتقاده شئ من ذلك وهم
من وجه آخر ثلثة اضرب خاصة وعامة واوساط والاوساط وهم
المسمون في كلام العرب بالسوقة فالخاص هو الذي يسوس ولا
يساس والعام الذي يساس ولا يسوس والوسط الذي يسوسه
من فوقه ويسوس من دونه ومن وجه آخر ثلثة اضرب اصحاب
الشهوات وهمهم الجدة واليسار والاكل والشرب والبعال
واصحاب الكرامة والسياسة وهمهم المدح واجتلاب الصيت
والمحمدة واصحاب الحكمة وكل واحد يستعظم من هو من جنسيه
ولهذا احتاج السلطان ان تخصص بكل ذلك وتقنيه ليكون معظما
عند كل ضرب من الناس فمعظمه اصحاب الحكمة لحكمته واصحاب
الكرامة والرياسة لرياسته واصحاب الشهوات لماله وكثرة قنياته

ومن وجه آخر ثلثة اضرب ملكي وشيطاني وانسي فالملكي يستعمل القوة
العاقلة بقدر جهده وهم المومنون حقا والشيطاني الذي يستعمل
القوة الشهوية من غير تلفت الى مقتضى العقل والانسي الذي
خلط عملا صالحا واخر سيئا وهم المذكورون في قوله عز وجل
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان
من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وهم المومن والسابق والفاسق
وهم المذكورون في قوله عز وجل وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة و
السابقون السابقون اولئك المقربون ومن وجه آخر مصطفى ومسترذل
فالمصطفى ثلثة اضرب ظالم لنفسه ومقتصد وسابق وهم المذكورون
في قوله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وهم ايضا اعني
المصطفين ثلثة اضرب انبيا للمشاهدة والهداية لقوله تعالى
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وحكما وهم الاولياء للمراقبة والرعاية لقوله تعالى الا
ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون وعوام
للمجاهدة والكفاية وهم المذكورون في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم وهم ايضا اعني الناس ضربان عبد الطبع وان كان

مزبان

ملكا وملك بالطبع وان كان عبدا مسترقا والملك من حصل الفضايل
النفسيه التي تصير الانسان بحيث يصح ان يوصف بانه رباني والهي
وملكي يصح ان يكون خا[illegible]لله في ارضه والعبد من قال النبي عليه السلام
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش
قال بعض الحكما من انسان الا وفيه خلق من اخلاق بعض الحيوانات وبعض
النبات لكون الانسان مشاركا لهما في الجنسيه فمن الناس غشوم كالاسد
وعايث كالذيب وخبث كالثعلب وشره كالخنزير وجامع كالنمل ووقح
كالذباب وليد كالحمار والوف كطير الوفا وضنع كالسرفه وانف
كالاسد وغيور كالديك وهادٍ كالحمام ومنهم حسن المنظر والمخبر
كالاترج ومنهم بخلاف ذلك كالعفص والبلوط ومنهم قبيح المنظر
حسن المخبر كالجوز واللوز ومنهم حسن المنظر قبيح المخبر كالحنظل
والدفلى والمومن الخير هو في الحيوانات كالنحل ناحظ اطايب الاشجار
فلا تقطف ثمرا ولا تكسر شجرا ولا تودي بشرا ثم تعطي الناس ما يكثر
نفعه وتحلو طعمه وتطيب ريحه وهو كالاترج في الاشجار يطيب
حملا ونورا وعودا وورقا والمنافق الشرير هو في الحيوانات كالنمل
والحرضه وفي الاشجار مثل الكشوث فلا اصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل
ولا نور ويفسد الثمار ويبتلع الاشجار وكالسمرة التي قل ورقها وكثر شوكها
وصعب مرتقاها

الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها ويضادها

فضيله العقل

العقل اول جوهر اوجده الله عز وجل بدلاله ما روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر
ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك آخذ وبك
اعطي ولو كان على ما توهمه قوم انه عرض لما صح ان يكون اول مخلوق
لانه محال وجود شيء من الاعراض قبل وجود جوهر يحمله وقال صلى الله عليه
وسلم لا دين لمن لا عقل له وقال عليه السلام لا يعجبكم اسلام امرء
حتى تعرفوا عقده عقله ومن هذا الوجه الذي اشار النبي صلى الله عليه
وسلم قالت الحكما من لم يكن عقله اغلب خلاله الخير كان حتفه في
اغلب خصاله الشر وبالعقل صار الانسان خليفة الله
تعالى ولو توهم مرتفع لارتفعت الفضايل من العالم فضلا عن الانسان
وما عرف الله تعالى منه في الانسان اهتدى من وفقه الله الى تزكية
نفسه المذكورة في قوله عز وجل قد افلح من زكاها وقد خاب من
دسيها وحصل به حرث الاخرة المذكور في قوله عز وجل من كان يريد
حرث الاخرة نزد له في حرثه وحرث الاخرة على التفصيل سبعة
اشيا بقا بلا فنا وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا حاجة
وامن بلا خوف وراحة بلا شغل وعز بلا ذل والى العقل اشار
بقوله تعالى الله نور السموات والارض اي منورهما وقد تقدم وجه ضرب هذا المثل والعقل

يقال على ضربين احدهما بغير اضافة وهو المذكور بانه اول مخلوق
والثاني بالاضافة الى آحاد الناس فيقال عقل فلان وهو من الاول بمنزلة ضوء
الشمس ﴿ باب ـــــ انواع العقل

العقل عقلان عقل غريزي وهو القوة المتهيئة لقبول العلم ووجوده
في الطفل كوجود النخلة في النواة والسنبلة في الحبة ومستفاد وهو الذي
سقوي به تلك القوة وهذا المستفاد ضربان ضرب للانسان حاصلا
بلا اختيار منه فلا يعرف كيف حصل ومن اين حصل وضرب تحصل
باختيار منه فيعرف كيف حصل ومن اين حصل وحصوله بقدر اجتهاده
في تحصيله ولكون العقل غريزيا ومستفادا قال امير المومنين رضي الله
عنه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع احدهما الا بالاخر والى
الاول اشار بقوله عليه السلام اول ما خلق الله العقل والى الثاني
اشار بقوله لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب
البر فتقرب انت اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس
في الدنيا وعند الله في الاخرة وقال صلى الله عليه ما كسب احد شيئا افضل
من عقل يهديه الى هدى ويرده عن ردى ولا خلاف المنظرين قال قوم
العقل مبدع وقال قوم هو مكتسب وكلا القولين صحيح من وجه ووجه
والعقل الغريزي للنفس بمنزلة البصر للجسد والمستفاد بمنزلة النور
فكما ان البدن متى لم يكن له بصر فهو اعمى كذلك النفس متى لم يكن له بصيرة اي
عقل غريزي فهي عمياء وكما ان البصر متى لم يكن له نور من الجو لم يجد

بصره كذلك العقل اذا لم يكن له نور من العلم مستفاد لم يجد بصيرته و
لذلك قال عز وجل ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد جعل للعقل
نظرا وادراك ورؤية وجعل له اضدادا من العمى وغيره وقال عز وجل
وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال عز وجل ما كذب الفواد ما راى
وقال وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ولما كان فقدان
البصيرة اشنع من فقدان البصر لانه بارتفاع البصيرة ارتفاع النفع
بالبصر قال عز وجل فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
نبههم بفقدان البصيرة تنبيها على فقدانها اختياري انه وبخهم
استفادة العلم واكثر فقدان البصر ضروري قال تعالى الذين اعينهم
في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا فلولا ان العين اريد بها
العين البصيرة لما قال عن ذكري لان الذكر لا يدرك بحاسة العين
وقال ابن عباس رضي الله عنه لمن عيره بفقدان البصر انا منصب في ابصارنا
وانتم تصابون في بصائركم وكيف لا يكون فقدان البصيرة اعظم ضررا من
فقدان البصر وقد تقدم ان البدن بمنزلة فرس والنفس راكبه
وضرر عمى الراكب نفسه اشد عليه من ضرر عمى فرسه ﴿

باب ـــــ المكتسب من العقل الدنيوي والاخروي

العقل المكتسب ضربان احدهما التجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة
والثاني العلوم الاخروية والمعارف الالهية وطريقاهما متنافيان وقد ضرب
امير المومنين رضي الله عنه لذلك ثلثة امثال قال ان مثل الدنيا والاخرة

كحقي الميزان لا ترجح احدهما الا بفضل الاخرى وكالمشرق والمغرب
كل من قرب من احدهما بعد من الاخر وكالضرتين اذا ارضيت احدهما
اسخطت الاخرى ولذلك يرى قوما اكياسا في تدبير الدنيا وسياستها
بلها في امور الاخرة حتى قال صلى الله عليه الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت وقال لمن نسب بعض الصالحين الى البله اكثر اهل الجنة
البله ولاختلاف طريقتهما قال الحسن رضي الله عنه ادركنا اقواما
لو ادركتموهم لقلتم لو رأوكم لقالوا شياطين ولقلة الاعتداد
بالمعارف الدنيوية قال عليه السلام لرجل وصف صرانيا بالعقل انما
العاقل من وحد الله وعمل بطاعته وقال عز وجل حكاية عن اهل النار
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ومن تصور اختلاف
الطريقين اعني طريق الدنيا وطريق الاخرة لم تعرض له الشبهة الى اعترضت
لقوم هم قالوا لوان ها هنا حقا لما جهله الذين لهم شاوهم في تدبير
الدنيا ودقايق الصناعات وواضعوا الحكم والسياسات وذاك
كما انه من المحال ان يظفر سالك طريق الشرق بما لا يوجد الا في الغرب
او يظفر سالك طريق الغرب الا بما يوجد الا في طريق ما لا يوجد الا في الشرق
كذلك من المحال ان يظفر سالك معارف الدنيا بمعارف طريق الاخرة
وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون ولا يكاد يجمع
بين معرفة طريق الدنيا والاخرة على التحقيق والتصديق الا من رحمهم

امور

مجانين

الله تعالى لتهذيب الناس في امر معاشهم ومعادهم جميعا كالانبيا
وبعض الحكما ولما كان العقل هو الذي يردع الانسان عن الذنب و
اكتسابه على التمام والكمال في الورى عسير لم ينفك احد من ذنب
يرتكبه ولذلك قال صلى الله عليه ما منا نبي الا اذنب او هم به

باب بيان العقل واختلاف اساميها بحسبها

العقل عام لما يكون بالقوة وبالفعل ولما كان غريزيا ومكتسبا وهي في اللغة
تقييد البعير كيلا يند وسمي هذا الجوهر به تشبيها على عادتهم في
استعارة اسما المحسوسات للمعقولات وخص بنا المصدر به لما كان
يستعمل مرة للحدث ومرة للفاعل نحو عدل وصوم وزور ومرة للمفعول
نحو خلق وامر لكن تصور منه كونه سببا للتقييد الانسان به وكونه مقيدا له عن تعاطي
مقبحا من بين الحيوان ه والنهي في الاصل جمع نهيه او اسم مفرد
نحو جعل وصرد او وصف نحو دليل خثعم وسابق حطم وجعل اسما
للعقل الذي انتهى من المحسوسات الى معرفه ما فيه من المعقولات
ولهذا الجهل اضيف اليه اياه على تدبير معاني المحسوسات في نحو قوله عز وجل
افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات
لاولي النهى وقال عز وجل كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى
والحجر اصله من الحجر اي المنع وهو اسم لما يلتزمه الانسان من حظر الشرع
والدخول في احكامه وعلى ذلك قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر وسمي
حجى من حجاه اي قطعه ومنه الاحجية فكانه سمي به لكونه قاطعا للانسان

عما يقبح واما اللب فهو الذى قد خلص من عوارض الشبهه وترشح لا
ستفادة الحقايق من دون المفزع الى الحواس ولذلك علق الله تعالى في
كل موضع ذكره بحقايق المعقولات دون الامور المحسوسات نحو قوله
عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولى الالباب فوصفهم بهذا سمة الله تعالى اياهم وقد سمى الله تعالى العلم نورا
والجهل ظلمه فقال تعالى الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين
كفروا اوليا وهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات وسماه روحا في قوله
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسماه حيوة والجهل موتا فقال عز وجل
اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
الايه وقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات وسماه ما بقوله انزل من السما
ما فسالت اودية بقدرها الاية والايمان زبدة العقل والعمل ولذلك قال تعالى
في مواضع ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فعلق به ما علق بهما وسمى العقل القلب
وذلك انه لما كان القلب مبدا تاثير الروحانيات والفضايل سمى به ولذلك عظم
الله تعالى امره لاختصاصه بما قدا وجد له لاجله وقال عز وجل يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب فنبه ان القلب في الحقيقة يكون قلبا اذا كان مختصا بما قدا وجد
لاجله وما قدا وجد لاجله هو المعارف الحقيقية وقال صلى الله عليه
ان في البدن مضغه اذا استقامت استقام البدن واذا اعوجت اعوج البدن

ولما كان اشرف المعارف هو ما اختص به القلب قال تعالى تراه الروح الامين على قلبك

باب خلافة العقل وشرف العلم

العقل حيثما وجد كان محتشما حتى ان الحيوان اذا راى انسانا احتشمه بعض
الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار ولذلك انقاد الابل للراعي وكذلك جماعة
الرعاة اذا راوا منهم من كان اوفر عقلا واغزر فضلا فيهم بصدره انقادوا
له طوعا والعلم اذا لم يعاينوا انقادوا ضرورة لاكثرهم علما وافضلهم
نفسا واوفرهم عقلا ولا ينكر فضله الا كل متدنس بالمعاب متطلب لرياسة
حاقط على عرض دنيوى قد جعل عقله خادما لشهوته فلحفظه على رياسته
ينكر فضل الفاضل ولفضيله العقل الوافر كان كثير ممن كانوا يعاندون
النبي صلى الله عليه وسلم قصدوه ليقتلوه فما كان الا ان وقع طرفهم عليه
فترا ى لهم نور الله مهوبا عنه فالقى في قلوبهم منه روعة فهابوه فمن مذعن
له طايعا وخيبت لا ينكره بعد الانجاحا ولهذا المعنى قال الشاعر

لولم تكن فيه ايات مبينه كانت مهابته تغنيك عن خبره وقد تقدم

ان الانسان لم يتميز عن الحيوان والبهايم الا بالعقل ولم يشرف الا بالعلم ومن
شرف العلم ان كل حيوة انفكت منه فهو غير معتد بها بل ليست في حكم الموجودات
فان الحيوة الحيوانية لا تحصل ما لم يقارنها الاحساس فلتزم ما يوافقه
ويطلبه ويتالم مما يخالفه فيهرب منه وذلك اخس المعارف فمقتضى الحيوة
الانسانية انها اذا تعرت من المعارف المختصه بها ان لا يعتد بها ولهذا
سمى الله تعالى الجاهل ميتا في غير موضع من كتابه فقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه

ولاجل ان الحيوة تقارن العلم سمى الله تعالى العلم روحا فى قوله وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا وقد ذكرنا ان حاجة الانسان الى العلم اكثر من حاجته الى المال
لان العلم نافع كحاله ونفعه دايم فى الدنيا والاخرة والمال قد ينفع وقد يضره فانا
نفع فنفعه منقطع فمن استفاد علما لم ضيعه او نكل من استفادته فاهله فقد
خسر خسرانا مبينا كما قال تعالى وانل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية

باب الفرق بين العلم والعقل

العلم ادراك الشئ بحقيقته وهو ضربان احدهما حصول صور المعلومات فى النفس
والثانى حكم النفس على الشئ بوجود شئ له هو موجود او نفى شئ عنه هو غير موجود له
نحو الحكم على زيد بانه خارج او ليس هو طايرا فالاول هو الذى يسمى فى الشرع وفى كلام
الحكما العقل المستفاد وفى النحو المعرفة وتتعدى الى مفعول واحد والثانى يسمى العلم
دون العقل وتتعدى الى مفعولين ولا يجوز الاقتصار على واحد منهما من حيث
ان القصد اذا قيل علمت الخ زيدا منطلقا اثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد
واعلم ان العقل والعلم بعباس احدهما الى الاخر على ثلثة اوجه احدها عقل
ليس بعلم وهو العقل الغريزى والثانى علم ليس بعقل وهو المتعدى الى مفعولين
والثالث عقل هو علم وعلم هو عقل وهو العقل المستفاد والعلم الذى يقال له
المعرفة ولم يصح ان يتعدى العقل الى مفعولين فيقال عقلت زيدا منطلقا
كما يقال علمت لكون العقل موضوعا للعلم البسيط دون المركب وسمى عقلا
من حيث انه مانع لصاحبه ان يقع افعاله على غير نظام وسمى علما من حيث انه
علامة على الشئ وهذا اذا اعتبر حقيقته مما يتبين به شرف اللغة العربية

واما الفرق بين العلم البسيط اعنى المتعدى الى مفعول واحد وبين المعرفة
فهو ان المعرفة قد يقال فيما يدرك اثاره وان لم يدرك ذاته والعلم لا يقال الا فيما
ادرك ذاته ولهذا يقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله لما كان معرفته تعالى
ليست الا بمعرفة اثاره دون معرفة ذاته وايضا فالمعرفة يقال فيما لا يعرف الا
كونه موجودا فقط والعلم اصله ان يقال فيما يعرف وجوده وجنسه وكيفيته
وعلته ولهذا يقال الله تعالى عالم بكذا ولا يقال عارف بكذا لما كان العرفان
يستعمل فى العلم القاصر وايضا فالمعرفة يقال فيما يتوصل اليه بتفكر وتدبر
والعلم قد يقال فى ذلك وفى غيره وايضا العرفان الانكار والعلم الجهل و
اما الدراية فالمعرفة المدركة بضرب من الحيل وهو تقديم المقدمة واجالة
الخاطر واستعمال الروية واصله من دربت الصيد والدربة لما يتعلم عليه
الطعن وللناقة التى يسبق بها الصايد ليانس الصيد بها فيرمى من ورايها والمدرى
يقال لما يصلح به الشعر ولقرن الشاه ولا يصح ان يوصف البارى بذلك لان معنى
الحيل لا يصح عليه ولم يرد بذلك سمع فيتبع وقول الشاعر

لاهم لا ادرى وانت الدارى

واما الحكمة فاسم لكل علم حسن وعمل
صالح وهو بالعلم العملى اخص منه بالعلم النظرى وفى العمل اكثر استعمالا
منه فى العلم وان كان العمل لا يكون محكما من دون العلم به ومنها قيل احكم العمل
احكاما وحكم بكذا حكما والحكمة من الله تعالى الاظهار الفضايل المعقولة
والمحسوسة ومن العباد معرفة ذلك بقدر طاقة البشر وقد حدت الحكمة
بالفاظ مختلفة فقيل هى معرفة الاشيا الموجودة بحقايقها ونعنى بكليات الاشيا

فاما جزء يا نها فلا سبيل للبشر الى الاحاطة بها وهذا الحد بحسب
اعتبارها بالعلم وقيل هي امانة الشهوات على ما يجب وهذا الحد بحسب
اعتبارها بالعمل فاظهر غاية المراد من الانسان وقيل هي الاقتدا
بالخالق في السياسة بقدر طاقة البشر وذلك بان يجتهد ان ينزه عمله عن الجهل
وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه ونحو هذا العقل يقرب
العبد من خالقه سبحانه وتعالى في الدنيا والاخرة ونسبة العلوم الى الحكمة
من وجه كنسبة الاعضاء الى البدن في كونها ابعاضا لها ومن وجه كنسبة
الرؤوسين الى الرئيس في كونها مستولية عليها ومن وجه كنسبة
الاولاد الى الام لكونها مولية لها وهي في تعارف الشرع اسم للعلوم العقلية
اي المدركة بالعقل وقد افرد ذكرها في عامة القرآن عن الكتاب فجعل الكتاب
ايها لما لا يدرك الا من جهة النبوات والحكم لا يدرك من جهة العقل
وجعلا منزلين وان كان انزالهما قد يكون مختلفا وجمع بينهما في الذكر لحاجة
كل واحد منهما الى الاخر فقد قيل لولا الكتاب لاصبح العقل حايرا ولولا
العقل لم ينتفع بالكتاب وقيل الكتاب بمنزلة اليد والحكمة الميزان ولا
يعرف المقادير الا بهما وكذلك عبر عن الحكمة بالميزان في قوله عز وجل
الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان ولا يبلغ الحكمة الا احد رجلين اما
مهذب في فهمه موفق في فعله ساعده معلم ناصح وكفاية وعمر واما الهي
فيصطفيه الله فيفتح عليه ابواب الحكمة بفيض الهي ويلقي اليه مقاليد جوده فيبلغه
ذروة السعادة وذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم

نوابغ

باب نوابغ العقل

العقل المشروع في الانسان حصل عنه العلم والمعرفه والدرايه والحكمة و
قد تقدم ذكرهن وحصل ايضا عنها الذكا والذهن والفهم والفطنه
وجوده الخاطر وجوده الوهم والتخيل والبديهة والكيس والخبر واصابة
الظن والفراسة والزكانه وصحة الفكر وجوده الذكر وجوده الحفظ
والبلاغة والفصاحة فاما الذكا فالمضا في الامر وسرعة القطع بالحق
واصله من ذكا النار وذكا الريح وشاة مذكاة مدرك ذكاتها بحدة السكين
وذكي الرجل تم فيه قوة الذكا لكن اكثر ما يوجد ذلك فيمن تمت سنه ثم صار
يعتبر به عن تمام السن ومنه قيل جري المذكيات غلاب واما الذهن
فقريب من الذكا لكن يقال ذهن في ادراك ما وقع فيه التنازع واما الفطنه
فسرعة ادراك ما يقصد اشكاله ولهذا يكثر في استنباط الحاجي
والرموز واما الفهم فتقدمة العقل فمن لا يعرف معنى الشي فهما لتحققه
عقلا وقد يسمى العقل فهما الفهم عقلا وان كان من رتبته دون مرتبة العقل
فقوة الفهم ان يدرك الاشيا الجزئية والعقل يدرك كلياتها ومعنى ذلك ان
العقل يعرف ان العدالة حسنة والظلم قبيح والفهم يميز بين كل واحد
من الفعل هل هو عدل او ظلم وقد يوصف بالفهم من لا يوصف بالعقل
كالحاذق في لعب الشطرنج وكل من يوصف بالعقل فانه يوصف بالفهم
واما الخاطر فحركة الفهم نحو الشي يقال خطر الشي ببالي ولم يقل خطر
بالي بالشي فيجوز ان يكون ذلك من المقلوب كقولهم عيش ناصب وقد قيل

في قولهم عقلت الشئ واحسست انهما ايضا من المغلوب والشئ هو المؤثر
في الحاسة والعقل لا فيه واما الخيال فنحو الوهم لكن يقال اعتبارا
بما يكون من جهة الحاسة وفيه الصورة ما دمنه سمي الطيف الوارد
من صورة المحبوب خيالا والخيال قد يقال لذلك الصورة في المنام وفي اليقظة
والطيف لا يقال الا فيما كان في حال النوم ولهذا ينسب الطيف الى الخيال
لما كان ذلك من جوابه ثم ما زاد ركب الخيال ولكنك بالفكر زور طيف الخيال
واما البديهة فمعرفة ثاقبة تجئ بلا فكر ولا قصد فالبديهة في المعرفة
كالبديع في الفعل واما الروية فما كان من المعرفة بعد فكر كثير وهو
من روأ واما الكيس فالقدرة على جودة استنباط ما هو اصلح في بلوغ الخير
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
من حيث انه لا يتصل الى الانسان افضل مما بعد الموت وقول العرب
اكيس من قشة لتصورها بصورة الكيس لانها ذات كيس في الحقيقة وكاس
في مشيه اي اظهر الكيس في مشيه برفع احدى رجليه وتسميتهم الغادر كيسان
اما على طريق التهكم او تنبيها ان الغادر بعد ذلك كيسا او كان كيسا
كتسميتهم كل حداد هالكيا واما الخبر فمعرفه يتوصل اليها من قولهم
خبرته اي اصبت خبره وقيل هو من قولهم ناقة خبيرة غزيرة فكان الخبر هو
غزارة المعرفة ويجوز ان يكون قولهم ناقة خبيرة اي مجربة عن غزارتها
كقولهم ناقة تاجرة واما الظن فاصابة المطلوب بضرب من الامارة
ولما كانت الامارات متردده بين يقين وشك قد يقرب تارة من طرف اليقين

وتارة من طرف الشك صار يعتبر اهل اللغة بهما فمتى كان من طرف اليقين
اقرب استعمل معه ان المثقله والمخففه منها نحو قوله عز وجل الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم وظنوا انه واقع بهم ومتى كان من طرف الشك اقرب استعمل
معه ان الى الطيف كالمعدوم من الفعل نحو ظننت ان تخرج وان خرجت وانما
استعمل الظن بمعنى العلم في قوله الذين يظنون لامرين احدهما تنبيه ان
علم اكثر الناس في الدنيا بالاضافة الى علمه به في الاخرة كالظن في جنب العلم
والثاني ان العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل الا للنبيين والصديقين المعتبين
بقوله تعالى الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله اولئك هم الصادقون والظن متى كان عن امارة قوية فانه يمدح به
ومتى كان عن تخمين لم يعتد به كما قال عز وجل ان بعض الظن اثم و
اما الفراسة فالاستدلال بهيئات الانسان واشكاله والوانه واحواله
على اخلاقه وفضايله ورذايله وربما قيل هي صناعة صيادة لمعرفه
اخلاق الانسان واحواله وقد نبه الله تعالى على صدقها بقوله ان في ذلك
لايات للمتوسمين وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم وقوله سبحنه ولتعرفنهم
في لحن القول ولحظها من قولهم فرس السبع الشاة فكان الفراسة اختلاس
المعارف وذلك ضربان ضرب يحصل للانسان عن خاطر لا يعرف سببه
وذلك ضرب من الالهام بل ضرب من الوحي واياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله المومن ينظر بنور الله وهو الذي سمي صاحبه المروع والمحدث
فهو عمر رضي الله عنه وقيل في قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا

فوائد الزوجة
الدنيا

وقال عليه السلام وان يكن في امتي احد فعمر
في هذه الامة محدث

او من وراء حجاب الاذن فما كان رحمانيا هو الباقي في الروع وذلك يكون
للانبيا كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقد يكون بالهام في حال
اليقظة وقد يكون في حال المنام ولاجل ذلك قال عليه السلام الرؤيا
الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والضرب الثاني
من الفراسة يكون بصناعة متعلمة وهي معرفة ما بين الالوان والاشكال وما
بين الامزجة والاخلاق والافعال الطبيعية ومن عرف ذلك فكان ذا فهم ثاقب
قوي الفراسة وقد عمل في ذلك كتب من تتبع الصحيح منها اطلع منه على
صدق ما ضمنوه والفراسة ضرب من الظن وسئل بعض محققاة الصوفية
عن الفرق بينهما فقال الظن تقلب القلب والفراسة نور الرب تعالى
وقال من قوي فيه نور الروح المذكور في قوله عز وجل ونفخت فيه من روحي
كان ممن وصفه بقوله افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وكان
ذلك النور شاهدا منه اصاب فيما حكم به ومن الفراسة قال صلى الله عليه
وسلم المتلاعنين ان احدكما كاذب فهل منكما تائب لاحكم الله ومن الفراسة حكم الرويا وقد
عظم الله تعالى امرها في جميع كتبه المنزلة وقال تعالى للنبيه وما جعلنا
الرويا التي اريناك الا فتنة للناس وقال عز وجل اذ يريكهم الله في منامك
قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم وقال في قصة ابرهيم عليه السلام
يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ما ذا ترى وقال تعالى حكاية عن يوسف
يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين والرويا
هي فعل للنفس الناطقة ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لاتخاذ هذه

القوة في الانسان فايدة والله تعالى عن الباطل وهي ضربان ضرب وهو الاكثر
اضغاث احلام واحاديث النفس من الخواطر الردية لكون النفس في
تلك الحال كالمرآة المتموج الذي لا يقبل صورة وضرب وهو الاقل صحيح
وذلك ضربان ضرب لا يحتاج الى تاويل وضرب يحتاج الى تاويل ولهذا يحتاج
المعبر الى مهارة للفرق بين الاضغاث وغيرها وليميز بين الكلام
الروحانية والجسمانية ويفرق بين طبقات الناس اذ كان فيهم من لا يصح
له رويا وفيهم من يصح رويا ثم من يصح له ذلك منهم من يحتاج ان يلقى اليه
في المنام الانبيا العظيمة ومنهم من لا يحتاج لذلك ولهذا قال ابو نابل
يجب للمعبر ان يشتغل بعبارة رويا الملوك والحكما دون الطغام
وذلك لان الاولياء حظ من النبوة وقد قال النبي عليه السلام الرويا الصالحة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا العلم يحتاج الى مناسبة بينه
وبين متحريه فرب حكيم لا يرزق حدس قافيه ورب زاهد حظ من الحكمة وسابر
العلوم توجد له قوة عجيبة واما الزكانة فضرب من الفراسة وهي
معرفة فعل باطن بفعل ظاهر ضرب من التوهم وتخمين ان كنت وان كنت و
القيافة ضرب من الزكانة لكنه ادق وهي ضربان احدهما تتبع اثر الاقدام
والاستدلال به على السالكين والثاني الاستدلال بهيئة الانسان
وشكله على نسبه وخص بالقيافة من العرب بنو مدلج وبنو لهب وقيل
ان ذلك لمناسبة طبيعية لا يتعلم وهي محكوم بها في الشرع قال
بعض الحكما خص الله تعالى العرب بذلك ليكون سببا لاندراج نسابهم عما يورث

شوب نسبهم وخبث حسبهم وفساد مذهبهم وزيغ وعهم صيانة
للنسبة النبوية وليكون ذلك شرفا لنبيه عليه السلام ولاجل حفظه
تعالى نسبهم بذلك قال وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا اى ليعرف
بعضكم بعضا بمعرفه اصله ولما الكهانه والعرافه فان
الكهانه مختصه بالامور المستقبلة والعرافة مختصة بالامور الماضيه
وكان ذلك فى العرب كثيرا واخر من وجد وروى عنه الاخبار العجيبة
سطيح وسواد بن قارب وقيل كان وجود ذلك فى العرب احد اسباب
معجزات النبى عليه السلام كان يخبر به ويحث على اتباعه وينزع ذلك
عنهم بعد النبوة وقال عليه السلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه
بما اتى به فقد كفر بما انزل على محمد ونبه بها على انه قد رفع ومما يجرى
مجراها التطير وهو تشاءم الانسان بشئ يقع تحت المناظر والمسامع
مما تنفر منه النفس مما ليس بطبيعى فاما نفارها مما هو طبيعى فى
الانسان كنفاره من صرير الحديد وصوت الحمار فلا يعد من هذا
واشتقاقه من الطير واصله فى زجر الطير وما سواه ملحق به وعلى ذلك
قول الشاعر وما انا ممن يزجر الطير حوله اصاح غرابا ام تعرض طائر ثم كثر فى غيره حتى قال الله تعالى حكاية قالوا اطيرنا بك وبمن معك
قال طائركم عند الله اى السبب الذى يسعدكم ويشقيكم عند الله وقال
عز وجل وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم
عند الله وسمى عمل الانسان الذى يعاقب به طائرا فقال عز وجل

لما
حتى روى الاكهانة
بعد النبوة صح

وكل انسان الزمناه طايره فى عنقه والنظر اجالة الخاطر نحو المرئى
لادراك البصيرة اياه فللقلب عين كما ان للبدن عينا فمن صحت عين
قلبه واعانه نور الله تعالى اطلع على حقايق الاشياء وعلى العالم العلوى
وهو فى الدنيا يرى ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ولكون الاطلاع عليه قال على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا والراى اجالة الخاطر فى روية ما تريده وقد يقال للقضية التى
تثبت عن الراى راى والراى للفكرة كالآلة للصانع التى لا يستغنى عنها
ولا يكون الا فى الامور الممكنه دون الواجبه والممتنعه ويكون من جملة الممكنات
فما يكون الينا فالطبيب لا يجعل رايه فى نفس البرء انما يجعله فى كيفية الوصول
اليه ويحتاج الراى الى اربعة اشيا اثنان من وجه الزمان فى التقديم والتاخير
احدهما ان يعيد النظر فيما يريد تبنيه ولا يعجل امضاه حتى يغب فقد قيل
اياك والراى الفطير وقيل دع الراى يغب واكثر من يستعجل ذلك
ذوو النفوس الشهمه والامزجة الحادة والثانى ان لا يدافع به بعد احكامه
فقد قيل من روى تحزم فاذا استوضحت فاعزم وقيل احزم الناس من
اذا وضح له الامر صدع فيه وقال تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله واكثر من يدافع
بذلك ذوو النفوس المهينه والامزجة الباردة واثنان من جهة الناس
احدهما ترك الاستبداد بالراى فالاستبداد بالراى من فعل المعجب بنفسه
وقد قيل الاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة
والثانى ان يتخير من يحمد مشاورته

فما كل ذى لب بمؤتيك نصحه
ولا كل مؤت نصحه بلبيب

فما كل ذى لب سمونيك نصحه ولا كل ذى نصح سمونيك لبيبا

ولكن اذا ما اجتمعا عند واحد فحق له من طاعة نصيبا

ومن دخل به امر بعد الاحتراز من هذه الاربعة فقد احكم تدبيره فان لم تنجح عمله لم تلحقه مذمة واما التدبير فنحو الراى لكن يقال اذا استعمل فى النظر فى عواقب الامور واشتقاقه يقتضى ذلك لانه تامل دبر الامور وعليه حث الشاعر بقوله

ومن ترك العواقب مهملات فليس سعيه ابدا بتبار

واما الفكرة فقوة مطرقة للعلم الى المعلوم وهو تخيل عقلى موجود فى الانسان والتفكر جولان تلك القوة بين الخواطر بحسب نظر العقل وقد يقال للتفكر الفكر وربما ضل الفكر واخطأ ضلال الرايد وخطأه والتفكر لا يكون الا فيما له مايتبعه مما يصح ان يحصل له صورة فى القلب مفهوما ولاجل ذلك قال صلى الله عليه تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله وقال عز وجل اولم يتفكروا فى ملكوت السموات والارض وقال تعالى يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والاخرة وسئل بعض الحكماء عن الفكرة والعبرة فقال الفكرة ان تجعل الغايب حاضرا والعبرة ان تجعل الحاضر غايبا واما الذكر فوجود الشىء فى القلب او فى اللسان وذلك ان الشىء له اربع وجودات وجوده فى ذاته ووجوده فى قلب الانسان ووجوده فى لفظه ووجوده فى كتابته فوجوده فى ذاته هو سبب لوجوده فى قلب الانسان ووجوده فى قلبه سبب لوجوده فى لسانه ولوجوده فى كتابته ويقال للوجودين اى الوجود فى القلب والوجود فى اللسان

الذكر ولا اعتداد بذكر اللسان ما لم يكن عن ذكر القلب بل لا يكون ذلك والذكر بالقلب ضربان احدهما استعادة ما قد استبنته القلب فانحى عنه بنسيان او غفله وهذا هو فى الحقيقة التذكر والثانى ثبات وجود الشىء فى القلب من غير فسيان او غفلة وذكر الله تعالى على نحو الاول غير مرتضى عند الاولياء فانما محمد على النحو الثانى واعلم ان ذكر الله تعالى تارة يكون لعظمته فيتولد منه الهيبة والاجلال وتارة لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن وتارة لنعمه فيتولد منه الشكر وذلك قبل ذكر النعم شكرها وتارة لافعاله الباهره فيتولد منه العبر فحق المومن ان لا ينفك ابدا من ذكره على احد هذه الاوجه وعليها دل قوله عز وجل ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار اى يذكرون الله فى كل حال لان الانسان لا ينفك من هذه الاوجه الثلثه ان قيل ما حقيقه ذكر الله تعالى عند ابتدا الاعمال حتى قال صلى الله عليه كل امر لا يبدا فيه بحمد الله فهو ابتر قيل نبه بذلك ان الامور كلها يجب ان يقصد بها وجه الله تعالى وان كل امر لا يقصد فيه ذلك فهو ناقص وشرع ذكره باللسان ليكون سببا لتذكره فيتحرى بفعله وجه الله ولا يعمل ما ينافى رضاه وعلى ذلك قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربى اى اذا عرض لك نسيان لما يلزمك فاذكر ربك تتذكر به انه مطلع عليك لهذا قال النبى صلى الله عليه اعمل كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

وامّا الحفظ فالمحافظة على مراعاة الشئ وقلّة الغفلة عنه ومنه
محافظة الحرم حتى قيل للغضب المقتضى ازالك حفيظه ويقال لثبات
صورة الشئ فى القلب حفظ وفلان جيّد الحفظ اى القوة الحافظة
والحفظ للنفس من وجه يجرى مجرى الخزانة للملك يضع فيها الذخاير
الى وقت الحاجة ومن وجه جار مجرى الكتاب الذى يكتب فيه الشئ ليرجع
اليه فيتذكر به والناس متفاوتون فيه بحسب امزجتهم فمنهم من قوّى الله
تعالى ذلك منه كما جعله تعالى لنبيّه عليه السلام فلذلك كان كونه اميّا
شرفا له اذ كان له من الحفظ ما يغنيه عن الاستعانه بالكتابه ولهذا قال
الله تعالى لا تحرّك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فضمن ان
يحفظه عليه بما جعل له من القوة الالهيّة وروى انه لما نزل قوله
عزوجل وتعيها اذن واعية قال صلى الله عليه لعلى رضى الله عنه
سالت الله ان يجعلها اذنك فلم يسمع بعد ذلك شيئا الا وعاه ومن الناس
من يسرع اليه النسيان فما يسمعه يكون كالخطّ به يكتب فى بسيط الماء
وامّا البلاغة فاجادة اختيار الالفاظ وتحرّى الصدق فيها ولا يكون
الكلام تامّ البلاغة ما لم يجمع هذه المعانى فانه متى قبح اللفظ او قبح
التاليف او كان اكثر مما يجب او اقلّ مما يجب او لم يطابق اللفظ المعنى امّا
حقيقة او استعارة رايقة او كان المعنى كذبا او محالا خرج الكلام بقدر
ما اختلّ به عن باب البلاغة وقد وصفت البلاغة باوصاف مختلفه
بحسب انظار مختلفة فقول بعضهم البلاغة هى الايجاز من غير عجز والاطناب

فى غير خطل وقيل ما فهمته العامّة ورضيته الخاصّة وقيل ما اختياره
فسادا الى غير ذلك من الاوصاف وامّا الفصاحة فاشتقاقها من فصح
اللبن اذا خلص من اللبأ وهى الاصابة فى اللفظ وفى الايتلاف دون اعتبار
الصدق وصواب المعنى وكل كلام جزل اللفظ حسن التركيب فهو موصوف بالفصاحة صدقا
كان او كذبا فالبلاغة ترجع الى اللفظ والمعنى والفصاحة الى اللفظ دون المعنى

باب ثمرة العقل فى معرفة الله الضروريّة والمكتسبة وغاية ما يبلغه الانسان

اشرف ثمرة العقل معرفة الله وحسن طاعته والكفّ عن معصيته وعلى ذلك دلّ
قول رسول الله صلى الله عليه العقل بلّغه اجزاء جزء معرفة الله وجزء طاعة الله
وجزء الصبر عن معصية الله وقال صلى الله عليه الايمان عريان ولباسه
التقوى وزينته الحياء وماله العقل وثمرته العلم فمعرفة الله العامّيّة مركوزة
فى النفس وهى معرفة كل احد انه مفعول وان له فاعلا فعّالا ونقله فى الاحوال
الى المختلفه واليه اشار بقوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها وقوله
عزوجل صبغة الله ومن احسن من الله صبغه وقوله تعالى واذ اخذ ربّك
من بنى آدم من ظهورهم ذرّيّتهم واشهدهم على انفسهم الست بربّكم قالوا بلى
الآية فهذا القدر من المعرفة فى نفس كل احد وتنبّه الغافل عنه اذا نبّه
عليه فيعرفه كما يعرف انّ ما هو مساوى لغيره فغير ذلك مساو له ومن
هذا الوجه قال عزوجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله وقال
فى مخاطبة المؤمنين والكافرين واذا مسّكم الضرّ فاليه تجارون وقال بعده
ثم اذا كشف الضرّ عنكم اذا فريق منكم بربّهم يشركون واما معرفة الله تعالى

المكتسبة فمعرفة توحيده وصفاته وما يجب ان يثبت له من الصفات
وما يجب ان ينفى عنه وهذه المعرفة التي دعت اليها الانبياء عليهم السلام
وحثوا عليها ولهذا قال كلهم لا اله الا الله ولم يدع احد الى معرفة الله بل
دعا الى توحيده وهذه المعرفة اعني المكتسبة على بلته اضرب لا يكاد
يدركه الا نبي وصديق وشهيد ومن دانا لهم وذلك معرفة بالنور الالهي
من حيث لا يعترى فيه شك بوجه كما قال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا الاية وضرب يدرك بغلبة الظن اعني الظن الذي
يتسره اهل اللغة باليقين كما قال عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
وانهم اليه راجعون وضرب يدرك بالخيالات ومثل وتقليدات واياه عنى
بقوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فالاول يجري مجرى
ادراك الشيء من قريب ولهذا قال عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب او القى السمع وهو شهيد والثاني يجري مجرى ادراك الشيء من
بعيد ولا ينفك من شبهات كما اخبر تعالى عمن هذه حاله بقوله ان نظن الا
ظنا وما نحن بمستيقنين ولاجل صعوبة معرفة الله تعالى على الحقيقة حتى
تخلص الانسان من آفات الشرك قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون وقال تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقال عز وجل
قل الله اعبد مخلصا له ديني وقال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل
الجنة وغاية معرفة الانسان ربه ان يعرف اجناس الموجودات جواهرها
واعراضها المحسوسة والمعقولة ويعرف اثر الصنعة فيها وانتهاء معرفته

ان محدثها ليس اياها ولا مثلا لها بل هو الذي يصح ارتفاع كلها مع بقائه ولا
يصح بقاؤها وارتفاعه تعالى وهذا النظر قال رضي الله عنه سبحان من لم
يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته بل لهذا قال صلى الله عليه
تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ولما كان معرفة العالم كله تصعب
على الانسان الواحد لقصور افهام بعضهم عنها واشتغال بعضهم بالضرورات
التي يعرفها منهم جعل تعالى لكل انسان من نفسه وبدنه عالما صغيرا
اوجد فيه مثال ما هو موجود في العالم الكبير ليجري ذلك مجرى مختصر
من كتاب بسيط يكون مع كل احد نسخته يتأملها في الحضر والسفر و
بالليل والنهار فان نشط وتفرغ للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير
الذي هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليغزر علمه ويتسع فهمه والا
فله مقنع بالمختصر الذي معه ولهذا قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
ولشرف متناول ذلك قال تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض
وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار فنبه بمدحهم
حيث قالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا انهم عرفوا الغرض المقصود بخلقه
وذلك هو آخر الابحاث لان الابحاث اربعة بحث عن وجود الشيء هل هو
وبحث عن جنسه بما هو وبحث عما يباين به غيره باي شيء هو وبحث عن الغرض
بلم هو وهذه الابحاث يبتني بعضها على بعض لا يصح معرفة الثاني الا بمعرفة

ولا معرفة الثالث الا بالثاني ولا معرفة الرابع الا بالثالث وقولهم ربنا ما
خلقت هذا باطلا يقتضي انهم عرفوا الاحكام الاربعة والا شهدوا بما
لم تحققوا ومن شهد بما لا يحقق كذب وان كان ما شهد به على ما شهد به
الا ترى ان الله تعالى كذب المنافقين حيث قالوا انك لرسول الله وان كان
هو رسوله فدلت هذه الاية على ان البحث الذي يودي الى معرفة حقايق
الموجودات التي تتضمن معرفة الباري هو العلوم الشريفة بخلاف قول
الصم البكم العمي الذين يدعوا من اشتغل بمعرفة ذلك هم

باب وجوب بعثة الانبيا وقلة الاستغنا عنهم

بعثة الانبيا الى الناس من الضروريات التي لا بد لهم منها وذلك ان جل الناس
نقص عن معرفة منافعهم ومضارهم الاخروية جزويا تها وكليا تها
وبعضهم وان كان لهم سبيل الى معرفة كليات ذلك على سبيل الجملة فلا سبيل لهم
الى معرفة جزيا تها ولا يمكنهم ان يعرفوا كيف تجب وفي اي وقت تجب ولم تجب
فلما كان كذلك من الله عز وجل على كافة عباده خاصتهم وعامتهم برسل
بعثهم فيهم من انفسهم يتلون عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة لكي اذا
تمسكوا به صلح لهم معادهم ومعاشهم وسهل عليهم ادراكهم ولهذا ازاح الله
تعالى علتهم بعثة الانبيا فقال عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

باب ما يعرف به صحة النبوة

لكل نبي ايتان احدهما عقلية يعرفها اولوا الابصار من الصديقين والشهدا
ومن يجري مجراهم والثاني حسية يدركها اولوا الابصار من العامة فالاولى

ما لهم من اصولهم الزكية وصورهم المرضية وعلومهم الباهرة ودلايلهم
المتقدمة والمستجبة لهم وانوارهم الساطعة التي لا تخفى على اولي
البصاير كما قال الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

لو لم تكن فيه ايات مبينة كانت نزاهته يغنيك عن خبر

وذلك ان حق النبي ان يكون من اكرم نربته في العالم وحيث يكون عقل ابايها
اوفر ولهذا لم يبعث نبي من الاطراف التي تضعف عقول اصحابها ويجب
ان يكون من عنصر كريم من بيت الفضل ولهذا قال الله تعالى ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع
عليم ونبه تعالى بقوله بعضها من بعض انه جعلت النبوة في اهل بيت
واحد ولا تخرج عنهم لكونهم اشرف ويجب ان يكون عليه انوار تروق من رآها
واخلاق تملك من ابتلاها كما قال عز وجل والقيت عليك محبة مني وقال
لنبينا عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم ويجب ان يكون كلامه ذا حجة
وبيانه يشفي سامعه اذا كان مختصا بنور العقل ولذلك قال عز وجل
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن
جعلناه نورا نهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم
وهذه الاحوال اذا حصلت لا تحتاج ذا البصيرة معها الى معجزة ولا
يطلبها كما لا يطلبها الانبيا من الملايكة فيما اخبروهم به حجة ولهذا
لما عرض النبي عليه السلام على ابي بكر رضي الله عنه الاسلام تلقاه بالقبول
حتى قال ما احد عرضت عليه الاسلام الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه لم

يتلعثم فيه واما الايه الثانية فهي المعجزة التي يدركها الحواس من
الانبيا وذلك بطلبه احد رجلين اما ناقص عن الفرق بين الكلام الالهي و
الكلام البشري وعن ادراك سايرما تقدم ذكره فيحتاج الى ما يدركه
حسه لقصوره عن ادراك ذلك واما ناقص مع نقصه هو معاند فقصده
بما يطلبه العناد كما قال تعالى حكاية عن كفار وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملايكة قبيلا
او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السما ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا

باب كون العقل والرسل هادين للخلق اليا الحق

لله عز وجل رسولان اليا خلايقه احدهما من الباطن وهو العقل والثاني
من الظاهر وهو الرسول ولا سبيل لاحد الى الانتفاع بالرسول
الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن فبالباطن يعرف صحة دعوى
الظاهر ولولا هو لما كان يلزم الحجة بقوله ولهذا الحال الله تعالى
من تشكك في وحدانيته وصحة نبوة انبيايه على العقل وامره بان
يفزع اليه في معرفة صحتها فالعقل قايد والدين مسدد ولو لم يكن
العقل لم يكن الدين باقيا ولو لم يكن الدين لاصبح العقل حايرا واحتاجا كما
قال عز وجل نور على نور هم

باب تعذر ادراك العلوم النبوية على من لم يتهذب في العلوم العقلية

المعقولات تجري مجرى الادوية الجالبة للصحة والشرعيات تجري مجرى
الاغذية الحافظة للصحة وكما ان الجسم متى كان مريضا لم ينتفع بالاغذية
بل يستضر بها كذلك من كان مريض النفس كما قال تعالى في قلوبهم
مرض لم ينتفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات بل صار
ذلك مضرة الغذا للمريض وعلى هذا قال تعالى واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا
الى رجسهم وايضا فالقلب بمنزلة مزرعة للمعتقدات والاعتقاد
بمنزلة الما الذي يسقيه ولذلك سماه ما على ما تقدم ذكره فكما ان
الما اذا سقى الارض تختلف نباته بحسب اختلاف بذوره كذلك القرآن
اذا ورد على الاعتقادات الراسخة في القلوب يختلف باثيراته والى
ذلك اشار تعالى بقوله وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وقال عز وجل والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات
لقوم يشكرون وايضا فالجهل بالمعقولات جار مجرى ستر مرخى
على البصر وغشا على القلب ووقر في الاذن والقرآن لا يدرك
حقايقه الا من كشف غطاوه ورفع غشاوه وازيل وقره ولذلك قال
تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا

قيد بمنزلة البذر وما قبله بمنزلة الماء وكلام الله بمنزلة الماء يسقيه

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا الآية فالمعقولات
كالحياة التي بها الابصار والسماع والقرآن كالمدرك البصر والسمع
فكما انه محال ان يسمع الميت قبل ان يجعل الله فيه الروح ويجعل له
السمع والبصر كذلك من المحال ان يدرك من لم يحصل المعقولات حقايق
الشرعيات ولهذا قال تعالى فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا
من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون يعني ايات السموات والارض وغيرهما

باب الايمان والاسلام والعقول والبر

الايمان هو الاذعان للحق على سبيل التصديق له باليقين ولهذا وصف
تعالى العلم والايمان بوصف واحد فقال انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ووجل القلب
هو الخشية للحق على سبيل التصديق له باليقين هذا اصل الايمان لكن
صار اسما لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالاسلام وصح ان يطلق
على من يظهر ذلك وان لم تخصص به اعتقادا عن يقين ويلج صدر كاليهودي
فان اصله المنسوب الى يهود والنصراني فان اصله المنسوب الى نصران
وهي قرية ثم صارا اسمين للمختصين بالشريعتين على ان اشتقاق الايمان
لا يمنع من ان يطلق على من يظهره فان معنى المؤمن هو من صار ذا امن و
باظهار الشهادتين يأمن الانسان من ان تراق دمه او يباح ماله في الحكم ولهذا
قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها

عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وروى شهادة ان لا اله الا الله كلمة
جعلها الله بيننا فمن قالها من قلبه فهو مومن ومن قالها بلسانه ولم يكن
في قلبه كان له ماالنا وعليه ماعلينا وحسابه على الله وذلك انه لا يطلع
على القلوب الا الخالق عز وجل والشريعة واردة ان يطلق اسم الايمان
على من يظهر ذلك من نفسه من غير محض عن قابله ولا تحاشى من اطلاق ذلك
عليه مالم يكن منه مايبنا في الايمان بخلاف ما ادعاه بعض المعتزلة انه لا
يصح اطلاق اسم المومن على الانسان مالم يختبر في الاصول الخمسة ويوقف
منه على حقيقة ماعنده والاسلام هو الاستسلام لما يدعوا اليه الشرع
من فعل ما يقتضي فعله والملة العود الى الطاعة والدين الانقياد له
وهما بالذات واحد لكن الدين هو الطاعة فيقال اعتبارا بفعل المدعو الى
الطاعة والملة من امللت الكتاب فيقال اعتبارا بفعل الداعي اليها
ولكونهما بالذات واحدا قال تعالى دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا فابدل
الملة من الدين والدين اعم من الاسلام اذ هو يستعمل في الحق والباطل
والاسلام لا يستعمل الا في الحق ولهذا قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والاحسان تحري
الحسن في الايمان والاسلام ولهذا قال صلى الله عليه لما قيل له ما
الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه والتقوى جعل النفس في وقاية
من تخطط الله وذلك بقمع الهوى والبر السعة في العلم اي علم الحق
وفعل الخير مشتقا من البر اي السعة من الارض وهو المعبر عنه

انشراح الصدر وطمينان القلب وقال عليه السلام البر ما سكنت اليه
نفسك والطمأن اليه قلبك والاثم ما حاك في نفسك وتردد في صدرك
وقال البر طمانينة والشر ريبة ومن البر الجود ومن اجله جعل من الايمان
قال عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السما والاخلاص ان يقصد
الانسان بما يفعله وجه الله متعريا عن الالتفات الى غيره ولذلك
قال عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولقلة وجود
ذلك قال تعالى وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ولما كان الايمان
يقال اعتبارا بالعلم وهو متعلق بالقلب والاسلام بفعل الجوارح و
التقوي بجمع الهوي قال صلى الله عليه الاسلام علانية والايمان في
القلب والتقوي واشار الى صدره لما كان الصدر مقر قوي الانسان من
الفكرة والشهوة والغضب ثم قال ولا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم
قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال عليه السلام الايمان
قايد والعلم سايق والنفس حرون فان الله قايدها لم تستقم لسايقها وان
ابى سايقها لم تطع قايدها ولما كان الاسلام والايمان والتقوى متلازمة
قال تعالى في الجنة اعدت للذين امنوا بالله ورسله وقال تعالى
ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى الابيع

باب في الايمان

اختلف في الايمان هل هو الاعتقاد المجرد ام الاعتقاد والعمل معا او

اختلافهم بحسب اختلاف نظرهم فمن قال هو الاعتقاد المجرد نظر منه
الى اشتقاق اللفظ والى انه قد فصل بينهما في عامة القران فعطف بالعمل
عليه كقوله عز وجل الذين امنوا وعملوا الصالحات ولان النبي عليه السلم فرق
بينهما في خبر جبرئيل صلى الله عليه حين سأله عن الاسلام وعن الايمان ففسر
الاول بالاعمال والثاني بالاعتقاد والعمل فلقوله عليه السلام الايمان
معرفة بالقول واقرار باللسان وعمل بالاركان وكذلك اختلفوا هل يكون في
الايمان زيادة ونقصان فقال قوم يكون فيه ذلك لقوله عز وجل واما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقوله عز وجل واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا وقوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومن خالفهم قال الشيء انما
يزداد بغلبته على ضده وينقص بغلبة ضده عليه قالوا والايمان لا يحمل
الاتباعد ان يكون غالبا على الكفر فلا يضامه حتى يقال انه يغلب عليه و
كذلك اختلفوا في جواز اطلاق اسم الايمان على من اقر بالشهادتين فقال
بعضهم يجوز ذلك نظرا منه الى قول النبي صلى الله عليه للجارية التي سألها عن
الله فاشارت نحو السما وعن النبوة فاشارت اليه فقال اعتقها فانها
مومنة ولان الايمان ليس بذي منزلة واحدة ومن قال لا يجوز فنظر منه
الى قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ولما روي
عنه صلى الله عليه وسلم من قال انا مومن فهو فاسق ومن قال انا عالم فهو
جاهل ان قيل ما معنى قول النبي عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو
مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن قيل الايمان ذو منازل كما وصف

صلى الله عليه وانما يكون الانسان مومنا بالمثنوية اذا استوعب منازله
متعريا من جميع الشرور ويخصص بجميع الخيرات على قدر طاقة البشر ومتى
اخرم بعض ذلك خرج طوعا هو كقولهم عشرة في كونه اسما للعدد مخصوص
اذا سقط بعضه سقط ذلك الاسم عنه ومن شرط الايمان الكامل ان لا يكون زانيا
ولا سارقا **باب معنى قوله عليه السلم الايمان بضع وسبعون بابا**
ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون
بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وهذه
لفظة من تامل معناها وعرف حقيقتها علم ان الايمان بالواجب هو اثنتان وسبعون
درجة لا يصح ان يكون اكثر منها ولا اقل ولا بوجد ما هو خارج عنها بوجه
وانه عليه السلام فيما يورده كما وصفه الله تعالى بقوله وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى بيان ذلك ان الايمان شيآن اعتقاد
واعمال فالاعتقاد على ثلثة منازل يقيني لا يعتريه شبهة بوجه ما
كما قال عز وجل الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وظني وذلك ما كان
عن امارة قوية واعني بالظن ها هنا ما يفسره اهل اللغة باليقين نحو قوله
عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وتقليدي وذلك ما يعتقد عن راي
اهل البصاير كما وصفه تعالى بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم والاعمال ثلثة عمارة الارض المعنية
بقوله عز وجل واستعمركم فيها وعبادة الله المعنية بقوله عز وجل وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وخلافته المعنية بقوله ويستخلفكم في الارض

عمار

وقوله اني جاعل في الارض خليفة وذلك بتحري مكارم الشريعة فهذه ستة
وكل واحد من هذه اما ان يتحراه الانسان عن رغبة او رهبة كما قال عز وجل
ويدعوننا رغبا ورهبا او يتحراه عن اخلاص بطوع واهتزاز نفس كما قال
عز وجل واخلصوا دينهم لله فهذه اثنتا عشر منزلة وكل واحد من هذه
اما ان يكون الانسان في مبداها او في وسطها او في منتهاها لان كل فضيله
ورذيلة لا ينفك الانسان فيها من هذه الاحوال الثلاث ولهذا قال تعالى
في الفضيله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا
وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين
وقال في الرذيلة ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا الاية
فجعل منازل الايمان ومنازل الكفر التقوى ثلثة كما ترى فهذه اثنا عشر
في ثلثة تكون ستة وثلثين وكل واحد من هذه الستة والثلثين اما ان يتوصل
الانسان اليه من طريق الاجتبا او من طريق الهداية فالاجتبا للانبيا ومن
يليهم من الاولياء وهو ايثار الله تعالى بعض عباده بفيض الهي يأتيهم عنه
الحكمة بلا سعي منهم وعلى هذا قوله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك
الاية وقوله تعالى ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء والاهتداء للحكما والعلما
وهو توفيق الله للعبد ليطلب بسعيه وجهده الحكمة فتحصل له منها بقدر
ما تحمل من المشقة واياها عنى بقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه
من ينيب وقوله عز وجل وممن هدينا واجتبينا فهذه اثنان وسبعون درجة
لا يمكن الزيادة عليها ولا النقصان فيها وكل ما ورد من الاخبار ليس بخارج منها

والله الموفق ومنها هو من جملة العبادة قوله صلى الله عليه الوضوء نصف
الايمان وقوله الايمان الصلاة من فرغ لها قلبه واقامها لحدوده ووقتها
وسننها ومنها هو من مكارم الشريعة قوله عليه السلام الحياء من الايمان
وقال خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل والايمان وقوله ثلث من جمعهن جمع
الايمان الانفاق من الاقتار وانصاف المومن من نفسه وبذل السلام وقوله
اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم وقوله عليه السلام لاناس من
اصحابه ما ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر في الرخاء ونرضى بالقضاء فقال
عليه السلام مومنون ورب الكعبة ع ع ع

باب انواع الجهل

الانسان في الجهل على اربعة منازل الاول من لا يعتقد اعتقادا الا صالحا ولا
طالحا وامره في ارشاده سهل اذا كان له طبع فانه كلوح ابيض لم يشغله نقش و
كارض بيضاء لم يلق فيها بذر ويقال له باعتبار العلم النظري غفل وباعتبار
العلم العملي غمر ويقال له سليم الصدر والثاني معتقد لراي فاسد لكنه لم يتشا
عنه ولم يترتب عليه فاسفر الله عنه سهل وان كان اصعب من الاول فانه
كلوح محتاج الى حذف وكتابة وارض تحتاج الى قلع وزراعة ويقال له غاوٍ
وضال والثالث معتقد لراي فاسد قد اتى ذلك تراث له صحته فركن اليه
بجهله وضعف بصيرته فهو ممن قد وصفه الله عز وجل بقوله ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فهذا ذو داء اعيا الاطباء كل حيلة الا التي
كالاسبال الى تهذيبه وتنبيهه كما قيل لحكيم يعظ شخاجا هلا ما تنفع

52

فقال اغسل مسحاك علك يبيض والرابع يعتقد اعتقادا فاسدا عرف
فساده او تمكن من معرفته لكنه اكتسب دنية لراسه وكرسيا لرياسته فهو
يحامي عليها فيحاط بالباطل ليدحض به الحق ويذم اهل العلم ليجر الى نفسه
الخلق ويقال له فاسق ومنافق وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في نحو قوله
عز وجل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورايتهم يصدون وهم
مستكبرون فنبه الله تعالى انهم ينكرون ما يقولونه ويفعلونه لمعرفتهم ببطلانه لكن
يستكبرون عن التزام الحق وذلك حال ابليس فيما دعي اليه من السجود لادم عليه السلام
والجنون هو عارض يغمر العقل والحمق قلة التنبه لطرق الحق وكلاهما يكونان
خلقة تارة وعارضا تارة وقد عظم الحمق ما لم يعظم الجنون وقد صدق الشاعر
في قوله لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها ٭ وقد حكيت
حكاية هي وان لم تصح نافع ذكرها وهي ان عيسى عليه السلام اتى باحمق ليداويه
فقال اني اداوي الاحمق ولم يعنني مداواة الاكمه والابرص ومما يفرق
بينهما ان الجنون يكون عرضه الذي يريده ويقصده فاسدا وسلوكه الى غرضه
صوابا والاحمق يكون غرضه الذي يريده صحيحا وسلوكه اليه خطأ ولهذا
يعرف الجنون اذا رئيت ارادته قبل سلوكه الى مراده والاحمق لا يعرف مراده بل
يعرف بسلوكه ولهذا متى صحت ارادة المجنون صح فعله حتى يتعجب كثير من فلتات
صوابه والاحمق لا يكاد يصيب في شيء من مسالكه واما البله فقلة التنبه
على الامور الدنيوية وتارة يكون بالامور الاخروية فمن كان في احدهما اكيسا
كان في الاخرى ابله قال ابو بكر رضي الله عنه اكيس الكيس التقى واحمق الحمق الفجور

واما الوقيع فهو الذي يلصق بقلبه كل محال كانه رقع بذلك والاورع الذي
ياتي لما لخرج عن الصواب تشبيها بورع الجبل وهو الحد منه والاحمق الناقص
العقل من قولهم احمقت السوق اي نقصت والغماره قلة التجربة في الامور العمليه
مع تخيل سليم وقد يكون الانسان غمرا في شئ غير غمر في اخر والخرق يقال
في الجاهل بالعلوم العمليه وذلك بان يفعل اكثر مما يجب او اقل وعلى غير النظام
المحمود وفساد كل عمل لا يعدو احد هذه الوجوه الثلثه وبضاده الحمق
والغي اتباع الهوي وترك ما يقتضيه العقل والضلال ان يقصد لاعتقاد
الحق او قول الصدق او فعل الجميل فظن لتقصيره وسوء تصوره فيما كان باطلا
انه حق فاعتقده او فيما كان كذبا انه صدق فقاله او فيما كان قبيحا انه جميل
ففعله والجهل عام في جميع ذلك والخبث استعمال الدهاء في الامور الدنيويه
صغيرها وكبيرها والجربزه مثله لكن يقال فيما يقتضي الارباح الدنيه و
الدهاء مثله لكن يقال في الامور العظام اذا ادرك غاياتها ولهذا قالوا
الدهاة في الاسلام اربعة فذكروا المتوجهين في الاحتيالات الدنيويه
التي بلغوا بها امورا كبارا ومن الجهل الكفر وهو عناد الانسان الحق بعد
سبيل التكذيب له بعد ما يتبين واصله ستر ما جعله الله للانسان بفطرته وصبغته
من المعارف بما يستعمله وتحراه من عناد الحق ومن ترك النظر والاخلال
بالتزكية للنفس المعنيه بقوله قد افلح من زكاها ه

مكوز ١١ بلغ

باب كون العلم مذكورا في نفس الناس

نفس الانسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة فيها بالفطرة مجعولة لها بالقوه

محمد

مجعولة

كانت في الحجر والنخل في النواة والذهب في الحجارة وكالماء تحت الارض لكن كما
ان من الماء ما يجري من غير فعل بشري ومنه ما يعاين تحت الارض لكن لا يوصل
اليه الا بدلو وورشاء ومنه ما هو كامن يحتاج في استنباطه الى حفر وتعب
شديد فان عني به ادرك والا بقي غير منتفع به كذا العلم في نفوس البشر
منه ما يوجد من غير تعلم بشري وذلك كحال الانبيا فانه يفيض عليهم المعارف
من جهه الملأ الاعلى ومنه ما يوجد منه بادني تعلم ومنه ما يصعب وجوده
كحال عوام الناس ولكون العلم مركوزا في النفوس قال تعالى واذ اخذ ربك من
بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الايات
فنبه انهم اقروا ان الله هو الذي يربيهم ويغذيهم ويرزقهم ويكملهم من
الطفوليه فهذا اقرار بفوسهم كلهم بما ركز في عقولهم فاما الاقرار باللسان
فلم يحصل من كلهم وكذلك المعنى بقوله عز وجل ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله
اي لين اعتبرت احوالهم لكانت نفوسهم وجوارحهم تنطق بذلك وعلى هذا فاقم
وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فبين ان الدين الحنيف هو المستقيم
قد فطر الناس عليها اي خلقهم عالمين به وان المعاندين وان قصدوا تبديله
وازالة الناس عنه لم يقدروا عليه وعلى ذلك قوله عز وجل فمن قوى منه الفطرة
والصبغة او لئك كتب في قلوبهم الايمان فمتى ذلك كتابها وقول النبي صلى الله عليه
وسلم كل مولود يولد على الفطرة وهذه الشهادة المأخوذة عليهم فالناس
فيها ضربان ضربت اجالوا فكرهم وخواطرهم حتى ادركوا حقايقها فصاروا ممن جعل

صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وقال عز وجل يتبعون

شهادة تقسيمها ثم تذكرها ولذلك قال في غير موضع لعلكم تذكرون ولتذكر
اولوا الالباب وضرب اهملوا انفسهم ولم يشتغلوا بتذكر ما حملوا كما قال
واذا ذكروا لا يذكرون فهم في الجهالة يتسكعون وعلى التذكر حثنا الله تعالى
بقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به وقال عز وجل ولقد
يسرنا القرآن للذكر اي يسرنا القرآن ليكون سببا ان يتوصلوا به الى تذكر
ما سبق من عهدكم والتذكر على اضرب الاول ان يكون باللسان عن صورة
ما حصل في القلب الثاني ان يكون بالقلب كصورة ما حصل عن شيء معهود
امثلا بالبصر او بالبصيرة او غيره من المشاعر والثالث ان يكون عن صورة
مضمنة بالفطرة في الانسان وهو المشار اليه بهذه الايات ومن هذا الوجه
قال الحكماء التعلم ليس يجلب الى الانسان شيئا من خارج في الحقيقة وانما يكشف
الغطاء عما حصل في النفس فيبرزه بجلايه فمثله كمثل الجافر المستنبط للماء من
تحت الارض وكالصيقل الذي يبرز الجلاء في المرآة وهذا ظاهر لمن نظر بعين عقله

باب حصر انواع المعلومات

انواع العلوم ثلثة نوع يتعلق باللفظ ونوع يتعلق باللفظ والمعنى ونوع
يتعلق بالمعنى دون اللفظ فاما المتعلق باللفظ فهو ما يقصد به تحصيل
الالفاظ بوساطة المعاني وذلك ضربان احدهما حكم ذوات الالفاظ وهو علم
اللغة والثاني حكم لواحق الالفاظ وذلك شيآن شيء يشترك فيه النثر والنظم
وهو علم الاشتقاق وعلم النحو وعلم التصريف وشيء يختص به النظم وهو علم
العروض وعلم القوافي واما النوع المتعلق باللفظ والمعنى فخمسة اضرب علم

البراهين وعلم الجدل وعلم الخطابة وعلم البلاغة وعلم الشعر
واما النوع المتعلق بالمعنى فضربان علمي وعملي فالعلمي ما القصد منه
ان يعلم فقط وذلك معرفة الباري عز اسمه ومعرفة النبوة ومعرفة الملائكة
وسوم القيمة ومعرفة العقل ومعرفة النفس ومعرفة مبادي الامور ومعرفة
الاكوان ومعرفة الآثار العلوية من الفلك والنبات والمعادن والنجوم ومعرفة
طبايع النبات ويقال له علم الفلاحة ومعرفة طبايع الحيوانات ومعرفة
طبايع الانسان ويقال له علم الطب واما العملي فهو ما يجب ان يعلم
ثم يعمل وتارة يبتغي السنن والسياسات وتارة الشريعة وتارة احكام الشرع
ومكارمه وذلك حكم العبادات وحكم المعاملات وحكم المطاعم وحكم
المناكح وحكم المزاجر والطرق التي تستفاد منها العلوم اضرب الاول
المستفاد من بديهة العقل ومصادمة الحس وذلك يحصل لكل من لم يكن
موقوفا في الامة وان اختلفت احوالهم في ذلك الثاني المستفاد من جهة النظر
اما من مقدمات عقلية او من مقدمات محسوسة الثالث المستفاد بخبر
الناس اما بسماع من افواههم او بالقراءة من كتبهم ولا يكون الخبر علما الا
ما كانت الظنة عن مخبريه من تفرعه الرابع ما كان عن الوحي اما بلسان
ملك مرئي كما قال عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك واما بسماع كلام
من غير مصادفة عين كحال موسى صلى الله عليه واما بالقاء في الروع في
حال اليقظة كما قال صلى الله عليه ان يكن في هذه الامة محدث فهو عمر رضي الله عنه
واما بالمنام وهو المعنى بقوله صلى الله عليه الرؤيا الصالحة جزء من ستة

واربعين جزأ من النبوة ويطوى على ذلك قوله عز وجل ما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء

باب ما يعرف به فضيلة العلوم

فضيلة العلوم تعرف بشيئين احدهما شرف ثمرته والاخر وثاقة دلالته
وذلك كشرف علم الدين على علم الطب فان ثمرة علم الطب الوصول
الى الحيوة الدنيوية المنقطعة وثمرة علم الدين الوصول الى الحيوة الابدية
وعلم الدين اصوله ماخوذة عن الوحي واصول الطب ماخوذة اكثرها عن
التجارب ورب علم يربو في على غيره باحد الوجهين وذلك الغير يربو عليه
بالوجه الاخر كالطب مع الحساب فللطب شرف الثمرة اذ هو يفيد الصحة
صحة البدن والحساب وثاقة الدلالة اذ كان العلم به ضروريا غير مفتقر
الى التجربة وليس يجب ان يحكم بفساد علم لخطأ وقع من ارباب كصنيع العامة
اذا وجدوا من اخطأ في مسئلة حكموا على صناعته بالفساد واذا راوا من اصاب
في مسئلة حكموا لصناعته بالصحة وذلك عادتهم في الطب والتنجيم
فيعتبر وزن الصناعة بالصانع خلاف ما قال امير المومنين رضي الله عنه
الحق يا حار ملبوس على لك الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله وليس يدرون
ان الصناعة مبنية على شئ روحاني والمتعاطي لها يباشرها بطبع وجسم
يضامهما العجز فهو خليق بوقوع الخطأ منه ثم الانسان قد ينتحل ما لا يحسنه
ويتدرع بدعوى ما لم يحزه الى هم كثير ممن يتخصص بصناعة يدعي بصناعته ما ليس
في طبعها كثير من المنجمين المدعين ما لا يوجد في التنجيم فاذا الاعتبار بدعاوى الناس
للخروج عما ليس في طبعها

باب استحسان معرفة انواع العلوم

نحلة

حق الانسان ان لا يترك شيأ من العلوم امكنه النظر فيه واتسع العمر له الا
ويخبر بنمته عرفه ويذوقه طيبه ثم ان ساعده القدر على التغذي به والتزود
منه فبها ونعمت والا لم يصبر بجهله وغباوته عن منفعته معاديا له بطبعه
فمن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا ومن جهل شيا عاداه فالناس
اعداء لما جهلوا بل قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وحكي
عن بعض فضلاء القضاة انه بعد ما طعن في السن وهو يتعلم اشكال الهندسة
فقيل له في ذلك فقال وجدته علما نافعا فكرهت ان اكون جاهلا به معاديا له
ولا ينبغي للعاقل ان يستهين بشئ من العلوم بل يجب ان يحمل الكل واحد حظه
الذي يستحقه ومنزلة الذي يستوجبه ويشكر من هداه بفهمه وصار
سببا لعلمه فقد حكي عن بعض الحكماء انه قال يجب ان نشكر آباءنا الذين ولدوا
لنا الشكور اذ كانوا اسبابا لمن حرك خواطرنا للنظر في العلم فضلا عن شكر من
افادنا طرفا من العلم ولولا فكر من تقدمنا لاصبح المتاخرون حيارى قاصرين
عن معرفة مصالح الدنيا فضلا عن مصالح الاخرى فمن تامل حكمة الله تعالى
في اقل آلة يستعملها الناس كالمقراض حيث جمع بين سكينين مركبا على وجه
يتوافى حداهما على نمط واحد للقرض اكثر تعظيم الله وشكره ويقول سبحان الذي
لنا هذا وما كنا له مقرنين

باب معاداة بعض الناس لبعض العلوم

العلم طريق الى الله عز وجل ذو منازل قد وكل الله بكل منزلة منها حفظة

لحفظة الرباطات والثغور وطرق الحج والغزو فمن منازله معرفة اللغة التي
عليها مبنى الشرع ثم حفظ كلام رب العزة ثم سماع الحديث ثم المعرفة
الفقه ثم علم الاخلاق والورع ثم علم المعاملات وما بين ذلك من الوسايط
من معرفة اصول البراهين والادلة ولهذا قال عز وجل هم درجات عند الله
وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وكل واحد
من هؤلاء الحفظة اذا عرف مقدار نفسه ومنزلته ووفى حق ما هو بصدده
فهو في جهاد يستوجب من الله تعالى لحفظه مكانه ثوابا على قدر عمله لكن ما
ينفك كل منزل منها من شر يرد ذاته وشره في مكسبه وطالب لرياسته
وجاهل معجب بنفسه يصير لاجل تنفيق سلعته صارفا عن المنزل الذي فوق
منزلته من العلم وعاميا له فهكذا ترى كثيرا ممن حصل في منزلة من منازل
العلوم دون الغاية عاميا لما فوقه وصارفا عنه من رامه فان قدر ان يصرف
الناس عنه بشبهه من خرفة والا نفرهم عنه فعل من قال الله تعالى فيهم
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وما ارى
من هؤلاء اصيبت عنه الا من الذين وصفهم الله تعالى بقوله الذين يستحبون الحيوة
الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد
وذكر الترمذي هذه المسئلة وقال اذا كان من يقطع على الناس طريق مكاسبهم
الدنيوية مستحقون ما ذكر الله تعالى في قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا الاية فما الظن فيما يستحقه
من العقوبة من يقطع الطريق على المسافرين لما الله وحكى عن عيسى عليه السلام

انه قال يا علماء السوء قعدتم على باب الجنة فلم تدخلوا ولم تدعوا غيركم
يدخلها مثلكم كمثل الدفلى زهره حسن وثمره تقتل من اكله ع

باب الحث على تناول البلغة من كل علم والاقتصار عليه

من كان قصده الوصول الى جوار الله تعالى وتوجه نحوه كما قال عز وجل
ففروا الى الله وكما اشار النبي عليه السلام بقوله سافروا تغنموا فحقه
ان يجعل انواع العلوم كزاد موضوع في منازل السفر فيتناول منه في كل
منزل قدر البلغة ولا يعرج على تقصيه واستفراغ ما فيه فتقضي الاشتغال
نوعا واحدا من العلوم على الاستقصا يستفرغ عمر اطول اعمار ثم لا يدرك
قعره ولا يسبر غوره وقد نبهنا الباري عز وجل ان نفعل ذلك بقوله
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك
هم اولوا الالباب وقال امير المومنين رضي الله عنه العلم كثير فخذوا من كل
شي احسنه وقال الشاعر

قالوا خذ العين من كل فضلت لهم في العين فضل ولكن ناظر العين ❊ وقيل
حل تطعك بالعيون والغمر فالشجرة لا يشينها قلة الحمل اذا كانت ثمرتها
نافعة ويجب ان لا يحوض الانسان في فن حتى يتناول من الفن الذي قبله وعلى الترتيب
بلغته ويقضي منه حاجته فان حمام العلوم في السمع مضلة للفهم وعلى هذا
قال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اي لا تنجاوزون فنا حتى
تحكموه علما وعملا ويجب ان يقدم الاهم فالاهم من غير اخلال بالترتيب
وكثير من الناس شكلوا الوصول بتركهم الاصول وحقه ان يكون قصده من علم

يحتراه التبلغ به الى ما فوقه حتى يبلغ النهايه والنهايه من العلوم النظريه
معرفة الله تعالى على الحقيقة والمصدوقة فالعلوم كلها خدم لها وهي حرة
وروى انه رئي صورة حكيم من القدماء المتالهين في بعض مساجدهم وفي
يد احدهما رقعه فيها ان احسنت كل شئ فلا تظنن انك احسنت شيا حتى
تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشيا وفي يد الاخر
كنت قبل ان عرفت الله اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب
بل قد قال الله تعالى ما قد اشار به الى ما هو ابلغ من حكمة كل حكيم قل الله
ثم ذرهم اي اعرفه حق المعرفه ولم يقصد بذلك ان يقول قولا باللسان اللحمي
فذلك قليل الغنا ما لم يكن عن طوية خالصة ومعرفة حقيقيه وعلى ذلك قول
النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنه ويجب ان لا يتوهم
عليه من مراعاة العمل فيه بل بلغ الامر انه ما اخلى ذكر الايمان في عامة
القران من ذكر العمل الصالح نحو قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات والى ذلك اشار
تعالى بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل كثرة
العلم من غير العمل مادة للذنوب وقيل العلم اس والعمل بنا والاس بلا بنا
باطل وقال حكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل باهذا اذا افنيت عمرك
في جمع السلاح فمتى تريد ان تقاتل وقال الشاعر ما يصلح ان يكون اشارة الى هذا المعنى
فعلام ان اشف نفسا حرة ياصاحبي ادبر حمل سلاحي ع

باب احوال الانسان في استفادته العلم وافادته

كما ان للانسان في مقتنياته ان يبع احوال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال

ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن المسئلة وحال انفاق على نفسه
فيصير به منتفعا وحال افادته غيره فيصير به سخيا كذلك ايضا
له في العلم اربع احوال حال استفادة وحال تحصيل وحال استبصار
وحال تبصير وتعليم ومن اصاب مالا فانتفع به ونفع غيره من مستحقيه
كان كالشمس تضئ لغيرها وهي مضيئة والمسك الذي يطيب به وهو طيب
وهذا اشرف المنازل ثم بعده من استفاد علما فاستبصر به فاما من
افاد علمه غيره ولم ينتفع به هو فكالدفتر يفيد غيره الحكمة
وهو عادمها وكالمسن يشحذ وهو لا يقطع وكالمغزل يكسو ولا يكتسي
وكذبالة المصباح تضئ للناس وهي تحترق ومن استفاد علما ولم ينتفع
به هو ولا نفع غيره فانه
كالنخل مشرع شوكا لا يذود به عن حمله كف جان وهو منتهب ع

باب ما يجب على المتعلم ان يتحراه

حق المترشح لتعلم الحقايق ان يراعي ثلثة من الامور الاول ان يطهر نفسه
من رديء الاخلاق تطهير الارض للبذر من خبايث النبات فقد تقدم
ان الطاهر لا يسكن الا بيتا طاهرا وان الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب
والثاني ان يقلل من الاشتغال الدنيويه ليتوفر فراغه على العلوم الحقيقيه
فما صاحب المتطوف يعمر منهلا وربعا اذا ما النخل ربعا ومنهلا
وقد قال الله عز وجل ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه والعنزة مني
توزعت كانت كجدول يفرق ماوه فيتشققه الجو ويتشربه الارض

فلا يقع به نفع واذا جمع بلغ المزرع فانتفع به والثالث ان لا يتكبر
على معلمه ولا على العلم فالعلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان
العالي ولهذا قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا
اعطيته كلك فانك من اعطائه اياك بعضه على خطر وكانما اياه عنى
من قال خدم العلى فخر منه وهي التي لا تخدم الاقوام مالم تخدم

ومتى لم يكن المتعلم من معلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتلقته بالقبول
لم ينتفع به فحقه ان يضرع له كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب او القى السمع وهو شهيد اي لمن لا ينفسه علم يستغني به او تذلل
لاستماع الحق واقتباسه ممن عنده العلم وقال بعض العلماء في قوله صلى الله
عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى اشارة الى فضل المعلم على
المتعلم وفي تليين فضل المعلم حث المتعلم على الانقياد له وكما ان
من حق المريض ان يكل الى الطبيب الناصح الذي وقف على دائه ليطلب
الطبيب دواءه وغذاءه فانه ان تشهى لم يتشه الا ما فيه داؤه ولم يجتنب
الا ما فيه شفاؤه — فمن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

كذلك من حق المتعلم اذا وجد معلما ناصحا ان يأتمر له ولا يتامر عليه
ولا يراده فيما ليس بصدد تعلمه وكفى على ذلك تنبيها ما حكى الله عز وجل
عن العبد الصالح انه قال لموسى عليه السلام حيث قال له هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا فقال له انك لن تستطيع معي صبرا وكيف
اصبر على ما لم تحط به خبرا ثم ذكر انه اشترط عليه ان لا يسأله عن شيء حتى
احدث له منه ذكرا فنهاه عن مراجعته وليس ذلك نهيا عما حث

الله تعالى عليه في قوله فسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وذاك ان
النهي انما هو نهي عن نوع العلم الذي لم يبلغ منزلته بعد والحث انما
هو على سؤال عن تفاصيل ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه
وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم ان لا يصغي الى الاختلافات
المشككة والشبه الملبسة مالم يتهذب في قوانين ما هو بصدده ليلا
يتولد له شبه تصرفه عن التوجه فيه فيودي ذلك به الى الارتداد
ولذلك نهى تعالى من لم يكن قد تقوى في الاسلام عن مخالطة الكفار
فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا
وقال تعالى لا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل ومن اجل ذلك كره
للعامة ان يجالسوا اهل الاهواء والبدع ليلا يغووهم فالعامي اذا
خلا بذوي البدع فكالشاة اذا خلت بالسبع وقال بعض الحكماء انما
حرم الله تعالى في الابتداء الخنزير لانه تعالى اراد ان يقطع العصمة
بين العرب وبين ان تسد الذي كانوا يشككونهم باجتماعهم معهم من
اليهود والنصارى فحرم على المسلمين عن الاجتماع معهم في المواكلة و
الانس وقال صلى الله عليه وسلم في المومن والكافر لا يتراءى ناراهما الذلك
فاما الحكيم فلا باس لمجالسته اياهم فانه مجار مجرى سلطان ذي اجناد
وعدة وعتاد لا يخاف عليه العدو حيثما توجه ولهذا جوز له الاستماع
الى الشبه بل اوجب عليه ان يتتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم
ليجاهدهم ويدافعهم فالعالم افضل المجاهدين الذابين عن الدين

فالجهاد جهاد ان جهاد بالبيان وجهاد بالبنان ولما تقدم سمى الله عز وجل
الحجة سلطانا لقوله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام انى اتيكم بسلطان مبين

ع باب ما يجب ان يتحراه المعلم مع المتعلمين منه

حق المعلم ان يجرى متعلميه مجرى بنيه فانه فى الحقيقة لهم اشرف الجوهر
كما قال الاسكندر وقد سئل اى معلميك اكرم عليك ام ابوك فقال
بل معلمى لانه حسبب حياتى الباقيه ووالدى سبب حياتى الفانيه وقد
نبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله انما انا لكم كالوالد المثل
الوالد الحق معلم الفضيله ان يقتدى بالنبى صلى الله عليه اذ هو ارشاد
الناس خليقته ويشفق عليهم اشفاقه ويحنن عليهم تحننه كما قال تعالى
فى وصفه حريص عليكم بالمومنين رؤف رحيم واى عالم له من يفيده العلم صار
كما قولا نسل له فبموت ذكره بموته ومتى استفيد علمه كان فى الدنيا موجودا
وان فقد شخصه كما قال على رضى الله عنه العلماء باقون ما بقى الدهر اعيانهم
مفقوده واثارهم فى القلوب موجوده وقال بعض الحكماء فى قوله تعالى
فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب انه ماله نسلا يورثه
علمه لا من يورثه ماله فاعراض الانبياء دون عنده الانبياء ان يشفقوا عليها
وكذا قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اى خفض الموالى من ولدك اى حنان لا يراعوا العلم وعلى
هذا قال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وكما ان من حق الاولاد الاداب
الواجبة ان يحسنوا ويتعاضدوا ولا يتباغضوا كذلك حق بنى العلم بنى الدين
ان يكونوا اكثر لك فاخوة الفضيله فوق اخوة الولاده ولذلك قال تعالى انما المومنون

اخوة وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وحق العالم ان يعرف
من يريد ارشاده عن الرذيله الى الفضيله بلطف فى المقال وتعريض فى الخطاب
فالتعريض ابلغ التصريح لوجوه احدها ان النفس الفاضلة لميلها الى استنباط
المعانى تميل الى التعريض شغفا منه باستخراج معناه بالفكر ولذلك قيل ربت
تعريض ابلغ من تصريح والثانى ان التعريض لا يهتك به حجوف الهيبه ولا يرتفع به
ستر الحشمة والثالث ان ليس للتصريح الا وجه واحد وللتعريض وجوه فلهذا
قيل من هذا الوجه يكون ابلغ ومن هذا الوجه حذف اجوبة كثيرة من الشروط
المقتضية للثواب او العقاب نحو قول الله عز وجل حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها
والرابع ان للتعريض عبارات مختلفه فيمكن ايراده على وجوه مختلفة والتصريح
ليس له الا عبارة واحده فلا يمكن ايراده الا على وجه واحد والخامس ان تصريح
انتهى انجر داع الى الاعراض ولذلك قيل اللوم اغرا
دع اللوم فان اللوم بغرى وانما اراد صلاحا من يلوم فافسدا ... وقال النبى صلى الله عليه
لو نهى الناس عن نتف البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ وكفى بذلك
شهادة ما كان من امر ادم وحوا عليهما السلام فى نهى الله تعالى اياهما عن اكل
الشجرة ومن حق المعلم مع من يفيده العلم ان يقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم
فيما علمه الله تعالى حيث قال قل لا اسالكم عليه اجرا فلا يطمع فى فايدة من
جهة من يفيده علما ثوابا لما يوليه ولعلم ان من باع علما بعرض دنيوى فقد
ضاد الله تعالى فى حكمه وذلك ان الله تعالى جعل المال خادما للمطاعم والملابس
وجعل المطاعم والملابس خادما للبدن وجعل البدن خادما للنفس وجعل النفس خادما

للعلم فالعلم مخدوم غير خادم والمال خادم غير مخدوم فمن جعل
العلم ذريعة الى اكتساب المال فقد جعل ما هو مخدوم غير خادم خادما
لما هو خادم غير مخدوم ٭ ٭ ٭

باب وجوب منع الجهال من حقايق العلوم والاقتصار بهم على قدر افهامهم

بلغ

واجب على الحكيم والعالم النحرير ان يقتدي بالنبي عليه السلم فيما قال انا
معاشر الانبيا امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس بقدر عقولهم ولك
يتصور ما قال امير المومنين رضي الله عنه حيث قال لكميل بن زياد واومى
بيده الى صدره ان ها هنا علوما جمة لو وجدت لها حملة بلى اصبت لقيا
غير مامون عليه يستعمل الة الدين للدنيا فيستطهر بنعم الله على عباده
وبحجته على كتابه او منقادا لاهل الحق لا بصيرة له يقتدح الشك
في قلبه باول عارض من شبهة وروى عنه عن النبي صلى الله عليه
انه قال كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله
ورسوله وقال صلى الله عليه ما انت بمحدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم
الا كان ذلك فتنة على بعضهم وقال عيسى عليه السلم لا تضعوا الحكمة
في غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوا اهلها فتظلموهم وكن كالطبيب الحاذق
يضع دواه حيث يعلم انه ينفع وقيل تصفح طلاب حكمك كما تتصفح
خطاب حرمك وبهذا الم ابو تمام

وما انا بالغير ان من دون جارتي اذا انا لم اصبح غيورا على العلم

وقيل لبعض الحكما ما بالك لا تطلع كل احد على حكمة يطلبها منك فقال

اقتدا بالباري عز اسمه حيث قال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون فبين ان منعهم لما لم يكن فيهم خير وبين ان في اسماعهم
ذلك مفسدة لهم وسال رجل جاهل حكيما عن مسئلة من الحقايق فاعرض
عنه ولم يجبه فقال له اما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما
نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال نعم سمعته فاترك اللجام
ها هنا واذهب فاذا جاء من ينفعه ذلك وكتمت فالجمني وقال بعض
الحكما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفها اموالكم التي جعل الله لكم قياما انه نبه
على هذا المعنى وذلك انه لما منعنا من تمكين السفيه من المال الذي هو
عارض حاضر ياكل منه البر والفاجر تفادبا انه ربما يودي الى هلاك
دنيوي فلان يمنع من تمكينه من حقايق العلوم التي اذا تناولها السفيه
ادته الى الضلال واضلال وهلاك واهلاك احق واولى فانه

اذا ما اقتنى العلم ذو شرة تضاعف ما ذم من مخبره ٭

وصادف من علمه قوة يصول بها الشر في جوهره ٭

وكما انه واجب على الحكام اذا وجدوا من السفها رشدا ان يرفعوا عنهم
الحجر ويدفعوا اليهم اموالهم لقوله عز وجل فان انستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم فواجب على الحكما اذا وجدوا من المستر شدين رقة ولا ان
يدفعوا اليهم العلوم بقدر استحقاقهم فالعلم قنية يتوصل بها الى الحيوة الاخروية
كما ان المال قنية في المعاونة على الحيوة الدنيوية وباذل العلم لمن لا يستحقه
يستوجب عقوبته ومانعه اهله يستوجب عقوبات ولذلك قال عز وجل

واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فقال
عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك
ما ياكلون في بطونهم الا النار الاية وقال تعالى ان الذين يشترون بعهد الله الاية
فاذا ثبت ذلك وجب ان يكون من تقيد من العامة بقيد الشرع
فحسنت حاله ان لا يصرف عما هو بصدده فيودي ذلك الى اخلاله عن قيده
ثم لا يمكن ان يقيد بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين الشرور
وبينه وبين اشتغاله بعمارة الارض من بين تجارة او مهنة فحقه ان يقتصر به
من العلم على مقدار ما يحتاج اليه من هو في مرتبته في عبادة الله العامية
وان يملا نفسه عن الرغبة والرهبة الواردتين في القرآن لا يولد له الشبه
والشكوك وان اتفق اضطراب نفس بعضهم اما بانبعاث شبهة تولدت له
او ولدها ذو بدعة دفع اليه فتاقت نفسه الى معرفة حقيقتها
فحقه ان يختبر فان وجد طبعه موافقا للعلم وفهمه ثاقبا تصور ما خلي بينه
وبين التعلم وسوعد عليه بما يوجد اليه من السبيل وان وجد
شريرا في طبعه او ناقصا في فهمه منع اشد المنع نفي اشتغاله بالاسبيل
له الى ادراكه مفسدة ان تعطله عما يعود بنفع الى العباد والبلاد و
اشتغاله بما يكثر منه شبهه وليس فيه نفعه وكان بعض الامم المتقدمة اذا رأى شيخ
احدهم يتخصص بمعرفة الحكم وحقايق العلوم والخروج من جملة العامة
الى الخاصة اختبره فان لم يوجد خيرا في الخلق غير متهيئ للتعلم منع اشد
المنع وان وجد خيرا ومتهيئا للعلم شرط عليه ان يقيد يقيد في دار

الحكمة ومنع ان يخرج حتى يحصل له العلم او يأتي عليه الموت ويزعمون
ان من شرع في حقايق العلوم ثم لم يبرع فيها ولدت له الشبه وكثرت
فيصير ضالا مضلا فيعظم على الناس ضرره وهذا النظر قبل يعوذ بالله من
نفوذ متكلم

باب وجوب ضبط المتصدي للعلم ومضرة اهمال ذلك

لما شرع وجب على السلطان من مراعاة احوال المتصدين للرياسة بالعلم فمن
الاخلال بها ينتشر الشر ويكثر الاشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر
وذلك ان السواس اربعة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم
وباطنهم والولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والحكما
وحكمهم على بواطن الخاصة والوعظة وحكمهم على باطن العامة وصلاح
العالم بمراعاة امر هذه السياسة لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة
العامة وفساده في عكس ذلك ولما ترك مراعاة المتصدي للحكمة والوعظ
وترشح قوم للزعامة في العلم من غير استحقاق منهم لها فاحدثوا بجهلهم
بدعا استغووا بها عامة واستجلبوا بها منفعة ورياسة فوجدوا
من العامة مساعدة لمشاكلتهم لهم وقربوهم منهم فكل قريب لشكله
كانس الخنافس بالعقرب وفتحوا بذلك طرقا منسدة ورفعوا بها ستورا
مسبلة وطلبوا منزلة الخاصة فوصلوا اليها بالوقاحة وبما فيهم من الشره
فبدعوا العلماء وكفروهم اعتصابا بالسلطانهم ومنازعة لمكانهم فاغروا
بهم اتباعهم حتى وطيوهم باخفافهم واطلافهم فتولد من ذلك البوار والجور العام

باب ذكر من يصلح لوعظ العامة

لا يصلح الحكيم لوعظ العامة لا لنقص في الحكيم بل لنقص في العامي
فلن ترى الشمس ابصار الخفافيش ۞ والصقر يجفو اعن طراد الدخل ۞
وايضا فبين الحكيم والعامي من تنافي طبعيهما وتنافر شكليهما من النفار
قريب مما بين الماء والنار والقبل والنهار وقد قيل لسلمة بن كهيل ما العلة
رفضه العامة وله في كل خير ضرس قاطع فقال لان ضوء عيونهم قصر عن نوره
والناس ابناء اشكالهم اميل وبهذا النظر لما قال جاهل لحكيم اني احبك
فقال له نعيت الى نفسي فقيل له ولمه قال لانه ان صدق فليس ميله الى
الا لنقيصة بدت من نفسي لنفسه فانست به وعلى هذا قال الشاعر

لقد زادني حبا لنفسي انني ۞ بغيض اليك كل امرء غير باطل ۞

فحق الواعظ ان يكون له مناسبة الى الحكماء يقدر على الاقتباس منهم والاستفادة
ومناسبة الى الدهماء يقدرون على الاحتذاء منه كالوزير للسلطان الذي
يجب ان يكون فيه اخلاق الملوك وتواضع السوقة ليصلح ان يكون واسطة
بينه وبينهم وكالنبي الذي جعله الله من البشر واعطاه قوة الملك ليمكنه ان
ياخذ من الملك ويكن البشر ان ياخذوا منه والى هذا اشار بقوله تعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولبسنا عليهم ما يلبسون فلم يسع التلقي عن الملك ما لم
يتجسم فيصير في صورة رجل فاذا حق الواعظ ان يكون له نسبة الى الحكيم
والى العامة ياخذ منه ويعطيهم كنسبة العضاريف الى اللحم والعظم جميعا
ولولاها لما امكن العظم ان يكتسب الغذاء من اللحم وهذا اذا تامل اطلع
على حكمة عجيبة وصنعة غريبة ۞ ۞ ۞

۞ باب الحال التي يجب ان يكون عليها الواعظ

حق الواعظ ان يتعظ ثم يعظ ويبصر ثم يبصر ويهتدي ثم يهدي ولا يكون
دفترا يفيد ولا يستفيد ومستنا يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تفيد
القمر الضوء ولها افضل مما تفيده وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمى
اكثر مما تنيل وكبيان لا يجرح مقاله بفعاله ولا يكذب لسانه بحاله
فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة
الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في
الارض ليفسد فيها ويحق ما قال امير المومنين رضي الله عنه قصم ظهري رجلان
جاهل متنسك وعالم متهتك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم
ينفرهم بتهتكه والواعظ اذا لم يكن مع مقاله فعاله لم ينتفع به وذاك
ان علمه مدرك بالبصيرة وعمله مدرك بالبصر واكثر الناس اصحاب الابصار
دون البصاير فيجب ان يكون غناءه باظهار عمله الذي مدركه جاهلهم اكثر
من غنائه بالعلم الذي لا يدرك الا بالبصيرة ومنزلة الواعظ من
الموعوظ منزلة المداوي من المداوى فكما ان الطبيب اذا قال للناس
لا تاكلوا الذي فانه سم ثم راوه اكلا له عد ذلك سخرة وهزا كذلك
الواعظ اذا امر بما لا يعمله وبهذا النظر قيل ياطبيب طبب لنفسك
بل قد قال تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
الى غير ذلك من الايات وايضا فالواعظ من الموعوظ بمجرى مجرى الطابع من
المطبوع بما ليس منقوشا به كذلك محال ان يحصل في نفس الموعوظ ما ليس

بموجود في الواعظ واذا لم يكن الواعظ الا اذا قول مجرد من الفعل لم يتلق
عنه الموعوظ الا القول دون الفعل وايضا فان الواعظ يجري مجرى
من الناس مجرى الظل من ذي الظل فكما انه محال ان يعوج ذو الظل و
الظل مستقيم كذلك محال ان يعوج الواعظ والموعوظ مستقيم وايضا
فكل شئ له اصالة فانه يجر غيره الى نفسه بقدر وسعه باراده منه او
غير ارادة كالماء الذي يحيل ما يتلقاه من العناصر الى نفسه بقدر وسعه
وكذلك الارض والهواء فالواعظ اذا كان غاويا جر بغيته غيره الى نفسه
ولهذا حكى الله تعالى عن الكفار ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم
كما غوينا وقال ايضا فاغويناهم انا كنا غاوين فمن ترشح للوعظ
ثم فعل فعلا قبيحا اقتدى به غيره فقد جمع وزره ووزرهم كما قال
صلى الله عليه من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومن سن
سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها بل قد قال تعالى ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون
وقال عز وجل وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا
يفترون ع **باب صعوبة المعيار الذي يعرف به حقايق العلوم**
كما ان للدراهم والدنانير ميزانا قد عرف اهله صحته فكل علم له ميزان نحو الحساب
للعدديات والهندسة للمحسوسات والعروض للشعر والنحو للالفاظ العربية
والى هذا اشار بقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وادى الذين اعطاهم الميزان فقالوا وتنوا

الناروه

بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
فكل شاك ومنازع غيره في مقدار فحقه ان يعتمد ميزانه ان عرفه ويقلد
اربابه ان لم يعرفه فان من ترك ذلك واخذ يخرص ويحزر ويظن ويخمن
لم يزل شكه ولم يسقط خلافه فالخرص قل ما يصدق والظن قلما يحقق
ولذلك عبر بالخرص عن الكذب فقال عز وجل ان هم الا يخرصون وقال تعالى
قتل الخراصون وقال تعالى في ذم الظن ان يتبعون الا الظن وان الظن
لا يغني من الحق شيئا ومعلوم ان ميزان الدين الذي صوابه يوصل الى الثواب
العظيم وخطاه يفضي الى العذاب الاليم اصعب الموازين واشرفها واولاها
بالمعرفة وكثير في زماننا ممن تحلى بعلم الكلام وترشح فيه للجدال
والخصام ورام الزعامة فيه قبل اوانها وطلب موزونا به بغير ميزانها
اخذ كل واحد يخرص خرصا ويظن ظنا ويسلك بظنه طريقا غير نهج فاذا
وقع بينهم خلاف جعل كل واحد ميزانه خرصه واتبع فيما اعتقده ظنه
فاذا تحاكموا الى ما اتخذوه ميزانا خلافهم الميزان اكثر من خلافهم في
الموزون منهم في ذلك كمن عقر بالطعام فاستغاث بما افترق به او
كمتمسك بغير نار يستعد له بالجهل درعين من قار وكبريت ٭ لا جرم
ان اكثر من مناظراتهم لا يولد الا شبهة ولا يثمر الا حيرة ولا يقوم عنه اثنان
الا بمناظرة مدت بما بل بمظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور ع ع ع

ع **باب كراهية الجدال للعوام وذمه**

اباحة تعاطى الجدال للعامة الذين لم يتدربوا فى تحصيل القوانين و
لم يتهذبوا فى سبيل البراهين يجرى مجرى حل قيد الشياطين ورفع سد
ياجوج وماجوج فانها تثور سلطان قوتهم السبعية خالعة من يد
قايد العقل وقيد الشرع فالجدال مكروه للعلماء الابتات فكيف للجهال
الاغبياء الا ترى ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتى
هى احسن فلم يطلق له جدال مخالفيه حتى قيده بالاحسن هذا مع وصفه
عليه السلام بقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال فى ذم الجدال
ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال عز وجل ومن الناس من
يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقال واذا ابايت الذين يخوضون
فى اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره والجدل مع كونه مكروها
شرايط وقوانين من تعاطاه ولم يكن متدربا بها كان خصما جدلا و
الخصومة عديمة الفايدة قليله العايدة فان الجدل مع ما فيه قد يوقظ
الفهم ويثير الانفة لاقتباس العلم والخصومة لا تثمر الا العداوة وانكار
الحق ولهذا جعلها الله تعالى شرا من الجدال فقال بل هم قوم خصمون
وقال عز وجل فاذا هو خصيم مبين ولم يذكر الخصام فى موضع الاعابة
وايضا فالمتجادلان يجريان مجرى فحلين تعاديا وكبشين تناطحا وريئسين
تجاريا وكل واحد منهم يجتهد ان يكون هو الفاعل وصاحبه المنفعل
وان يكون هو الطابع وصاحبه المنطبع والغالب كالمؤثر والسامع كالمتاثر
ومتى لم يخضع المتاثر لقبول اثر المؤثر لم يتولد منهما خير بوجه وقال حكيم

باب ما يجب ان يعامل به الجدل المماحل

اذا ابتليت بجادل مهارش ومساجل مناوش قصده اللجاج واراده
مباهات العلماء ومماراة السفهاء كما قال النبى عليه السلم من تعلم العلم ليماري
ليباهى به العلماء او يماري به السفهاء وقال الشاعر

تراه معنا للخلاف كانه ... يرد على اهل الصواب موكل

فحقك
ان تفر منه فرار الاسد والاسود فان لم تجد من مزاولته بدا فقابل
انكاره الحق بانكارك الحق الباطل ودافعه الصدق بدافعك الكذب معتبرا
معتبرا فى ذلك قول الله عز وجل ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقال ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين وقوله عز وجل حكاية عن المنافقين انا معكم انما نحن مستهزءون
الله يستهزئ بهم وقوله عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الاية
وتبلغ بذلك معه واياك وان تعرج معه على بث الحكمة وان تذكر له شيأ
من الحقايق ما لم تحقق ان له قلبا ظاهرا لا تعافه الحكمة فقد قال صلى الله
عليه لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب فان لكل تربة غرسا ولكل بنا
اسا وما كل راس يستحق التيجان ولا كل طبيعة يستحق افادة البيان

وان كان لابد فاقتصر معه على اضاع يبلغه فهمه فقد قيل كما ان لب
الثمار معه للنحل والتين مباح للانعام فلب الحكمة معد لذوى
الالباب وقشورها مجعوله للانعام وكما انه محال من المحال
ان تشم الاخشم ريحانا فمحال ان تفيد الحمار بيانا واعلم ان سبيل
الانكار الحجة والسعى فى افسادها اسهل من سبيل المعارضة بمثلها
والمقابلة لها ولهذا تجرى الجدل الخصم ابدا الدفاع لا المعارضة
بمثلها وذاك ان الافساد هدم وهو سهل والاتيان بمثله بناء وهو صعب
فان الانسان كما يمكنه قتل النفس الزكية وذبح الحيوانات واحراق
النبات ولا يقدر على ايجاد شئ منها يمكنه افساد حجة قوية بضرب
من الشبه المزخرفة ولا يمكنه الاتيان بمثلها ولاجل ما قلنا دعا الله
الناس فى الحجج الى الاتيان بمثلها لا السعى فى افسادها فقال تعالى
قل فاتوا بسورة من مثله وقال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فرضى ان يأتوا
بما فيه مشابهة له وان كان ذلك مفتريا وقال ابرهيم عليه السلام فان الله يأتى بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب

باب الوجوه التى من اجلها يقع الشبه والخلاف

السبب الموقع للشبه والمولد للخلاف على القول المجمل سببان المعنى واللفظ
فاما ما كان من جهة المعنى فاما ان يكون من جهة الناظر او من جهة المنظور فيه
وهو الحجة او من جهة الآلة التى تستعمل فى النظر فان الناظر فى الشئ المعتبر له
جار مجرى وزان وحجه كالميزان والمنظور فيه كالموزون فمتى كان الناظر

غير تام الفعل كان عمى البصيرة فيجرى مجرى وزان اعمى البصر فلا سبيل له
الى الوزن ومتى لم يكن عمى البصيرة لكن هو غير مالك لقوانين البراهين والحجج
والادلة كان جاريا مجرى وزان عديم الميزان فالخطر والخطر قل ما
ينفك من غلط بل ما وقع منه من الصواب فغير معتد به اذ لا اصل له
تسكن اليه النفس ومتى لم يكن عمى البصيرة لكن لا يعرف اى حجة يستعمل فيما هو
بصدده فيطلب المعقول من جهة المحسوس والمحسوس من جهة المعقول
كان جاريا مجرى وزان بصير لكن يزن الدراهم بصنج الدنانير والدنانير بصنج
الدراهم واما ما كان من جهة اللفظ فاما ان يكون ذلك واقعا من جهة
مفردات اللفظ او من جهة مركباته فان كان من مفردات اللفظ فاما ان
يكون من حيث ان اللفظ مشترك بين المعنيين كالعين واليد ونحوهما
او علما يكون اللفظ عاما موضوعا موضع خاص او خاصا موضوعا موضع عام
او يكون اللفظ مستعملا لشئ لم يتقرر صورة ذلك الشئ فى نفس السامع فيتخيل له
وهم فاسد كاعتقاد كثير من الناس اعتقادات فاسدة فى الملايكة والجن
والشيطان والجنة والنار والميزان والصراط والكرسى فاما ما كان من جهة
التركيب فاما ان يكون من جهة الكمية وذلك بان يكون اللفظ اكثر مما يجب
ان يكون او اقل مما يجب ان يكون واما من جهة الكيفية وذلك ان يقدم ما حقه
ان يؤخر او يؤخر ما حقه ان يقدم كقول الشاعر

وما مثله فى الناس الا مملكا ابو امه حى ابوه يقاربه

ومن اجل ما وقع فى
الالفاظ من الشبه قال الحكماء يجب ان يكون نظر الانسان من المعنى الى اللفظ

اكثر من اللفظ الى المعنى فان اللفظ في الحقيقه لا يدل على المعنى الا بوساطة
صورة ذلك المعنى في القلب ومتى لم يثبت صورة المعنى في القلب لم يفهم المعنى من اللفظ

باب جميع بيان اختلاف الناس في الاديان والمذاهب

الاديان

جميع الاختلافات بين اهل الاديان والمذاهب على اربع مراتب الاولى
الخلاف بين اهل النبوية وبين الخارجين عنها من الثنوية والدهرية وذلك
في حدوث العالم وفي الصانع عز وجل وفي التوحيد والثانية الخلاف بين اهل
النبوية بعضهم بعضا وذلك في الانبيا كاختلاف المسلمين والنصارى واليهود
والثالثه الاختلاف المختص باهل الدين الواحد بعضهم بعضا في الاصول
التي يقع فيها التبديع والتفجير والاختلاف في كثير من صفات الله
عز وجل وفي القدر وكاختلاف المجسمه الرابعة الاختلاف المختص
باهل المقالات في فروع المسايل كاختلاف الشافعية والحنفية
فالاختلاف الاول يجري مجرى متنافيين في مسلكيهما كاخذ طريق الشرق
واخذ طريق الغرب واخذ ناحية الجنوب واخذ ناحية الشمال والثاني
يجري مجرى اخذ نحو الشرق واخذ يمينه او شماله فهو وان كان اقرب
من الاول فليس يخرج احدهما عن ان يكون ضالا بعيدا واياهما
قصد تعالى بقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا والثالث
يجري مجرى اخذين بجهة واحده لكن احدهما سالك المنهج والثاني تارك
تارك للمنهج فهذا التارك للمنهج ربما يبلغ وان كان الطريق يطول عليه والرابع
جار مجرى جماعة سلكوا منهجا واحدا لكن اخذ كل واحد شعبة غير شعبة

الاخر وهذا هو الاختلاف المحمود بقوله صلى الله عليه الاختلاف في هذه
الامة رحمة ونحوه نظر من قال كل مجتهد مصيب ولاجل الطرق الثلثه امرنا
ان نستعيذ بالله ونتضرع اليه بقوله اهدنا الصراط المستقيم وقال
تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
وجميع الخلاف الواقع في هذه الاهتاء ثنتان وسبعون على ما ورد في الخبر
لانه ابدا اولا ناقصا وقد روى الخبر في ذلك على وجهين احدهما ستفترق
امتي على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وفي الخبر الثاني كلها
في الجنة الا واحدة وهم الزنادقة وهذان خبران لا يمتنع ان يكونا صحيحين
ولكن على نظرين ومعنيين وقد ذكرت ذلك وبينته في رسالة مفردة ع

باب النطق والصمت

النطق اشرف ما خص به الانسان فانه صورته المعقوله التي بها بان
سايز الحيوان ولهذا قال عز وجل خلق الانسان علمه البيان ولم يقل وعلمه
اذ جعل علمه تفسير القول مخلق الانسان تنبيها ان خلقه تعالى اياه هو
تخصيصه بالبيان الذي لو توهم مرتفعا لكانت الانسانية مرتفعة
ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة وصورة ممثله
وقيل المرء مخبوء تحت لسانه وقال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

اي اذا توهم النطق الذي باللسان والقوة الناطقة التي هي بالقلب لم يبق الا
صورة اللحم والدم فاذا كان الانسان هو الانسان بذلك فلا شك ان الكاذب منه

ادفاه

من

حظا كان اكثر انسانيه والصمت من حيث ما هو صمت مذموم فذلك من
صفات الجمادات فضلا عن الحيوانات وقد جعل الله تعالى بعض الحيوانات
بلا صوت وجعل لبعضها صوتا بلا تركيب ومن مدح الصمت فاعتبارا
بمن يتكلم في الكلام فيقع منه جنايات عظيمه في امور الدين والدنيا كما روى
الانسان ببيان ان الانسان اذا اصبح كفرت اعضاءه اللسان فيقول اتق الله فينا فانك
ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا فاما اذا اعتبر بانفسها
فمحال ان يقال في الصمت فضل فضلا ان يخبر بينه وبين النطق وقيل
آخر عن فضلهما فقال الصمت عن الخنا افضل من الكلام بالخطأ وعنه اخذ
الشاعر فقال الصمت احسن بالفتى من منطق في غير حينه
والفرق بين الصمت والسكوت والانصات والاصاخة ان الصمت ابلغ
لانه قد يستعمل فيما لا قوة فيه للنطق ولهذا قيل للعالم الكن
له نطق الصامت والسكوت يقال لما له نطق فترك استعماله والانصات
سكوت مع استماع ومتى انفك احدهما من الاخر لم يقل له في الحقيقه انصات
وعلى ذلك قوله عز وجل واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وقوله وانصتوا
بعد قوله فاستمعوا يدل ان الانصات بعد الاستماع ذكر خاص بعد عام
والاصاخة الاستماع الى ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد

ع باب الصدق وعلامته والكذب وذمه

اصلها في القول ولا يكون بالقصد الاول من القول بل الا في الخبر دون غيره
من اصناف الكلام فاما بالعرض فقد يدخل في انواع الكلام من الاستفهام

والامر والدعاء وذاك ان قول القائل ازيد في الدار في ضمنه اخبار
بكونه جاهلا بحال زيد وكذلك اذا قال واسني في ضمنه انه يوذيه وكلاهما على الصدق
الى المواساة واذا قال لا توذني في ضمنه انه يوذيه وكلاهما على الصدق
والكذب يستعمل في الاعتقاد ايضا كقولهم صدق ظنه واعتقاده وكذب ظنه
ويستعمل ايضا في اعمال الجوارح نحو صدق وهم القتال وكذبوهم وحد الصدق
التام هو مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا ومتى اخرم شرطا من ذلك
لم يكن صدقا بل اما ان يوصف بالصدق والكذب او يوصف تارة بالصدق قال
وتارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول الكافر اذا قيل من غير اعتقاد
محمد رسول الله فان هذا يصح ان يقال فيه انه صدق لكون المخبر عنه
كذلك ويصح ان يقال انه كذب لمخالفة قوله ضميره ولهذا كذبهم الله تعالى
حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وكذلك اذا قال من لم يعلم كون زيد
في الدار انه في الدار يصح ان يقال صدق وان يقال كذب بنظرين مختلفين
ولهذا قال عليه السلام من قال في القرآن برايه فاصاب فقد اخطأ اي في خبر فقد
كذب على الله والمبرسم لا قصد له فاذا قال زيد في الدار لا يقال له صدق
ولا كذب والصدق احد اركان بقاء العالم حتى لو توهم ارتفاعه من تفعا
لما صح نظامه وبقاؤه وهو اصل المحمودات ودكن النبوات وتنتجه الفوز
ولولاه لبطل احكام الشرع ولذلك قال عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين والاختصاص بالكذب انسلاخ من الانسانيه خصوصية

الانسان النطق ومن عرف بالكذب لم يعتمد نطقه واذا لم يعتمد نطقه
لم ينفع واذا لم ينفع نطقه صار هو والبهيمه سوا بل يكون شرا من
البهيمه وان لم تنفع بلسانها فانها لا تضر والكاذب يضر ولا ينفع ولهذا
قال عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل واعلم ان كل كلام خرج على
وجه المثل للاعتبار دون الاخبار فليس بكذب في الحقيقه ولهذا لا تخاشى
المتحرزون من التحدث به لقولهم في الحث على مداراة العدو والتلطف
بخدمة الملوك ان سبعا وذيبا وثعلبا اجتمعن فقلن نشترك فيما نصيد
فظفرن بعنز وظبي وارنب فقال السبع للذيب اقسم فقال هو مقسوم
العنز لك والظبي لي والارنب للثعلب فوثب السبع فاكله ثم قال للثعلب
اقسم فقال هو مقسوم العنز لك لغدائك والظبي لقيلولك والارنب لعشائك
فقال له السبع من علمك هذه القسمة فقال علمني الثوب الاحوى الذي
على الذيب وعلى المثل حمل قوم قوله عز وجل ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة وقوله تعالى كمثل حبة انبتت سبع سنابل في
كل سنبله مايه حبه فقال يصح هذا لما كان هذا وان لم يجر تعالى العادة في وجود
حبة هكذا اه

باب ما يحسن ويقبح من الصدق والكذب

ذهب كثير من المتكلمين ان الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه وقال
كثير من الحكما والمتصوفه ان الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الخالصة
والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الخالصة وذاك ان الاقوال من
جملة الافعال وشي من الافعال لا يحسن ولا يقبح لذاته انما يحسن لما

يتعلق به من النفع ويقبح ما يقبح لما يتعلق به من الضر الموفى على ما فيه
من النفع الا ترى ان اعظم ما يجري في العالم القتل والغصب وقد يقع
كل واحد منها على وجه يحسن وعلى وجه يقبح فكذا المقال من الصدق و
الكذب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يحسن الكذب الا في ثلث ورخص
اصلاح ذات البين وكذب الرجل امراته ليرضيها وكذب الرجل في الحرب
فانها خدعة وقد روي عنه صلى الله عليه اذا اتاكم مني حديث يدل
على هدى او يرد على ردى فاقبلوه قلته او لم اقله واذا اتاكم عني حديث
يدل على ردى او يرد عن هدى فلا تقبلوه فاني لا اقول الا حقا قالوا
والكذب يكون قبيحا بثلث شرايط ان يكون الخبر بخلاف المخبر عنه وان
يكون المخبر قد اعتقد قبل الاخبار به وان يقصد ايراد ما في نفسه
لا نفعا اعظم من ضرر ذلك الكذب مع شرط ان لا يمكن الوصول الى ذلك
النفع بغيره ومع انه اذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلا واجلا
قالوا ولا يلزم على هذا ان يقال جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيوي
فالمنفعه الدنيويه ولو كانت ملك الدنيا بحذافيرها لا توفي على ضرر
اذى كذب وانما هذا الذي قلناه يتصور في نفع اخروي يكون الانسان
فيه معذورا عاجلا واجلا كمن سأل عن مسلم استترفي دار ك وهو
يريد قتله فتقول لا فهذا يجوز فان نفع هذا الكذب موفى على ضرره
وهو فيه معذور والاخلاق المعاريض حيث يضطر اليها يجوز ولذلك قيل
في المعاريض مندوحه عن الكذب ولم تزل الانبيا والاولياء يفزعون اليها

كقول النبي عليه السلام لمن سأله من ابوك فقال من ماء وقول ابرهيم
عليه السلام اني سقيم وقوله هذه اختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا
واما الصدق فانما يحسن حيث تعلق به نفع لا يلحق ضررا باحد فمعلوم
قبح من يفعله وبقول السماء فوقي والارض تحتي من غير ان يريد ان يحمل
هذا مقدمة دليل او افاده معنى يتعلق به وكذا يقبح التعمية والتغييب
والسعاية وان كانت صدقا ولذلك قيل كفى بالسعاية ذما انه يقبح فيها
الصدق واقبح الكذب مع قبح كله اوجله ما لا يتعلق به جر نفع
عاجل او آجل وعجائب ما يقول له ضرار اكحل يا بنيك عن بلد بعيد فيقول
ان ملك ذلك البلد يرغب فيك ويتشوف اليك وسالك ان تاتيه ليبذل لك
مالا وجلها واذا وردت لم تجد ذلك الملك حيا عليك هم

باب انواع الكذب والسبب الداعي اليه

الكذب اما ان يكون اختراع قصة لا اصل لها او زيادة في القصة او نقصانا
يغير ان المعنى او تحريفا بتغيير عبارة فما كان اختراعا يقال له الافتراء و
الاختلاق وما كان من زيادة فمين وكل من اورد كذبا في غيره فاما
ان يقوله بحضرة المقول فيه او بغير حضرته واعظم الكذب ما كان اختراعا
بحضرة المقول فيه وهو المعبر عنه بالبهتان وكل من اورد حديثا فاما ان
يقوله عن علم او عن غلبة ظن او تخمين وظن واه فما يقال عن علم فمحمود
بلا شك وما كان عن غلبة ظن فقد يحسن ويقبح وما كان عن تخمين وظن واه
فمذموم ولذلك قال تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض

الظن اثم واعلم ان الداعي الى الكذب محبة النفع الدنيوي وحب التراس
وذلك ان المخبر يرى ان له فضلا على المخبر بما علمه فهو يتشبه بالعالم
الفاضل فيظن انه يجلب بما يقوله فضلا ومبرة وهو يجلب به نقيصة وفضيحة
وفضيحة كذبة واحدة لا توازي مسرات دهره والكذب عار لازم وذل
دايم وحق الانسان ان يتعود الصدق ولا يترخص في ادنى كذب فمن استحلاه
عسر عنه فطامه وقد قال بعض الحكماء كل ذنب يرجى تركه بتوبة واحدة
او اناية ما خلا الكذب فان صاحبه يزداد على الكبر فقد رايتنا شارب
خمر قلع ولصا يدع ولم نر كذابا رجع وعوتب كذاب في كذبه
فقال لو تغرغرت به وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه

باب الذكر الحسن من المدح والثناء

محبة ذكر الحسن اشرف مقاصد ابناء الدنيا وهي في جبلة الناس ومن خصايصهم
ولا يوجد في غيرهم من الحيوان كما قال الشاعر حب الثناء طبيعة الانسان
ولولا الكلف به لما ظهرت العدالة من اكثر الناس ومن لا يخوفه الهجاء
ولا يبسره الثناء ولا يردعه عن سوء الفعال الا سوط او سيف وقيل الذكر
ينفر عن القبيح ويحث على الجميل خمسة اشياء العقل ثم الحياء ثم المدح
الهجاء الترغيب والترهيب وقيل من لم يردعه الذم عن سيئة لم يردعه
المدح الى حسنة فهو جماد وبهيمة ولاجله تنازع الناس الرياسة و
المنازل الرفيعة وليس الثناء في نفسه محمود ولا مذموم وانما يحمد ويذم بحسب
المقاصد فمن طلبه قصده طلب ما يستحق به الثناء على الوجه الذي يستحب

فذلك محمود وهو طريق ابرهيم عليه السلام حيث قال واجعل لسان صدق
في الاخرين اى اجعلني بحيث افعل ما اذا مدحت شيئ يكون ملاحي صادقا و
من هذا الوجه ندب الانسان الى ان يقول اذا امدح اللهم اجعلني خيرا
مما يظنون والمذموم منه ان يميل اليه من غير تجربة لفعل ما يقتضيه
وذلك من اعظم الآفات لمن تحراه فانه يفتح الحسد والحسد يفتح الكذب
والكذب راس كل مذموم وقد توعد الله تعالى من طلب المحمدة من غير فعل
حسنة يقتضيها فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وبالنظر الى ما تقدم قال
صلى الله عليه من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن وقال
المومن اذا امدح في قلبه ربا الايمان في قلبه وبالنظر الى ما تاخر سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا اثنى على اخر فقال قطعت مطاه لو سمع ما افلح
والفاضل يكره الثناء عليه في وجهه سيما اذا كان من مادح مطر وجلبس
مغر وممن يعرف قبل ان يتعرف وممن اذا وجد فاد ما يقدح واذا
وجد ما يمدح واما ثناء الانسان على نفسه فشناعة وفظاعة
فقد قيل لحكيم ما الذي لا يحسن وان كان حقا فقال مدح الرجل نفسه وقال
معوية رضي الله عنه لرجل من سيد قومك فقال انا فقال لو كنت لما قلت
وانما كان لم يستقبح ما كان من يوسف عليه السلام حيث قال اجعلني على
خزائن الارض اني حفيظ عليم لانه قصد بذلك استقلاله بما سال
ان يفوض اليه وقد احسن ابن الدمينة حيث اعتذر من مدح نفسه قصدا الى

وجهه

التفويض على

الدلالة على امكانه فقال

وعزيز علي مدحي لنفسي غير اني حشمته لله اله
وهو عيب يكاد يسقط فيه كل حر يريد اظهار اله ه

باب الشكر

الشكر تصور النعم عليه النعمة واظهارها قيل وهو مقلوب عن الكفر اك
الكشف وبضاده الكفر وهو من كفر الشيء اى تغطيته ومنه دابة شكور اى
مظهرة بسمنه اسدا لصاحبه اليه وقيل اصله من عين شكرى اي ممتلية
فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه ومن هذا الوجه قيل هو ابلغ من
الحمد لان الحمد لا يقتضي الامتلاء ومن وجه آخر ابلغ من الحمد لان الحمد ذكره
الشيء بصفاته والشكر ذكره بصفاته وبنعمه والشكر ثلثة اضرب شكر بالقلب
وهو تصور النعمة وشكر باللسان وهو الثناء على المنعم وشكر بسائر الجوارح
وهو مكافاته بقدر استحقاقه وهو ايضا باعتبار الشاكر والمشكور
ثلثة اضرب شكر الانسان لمن فوقه وهو بالخدمة والثناء والدعاء وشكره
لنظيره وهو بالمكافاة وشكره لمن دونه وهو بالثواب وقد وصف الله تعالى
نفسه بالشكر لصالحي عباده وشكر العبد لله وهو معرفة نعمته وتحفظ
جوارحه بمنعها عن استعمال ما لا ينبغي ومعناه بالفارسية سباس داشتن
خداوندرا كي ناحيار من له على جوارحي وشكر المنعم في الجملة واجب بالعقل
كما هو بالشرع واجبها شكر البارئ تعالى ثم شكر من جعله عز وجل سببا
لوصول خير اليك على يده ولهذا قال صلى الله عليه لم يشكر الله من لم يشكر الناس

الكثر محمد

وقال عليه السلام اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال
للنعمة اذا شكرت ولا دوام لها اذا كفرت قال بعض العلماء كل نعمة يمكن
شكرها الا شكر نعمة الله فان شكر نعمته نعمة منه فيحتاج العبد
ان يشكر الثاني كشكره الاول وكذلك الحال في الثالث والرابع وهذا
يؤدي الى ما لا يتناهى ولهذا قال موسى عليه السلام الهي امرتني بالشكر
على تعمل وشكري لك نعمة من تعمل ومن هذا لحظ الشاعر

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي لها في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر

ولهذا قيل غاية شكر الله الاعتراف بالعجز عنه بل قد قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وايضا فكل ما يفعل الله بعبده فهو نعمة منه وان كان
به في ذلك ما يعد بلية ولهذا قال بعض الحكماء ما من منعه عطاء وبلاوه نعم
ومن اخذ صعوبة شكره قال عز وجل وقليل من عبادي الشكور ولم يثن
بالشكر على اوليائه الا على اثنين منهم قال في ابرهيم عليه السلم شاكرا
لانعمه فخص لفظ الانعم الدال على اداني العدد وقال في نوح عليه السلم انه
كان عبدا شكورا واعلم ان الصبر والشكر جماع الايمان كما روي في الخبر وقد
روي الصبر نصف الايمان لكن قال بعض المتصوفة الشكر افضل من الصبر
قال الصبر حبس النفس على مسلمة البلاء والشكر ان لا تلتفت الى البلاء بل تراه
من النعم فمن صبر فقد ترك اظهار الجزع ومن شكر فقد تجاوز الى اظهار السرور
بما جزع به الصابر وايضا الصبر ترك العمل السيئ والشكر اظهار الفعل الحسن

وليس من ترك قبيحا كمن فعل جميلا وقابل تعالى الشكر بالمجازاة فعل الحبيب
بحبيبه فقال وسنجزي الشاكرين وقابل الصبر بالاجر فعل المستاجر باجيره
فقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وان الاجر وان كثر حتى
صار بغير حساب من الجزاء ثم قال في الصبر يوفى فلم يتم فاعله وقال
في الشكر سنجزي الشاكرين فانظر الى هذا اللطف في المقال قبل الانتهاء
الى الفعال ولم يذكر من انبيائه بالشكر الا اثنين كما تقدم ووصف
جماعتهم بالصبر فقال كل من الصابرين وقال ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور فجعل الصبر مبدأ والشكر منتهى ولان الصبر محمول عليه قهرا والشكر موتى
طوعا

باب الغيبة والنميمة

الغيبة ان يذكر الانسان غيره بما فيه من عيب من غير ان احوج الى ذكره
وقد عظم الله تعالى امرها فقال عز اسمه ولا يغتب بعضكم بعضا احب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال عز وجل هماز مشاء بنميم وقال صلى الله عليه
وسلم لا يدخل الجنة قتات وروي النميمة تفطر الصايم وتنقض
الوضوء وقال من بحث عن عايبا الا كان معيبا وقال قتيبة لرجل راه
يغتاب احدا لقد تلمظت بما يعافه الكرام وحق الانسان ان لا يعودها
فان لها ضراوة ولذلك عير انسان بالغيبة فقال لو تلمظت بها ما صبرت
عنها ثم ان من اغتاب اغتيب ومن عاب عيب فحثه عن عيوب الناس
حمل الناس على البحث عن عيوبه وكما لا يجب ان يتحراها بقوله يجب ان يتجنب
سماعها وسماع كل قبيح من الكذب ليلا يعلق وضره ووسخه بفكرته

فوضع كلمة عورا لا يمكن تطهير القلب منها الا بزمان مديد وعلاج شديد
وسماع القبيح قد يكون سببا لفساد الكبير المحتنك وغواية العالم
المستبصر فضلا عن فساد الغر والناشئ الغمر ولذلك قال عز وجل في
مدح قوم واذا مروا باللغو مروا كراما وقد اجاد من قال

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به

وكقبيح الغيبة والنميمة المسابة قال امير المؤمنين رضي الله عنه ما
شاب امرأ شيء الا غلب الامهما والا الخط الاعلى الى ربتة الاسفل
منها وقيل اذا سمعت كلمة تؤذيك فتطامن لها حتى تتخطاك ع

باب الكلام القبيح

البدا الكلام القبيح ويكون من القوة الشهوية طورا كالرفث والسخف
ويكون من القوة الغضبية طورا فمتى كان منه استعانة بالقوة المفكرة
كان منه السباب ومتى كان من مجرد الغضب كان صوتا مجردا لا يفيد
نطقا كما يرى كثير ممن فارغ غضبه وهاج هائجه والرفث فواحش الكلام
في باب النكاح واوصاف النساء وهو قبيح قال بعضهم اني لاستقبح من
الرجل ان يكون وصافا لبطنه وفرجه ومن حق الانسان ان يصون عن ذاك
سمعه كما يصون عن النفوه به فمه ولذلك قال تعالى في مدح قوم واذا مروا
باللغو مروا كراما وقال واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه الايه والسباب
ثلثة اوجه قدح في نسب المسبوب الثاني في نفسه او بدنه لعاهة به وافة
الثالث في شيء فعله او فعل به والسفه التشرع الى القول القبيح ع

باب المزاح والضحك

المزاح اذا كان على الاقتصاد محمود فقد روي عن النبي عليه السلام اني لامزح
ولا اقول الا حقا وروي عنه صلى الله عليه كلمات مازح بها وقال سعيد بن
العاص لابنه اقتصد في مزاحك فالافراط فيه يذهب البهاء وتركه يقبض
المواسين ويوحش المخالطين لكن الاقتصاد منه صعب جدا لانه يكاد يوقف
عليه ولذلك تحرج عنه اكثر الحكماء حتى قيل المزاح مسلبة للبهاء
مقطعة للاخاء فحل لا ينتج الا الشر واما الضحك فمن خصايص الانسان
وذلك انه يكون من التعجب والتعجب لا يكون الا عن فكر وبالفكر يتميز الانسان
عن البهايم والاقتصاد فيه ومعرفة ما يحسن منه عسر كما هو في المزاح
وقيل اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وتورث النسيان وقال
وكثرة الضحك من الرعونة وحكي عن عيسى عليه السلام انه قال ان الله
عز وجل يعرف المضحاك من غير عجب والمشاء الى غير ارب واما ايراد المضحاك
على سبيل التسخف فنهاية القباحة وقد قال صلى الله عليه ويل للذي
يتحدث فيكذب ليضحك القوم ويل له وويل له ع

باب الحلف

اقبح من الكذب اليمين الفاجرة فضمها مع الكذب الاستهانة بالمقسم به
وحق المسلم ان يتحاشى من الاستعانة باليمين في الحق فكيف في الباطل وان
تحقق تقدير القسم وما يراد به ليعلم ان الاعراض الدنيوية اوضح امرا واخس
قدرا من ان يفزع فيها الى الحلف بالله وتقدير ذلك هو ان القايل اذا قال

والله ان لك علينا كذا اي يكون ذلك عليك حق كما ان وجود الله حق و
من هذا الكلام تحاشى منه في قلبه حبة خردل من تعظيم الله وقد قال تعالى
ولا تشتروا بايماني ثمنا قليلا وقال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا وقال امير المومنين رضي الله عنه الحلف تنفق السلعة وتمحق
البركة ولم يحنث يمينا عن يمين ولما قول النبي عليه السلام من لم يحلف
على ماله فلا مال له فانه وان كان بنظر الفقها يتصور منه انه فسحة في
الحلف صادقا فانه بنظر الحكمة حث على ايثار تعظيم الله وتقديمه على
ايثار المال وتعريض بان الذي فاته هو عرض حقير لان الدين والمروة
وحق العاقل اذا اضطر اليه ان يسلك سبيل التعريض فيه دون التصريح
مالم يضطر اليه يتركه تعريضا وتنزيحا وان بدر منه سهوا وحلف
شفعه بالاستثنا كما قال عليه السلام من كان حالفا فليقل ان شا الله
فانه يدفع الحنث ويذهب الخبث وينجز الحاجة وقيل العاقل اذا تكلم
اتبع كلامه حلفا مثلا والاحمق اذا تكلم اتبع كلامه حلفا
وعلامة الكاذب جوده يمينه لغير مستحلف
وفي اليمين على ما انت واعده ما دل انك في الميعاد متهم ٭ وقال بعض
الحكما اللغة الحلافة تدل على كذب اربابها فان ذلك لغلبة الركون الى
كلامهم وكما جوز عليه السلام الكذب حيث يضطر اليه جوز الحنث
في اليمين فقال اذا حلف احدكم على شي فراى غيره خيرا منه فليات
الذي هو خير وليكفر عن يمينه ٭ ٭ ٭ ٭

الفصل الثالث
فيما تعلق بالقوة الشهوية

الحيا

الحيا انقباض النفس عن القبائح وهو من خصائص الانسان واول ما يظهر
من قوة الفهم في الصبيان وجعله الله في الانسان ليرتدع به عما تدعو اليه
الشهوة من القبائح فلا يكون كالبهيمة وهو مركب من جبن وعفة
ولذلك لا يكون المستحي فاسقا ولا الفاسق مستحييا لتنافي اجتماع العفة
والفسق وقل ما يكون الشجاع مستحييا والمستحي شجاعا لتنافي اجتماع
الجبن والشجاعة ولغرة وجود ذلك يجمع الشعرا بين المدح بالشجاعة والمدح
بالحيا ـــ يجري الحيا العفن من قسماتهم في حين يجري من اكفهم الدم ٭٭
اخر كريم يغض الطرف فضل حيايه ويدنو واطراف الرماح دوانيه ٭٭
ومتى قصد به الانقباض فمدح للصبيان دون المشايخ ومتى قصد به ترك القبيح
فمدح لكل احد وبالاعتبار الاول قيل الحيا بالافضل قبيح ومن هذا
الوجه قيل خزي خزيا في الهوان وخزي خزاية في الاستحيا فجعلا من
منبع واحد وبالاعتبار الثاني قيل ان الله يستحي من ذي الشيبة في الاسلام
ان يعذبه اي يترك عذابه واما الخجل فحيرة النفس لفرط الحيا
ويحمد في النسا والصبيان ويذم باتفاق في الرجال والوقاحة مذمومة بكل لسان
اذ هي انسلاخ من الانسانية وحقيقتها جماح النفس في تعاطي القبيح واشتقاقه
من حافر وقاح اي صلب ولهذا المناسبة قال الشاعر
يا ليتني من جلد وجهك رقعه فانه منها حافر للاشهب ٭٭

ومما يصدق قول الشاعر

صلابة الوجه لم تغلب على احد الا تكامل فيه الشر واجتمعا

فاما مداواة اكتساب الحياء فحق الانسان اذا هم بقبيح ان يتصور اجل من في نفسه حتى كانه يراه فالانسان يستحي ممن يكبر في نفسه ولذلك لا يستحي من الحيوان ولا من الاطفال الذين لا يميزون ويستحي من العالم اكثر مما يستحي من الجاهل ومن الجماعة اكثر مما يستحي من الواحد والذين يستحي منهم الانسان ثلثة البشر وهو اكثر ممن يستحيا منه ثم نفسه ثم الله عز وجل فمن استحى من الناس ولم يستحي من نفسه فنفسه اهون عنده من غيره ومن استحيى منهما ولم يستحي من الله عز وجل فلا عرفه به فان الانسان يستحي ممن يستعظمه وكيف يعلم انه يطلع عليه وقول النبي عليه السلم استحيوا من الله حق الحياء في ضمنه حث على معرفته وقال عز وجل الم يعلم بان الله يرى تنبيها ان العبد اذا علم ان ربه يراه استحيى من ارتكاب الذنب وسئل الجنيد عما يتولد منه الحياء من الله فقال دوية العبد الا الله عليه ورويته تقصيره في شكره ان قبل كيف قال النبي صلى الله عليه من لا حياء له فلا ايمان له قيل الحياء اول ما يظهر في الانسان من امارة العقل والايمان آخر مرتبة العقل ومحال حصول المرتبة الاخيرة لمن لا يحصل له الاولى فالواجب اخرا كان من لا حياء له فلا ايمان له فقال صلى الله عليه الحياء شعبة من الايمان وقال عليه السلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء

باب كبر الهمة

74

واما كبر الهمة فخاص للانسان فاما الحيوان فكل حيوان يتحرى الفعل بقدر ما في طبعه وهو حال بين التفخي وصغر الهمة فالتفخي تاهل الانسان لما لا يستحقه وهو البذخ وصغر الهمة تركه لما يستحقه وهو الدناءة وكلاهما مذموم لكن المتفخي جاهل احمق والصغير الهمة جاهل غير احمق وليس لكبر الهمة افراط مذموم في الحقيقة وانما الافراط يدخل في كل فعل بتصوره بعض الناس بصورة علو الهمة له وليس كذلك واعلم انه يقال فلان كبير الهمة وفلان صغير الهمة اذا كان احدهما يطلب مقتنيات اكثر واشرف مما يطلبه الآخر والكبير الهمة على الاطلاق هو من لا يرضى بالهم الحيواني قدر وسعه فلا يصير عبد غاريه بطنه وفرجه بل يجتهد ان تخصص بمكارم الشريعة فيصير من خلفاء الله واوليائه في الدنيا ومن مجاوريه في الاخرة والصغير الهمة من كان على الضد من ذلك وقال العراقي فلان عظيم صغر الدنيا في عينه فكان خارجا من سلطان بطنه فلا تشتهي ما لا تجده ولا يكثر اذا وجد وخارجا من سلطان فرجه فلا يستخف له رايا ولا دينا وحق الانسان ان يتطلف عن ذلك فانه وان كان بعنصره حيوانا فبعقله وفكره ملك اذا ضيع نفسه صار شرا من بهيمة وذلك هو الخسران المبين وقيل من عظمت همته لم يرض بفانية مستردة وحياة مستعارة فان امكنك ان تقتني قنية مؤبدة وحياة مخلدة فافعل فلا اعتداد بما له فنا فالكبير الهمة على الاطلاق من يتحرى الفضايل لا لجاه ولا لثروة ولا للذة ولا لاستشعار لخوة

واستعلاء على البرية بل يتحرى مصالح العباد شاكرا بذلك نعم الله تعالى
ومتوخيا به من رضاية غير مكترث بقلة مصاحبيه فانه
اذا عظم المطلوب قل المساعد ٠ وطرق العلا قليلة الاناس ٠

باب الوفا والغدر

الوفا اخو الصدق والعدل والغدر اخو الكذب والجور وذاك انر الوفا
صدق باللسان والفعل معا والغدر كذب بهما وفيه مع الكذب نقض
العهد والوفا يختص بالانسان فمن فقد فيه فقد انسلخ من الانسانية
كالصدق وجعل الله العهد من الايمان وصيره قواما لامور الناس
فالناس مضطرون الى التعاون وانهم تعاونهم الا مراعاة العهد والوفا
ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التعايش ولذلك عظم الله تعالى امره
فقال واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال عز وجل واوفوا بعهد الله اذا
عاهدتم وقال تعالى وثيابك فطهر قيل نزه نفسك عن الغدر
وقال عز وجل والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال والذين هم لاماناتهم و
عهدهم راعون وعظم حال الرسول فيما التزم من الوفا بمدح امرئ القيس
ولقلة وجود ذلك في الناس قال عز وجل وما وجدنا لاكثرهم من عهد
وضرب المثل به في العزة فقيل هو اعز من الوفا قال الشاعر
اي الناس الا ذميم الفعال اذا جربوا وقبيح الكذب ٠

باب المشاورة

المشاورة اشتقاقها من شرف الدابة اذا استخرجت جريها وهي

استنباط الصواب من الرأي وغيره فيما يعرض من الامور المشكلات ويكون ذلك
في الامور الجزوية التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها ونعمت العدة
هي قال امير المؤمنين رضي الله عنه المشاورة حصن من الندامة وامن
من السلامة وقيل لاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد
عن الاستخارة فالرأي الواحد كالسحيل والرايان كالخيطين والثلثة
امراس لا ينقض وكفاك بمدحه قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم
وشاورهم في الامر وقد استحسن الحكما قول بشار
اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح او ضلاعة حازم ٠
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فرأس الخوافي تابع للقوادم ٠ لكن
اعتبار من يجوز ان يعتمد مشورته صعب جدا فانه يحتاج ان
يكون صديقا امينا مجربا حازما ناصحا رابط الجأش غير معجب بنفسه
ولا متلون في رأيه ولا كاذب في مقاله فمن كذب لسانه كذب رأيه ويجب
ان يكون فارغ البال في وقت ما يستشار فقد احسن بشار حيث قال
وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب ٠
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد فحق له من طاعة بنصيب ٠

باب النصح

اصله من نصحت الثوب اذا خطته وهو اخلاص المحبة لغيره في اظهار
ما فيه صلاحه وهو ذو المحبة المختصة بالفضيلة دون محبة النفع
واللذة وقد عظم النبي عليه السلام امرها فقال الدين النصيحة فقيل لمن

يارسول الله فقال لله ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم فبين صلع
ان النصح واجب لكافة الناس وذلك ان يتحرى مصلحتهم في جميع
امورهم بقدر وسعك واول النصح ان ينصح الانسان لنفسه فمن
غشها فقل ما ينصح لغيره وحق من استنصح ان يبذل غاية النصح
وان كان ذلك في شيء يضره ويتحرى فيه قول الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم وقال عز وجل
واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يزال
الرجل بخير ما دام في نصحة رايه ما نصح لمستشيره فاذا غشه سلبه الله
تعالى رايه ولا يلتفت لمن قال اذا نصحت للرجل فلم يقبل منك فتقرب
الى الله بغشه فذلك قول الشيطان على لسانه اللهم الا ان يريد
بغشه السكوت عنه فقد قيل كثرة النصيحة تورث الظنة ومعرفة
الناصح من الغاش المتنصح صعبة جدا فالانسان لمكره يصعب الاطلاع
على سره اذ هو قد يبدي خلاف ما تخفي وليس كالحيوان الذي يدل الاطلاع
على طبيعته ع

باب كتمان السر

السر ضربان احدهما ما يلقى اليه الانسان من حديث يستكتم وذلك اما
لفظا كقولك لغيرك اكتم ما اقول لك واما حالا وهو ان يتحرى القايل
حال انفراده فيما يورده او يخفض صوته او يخفيه عن محالسيه ولهذا
قيل اذا حدث الرجل انسانا بحديث فالتفت فهو امانة والثاني ان يكون
حديثا في نفسك مما تستقبح اشاعته او شيئا تريد فعله والى الاول

اشار النبي صلى الله عليه بقوله من لستة منكم من هذه القاذورات شيئا فليستتر
بستر الله والى الثاني اشار من قال سرك من دمي الامر اعلانه قبل احكامه
وكتمان النوع الاول من الوفاء وهو اخص بعامة الناس والثاني من الحزم
والاحتياط وهو اخص بالملوك واصحاب السياسات واذاعة السر
من قلة الصبر وضيق الصدر ويوصف به ضعفة الرجال والنساء
والصبيان والسبب في انه صعب كتمان السر هو ان للانسان قوتين اخذة
ومعطية وكلتاهما متشوق الى الفعل المختص بها ولولا ان الله تعالى
وكل المعطية باظهار ما عندها لما اتاك الا الاخيار من لم تزود فصارت
هذه القوة تتشوق الى فعلها الخاص بها فعلى الانسان ان يمسكها ولا يطلقها
الا حيث يجب اطلاقها ولا يخدعنك عن سرك قول من قال

واكتم السر فيه ضربة العنق وقول من ينشدك

ويكاتم الاسرار حتى انه ليصونها عن ان تمر ببالله وذلك قول من
يستنزلك عما في قلبك فاذا استفرغ ما عندك لم يرع فيه حقك فقد قيل
الصبر على قبض الجمر ايسر من الصبر على كتمان السر وما اصدق من انبأ
عن حقيقة حاله حيث قال له صديقه اريد ان افشي اليك سرا فاحفظه
علي فقال لا اريد ان ارى قلبي بجواك واجعل صدري خزانة شكواك
فيقلقني ما اقلقك ويبورني ما ازقك فتبينت بافشايه مستريحا وبليت
قلبي بجرحه جريحا وقيل اكثر ما يستنزل الانسان عن سره في ثلثة
مواضع عند الاضطجاع على فراشه وعند خلوه بعرسه وفي حال سكره ومن حق

من يسار غيره ان يحسب الجاهل لامر من احد منا ان يسأ به الظن فهذا
يقول قد اغتابني وذا يستريب وذا يتهم والثاني ربما يتتبع بالفحص
فيطلع على مراده ولذلك قال صلى الله عليه اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان
دون الثالث

باب التواضع والكبر

التواضع اشتقاقه من الضعة وهو رضى الانسان بمنزلة دون ما يستحقه
فضله ومنزلته وفضيلته لئلا تظهر في افنا الناس لانحطاط درجتهم
وانما ذلك يبين في الملوك واجلا الناس وعلمايهم وهو من باب التفضل لانه
ترك بعض حقه وهو بين الكبر والضعة فالضعة وضع الانسان نفسه
مكانا يزري به لتضييع حقه والكبر رفع نفسه فوق قدره والفرق بين
التواضع والخشوع ان التواضع يقال فيما بين رفيع ووضيع وايضا فالتواضع
يعتبر بالاخلاق والافعال الظاهرة والباطنة والخشوع يقال باعتبار
افعال الجوارح وقال عز وجل خاشعة ابصارهم وقال وخشعت الاصوات
للرحمن وقد عظم النبي صلى الله عليه التواضع فقال طوبى لمن تواضع في غير
منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وقيل لبزرجمهر هل تعرف
نعمة لا يحسد عليها وبلا لا يرحم صاحبه عليه فقال نعم اما النعمة
فالتواضع واما البلا فالكبر وقال بعض الحكما وجدنا التواضع مع الجهل
والبخل احسن عند الحكما من الكبر مع الادب والسخا فانبل بحسنة غطت
على سيئتين واقبح بسيئة غطت على حسنتين والكبر ظن الانسان انه
اكبر من غيره والتكبر اظهار ذلك وهذه صفة لا يستحقها الا الله

عز وجل ومن ادعاها من المخلوقين فهو فيها كاذب ولذلك صار ملاحا في البار
ولما في البشر وانما شرف المخلوقين باظهار العبودية كما قال تعالى لن
يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون تنبيها ان ذلك
لهم رفعة لاضعة والمتكبر غبي احمق وشتان ما هما فالغبي قد يتاديب
والاحمق لا سبيل لي تاديبه ولان الضرع قد ترك ماله والمتكبر ادعى
ما ليس له وشتان بين المنزلتين ولان الكبر تولد من الاعجاب والاعجاب
من الجهل فحقيقه المحاسن والجهل راس الانسلاخ من الانسانية ومن
الكبر الامتناع من قبول الحق ولذلك عظم الله امره تعالى فقال انه لا
يحب المستكبرين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وقال اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وقال كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدة منهما قذفته في نار جهنم
ونبه تعالى على مبلغ فعله احسن تنبيه فقال عز وجل ولا تمش في
الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا واقبح كبر
بين الناس ما كان معه بخل ولذلك قال صلى الله عليه خصلتان لا تجتمعان
في مومن البخل والكبر

واستحسن قول الشاعر

جمعت امرين ضاع الحزم بينهما تيه الملوك وافعال المماليك
ومن تكبر لرياسة نالها ذل على دناة عنصره ومن تفكر في تركيب ذاته
عرف مبداه ومنتهاه واوساطه عرف نقصه ورفض كبره وقد نبه الله عز وجل

بقوله فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترايب
وقال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره
وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه والى هذا المعنى اشار نظر
مطرف بن عبد الله لما قال ليزيد بن المهلب اول ك نطفة واخرك جيفة
وانت تحمل فيما بين ذلك العذرة واخذ الشاعر منه فقال

كيف يزهى من رجيعه ابد الدهر ضجيعه ∴ وقال آخر

يا قريب العهد بالمخرج لم الا تتواضع ∴ فمن كان تكبره لقذيه فليعلم ان ذلك
ظل زايل وعارية مستردة والاستطالة اظهار الطول فمن اظهر ذلك
من غير طول فضح من الاحمقانيته ومن اظهره مع الطول فقد ضيع طوله و
الصلف يقال اعتبار اميل في عنقه والصعر ميل في خده ولذلك استعمل
في ذلك في الراس نحو قوله عز وجل لووا رؤسهم والباء استفصاء النفس
بالترفع عن الانقياد للواجب والخيلاء ان يظن بنفسه ما ليس فيها
من قولهم خلت ولقصور هذا المعنى قال حكيم اعجاب المرء بنفسه ان يظن
بها ما ليس فيها مع ضعف قوة فيظهر زهوه بها والزهو الاستخفاف
من الفرح بنفسه فاما العزة فالترفع بالنفس عن الحيف غضاضة واصلها
من العزاز وهو الارض الصلبة فالمتعزز من حصوله في عزاز لا تلحقه
فيه غضاضة كالمتظلف في كونه في ظلف من الارض لا تلحقه فيه مذلة
والعزة منزله شريفه وهي نتيجة معرفة الانسان بقدر نفسه واكرامها
عن الصراعة للاعراض الدنيوية كما ان الكبر نتيجة جهل الانسان بقدر نفسه

وانزالها فوق منزلتها وكثيرا ما يتصور احدهما بصورة الآخر كتصور
التواضع والتضرع والتذلل بصورة واحدة وتصور الاسراف بصورة
الجود والبخل بصورة الحزم ولهذا قال الحسن رضي الله عنه لمن قال
له ما اعظمك في نفسك فقال لست بعظيم ولكني عزيز وقد قال الله
عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمومنين وقال النبي عليه السلام
لا ينبغي للمومن ان يذل نفسه ولما قلنا قالوا التكبر على الاغنيا
تواضع تلبسها ان هذا التكبر في الحقيقة عزة نفس ومن اجل ان هذا
التكبر غير مذموم قال عز وجل وستكبرون في الارض بغير الحق
وقال ابن مسعود رضي الله عنه من خضع لغني لغنى فوضع عنده نفسه
طمعا فيه ذهب ثلثا مروته وسطر دينه ع ع ع

الفخر

الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجة عن الانسان وذاك نهاية الحمق
لمن نظر بعين عقله وانحسر عنه قناع جهله فاعراض الدنيا عارية
مستردة لا يومن في كل ساعة ان ترجع والمباهي بها مباه بغير ثراه
ومتبجح بما في يد سواه كالفاخرة بحدج زينتها بل هو ادون منزلة من ذلك
فقد قال بعض الحكماء لمتبجح بثرائه ان افتخرت بفرسك فالحسن
والفراهة لفرسك دونك وان افتخرت بابائك فالفضل فيهم لا فيك
ولو تكلمت هذه الاشياء لقالت هذه محاسننا فما لك من الحسن وايضا
فالاعراض الدنيوية كحابة صيف عن قليل تقشع وظل زايل عن قليل تضمحل

كما قال الشاعر انما الدنيا كرويا فرحت من راها شاهقة ثم انقضت
بل كما قال الله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السما الآية
فان افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك واذا اعجبك من الدنيا شئ
فاذكر فناك وبقاءه او بقاك وزواله او فناكما جميعا فاذا رأيت ما هو لك
فانظر الى قبح خروجه من يدك وبعد رجوعه اليك وطول حسابك عليه
ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وقدم تعالى الفخور فقال والله لا يحب كل مختال

باب العجب

العجب ظن الانسان بنفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق لها ولهذا قال
اعرابي لرجل راه معجبا بنفسه يسرني ان اكون عند الناس مثلك في نفسك
واكون في نفسي مثلك عند الناس فضمن حقيقة ما يقدره المخاطب
وراى ذلك انما يتم حسبة متى هو عرف عيوب نفسه وقيل للحسن
من شر الناس فقال من يرى انهم افضلهم وقال بعضهم الكاذب
في غاية البعد من الفضل والمرائي اسوأ حالا من الكاذب لانه يكذب
بقوله وفعله والمعجب اسوأ حالا منهما فانهما يريدان نقص انفسهما و
يريد ان اخفاءه والمعجب عم عن مساوي نفسه فيراها محاسن ويبديها
قال ولان المرائي والكاذب قد ينتفع بهما كملاح خاف ركابه الغرق من ملكان
في البحر فبشرهم بمجاورته قبل ان يجاوزه بيسر لا يضطربوا خوف الغرق فيودعهم
ذلك الى الساحل وقد يحمد رأي الرئيس اذا قصد ان يقتدى به في فعل الخير و
المعجب لا حظ له في ذلك بوجه لانك اذا وعظت المرائي والكاذب فصدها

تصدق وتبكتهما لمعرفتهما بنقصهما والمعجب لنقصه وجهله بنفسه
يظنك في وعظه ملغيا فلا ينتفع بمقالك واياه قصد تعالى فمن ذلك
له سوء عمله فراه حسنا ثم قال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
بتنبيهها انهم لا يقلعون لاعجابهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ابليس لعنه الله اذا ظفرت
من ابن آدم بثلاث لا اطالبه بغيرها اذا اعجب بنفسه واستكثر عمله
ونسي ذنوبه وكما ان المعجب بفرسه وان كان رديا لا يريد بخاله وان كانت
رديئة مذمومة واصل الاعجاب حب الانسان نفسه وقال النبي عليه
السلام حبك الشئ يعمي ويصم ومن عمي وصم تعذر عليه تدبر عيوبه و
سماعها فيجب علينا ان نجعل على انفسنا عيونا يعرفنا عيوبنا فنحترز
قال عمر رضي الله عنه رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي ويجب للانسان
اخلاي من غيره سيئة ان يرجع الى نفسه فان راى منها ذلك نزعها
ولم يغفل عنها فمن جهلت نفسه قدره راى غيره منه ما لا يرى
والتنبيه قريب من العجب لكن المعجب يصدق نفسه فيما يظن بها او
وهما والتياه يصدقها قطعا كانه مخبر في نيته ع

باب انواع اللذات وتفاصيلها

اللذة ادراك المشتهى والشهوة ابتعاث النفس لنيل ما تشوقه وهي ثلاث
بحسب القوى الثلث وبحسب اقتضاب الثلاث لذة عقلية وهي التي
تخص الانسان بها كلذة العلم والحكمة ولذة بدنية يشارك فيها جميع الحيوان

الانسان كلذة المأكل والمشرب والمنكح ولذة مشتركة بين الناس وبين بعض
الحيوان كلذة الرياسة والغلبة واشرفها واقلها وجودا اللذة العقلية
فشرفها انها لا تمل ولا تتبدل بها لكن لا يعرفها الا من تخصص بها
فالحكمة لا يستلذها الا الحكيم وادون اللذات منزلة واكثر وجودا اللذة
البدنية وكل حيوان يتشوقها لكنها تمل تارة وتزدادا تارة وهي من وجه
مداواة من الالم ومن وجه هي الالم وعلى هذا قال الحسن رضي الله عنه
في وصف الانسان صريع جوع وقتيل شبع وجميع اللذات تنقسم عشرة اقسام
ماكل ومشرب ومنكح وملبس ومشم ومسمع ومبصر ومركب وخادم ومرفق
من الآلات وما يشبهها وقد جعل ذلك سبعة وادخل المركب والخادم والمرفق
وما يجري مجراه داخلا في جملة المبصرات وعلى ذلك ما روى امير المؤمنين رضي الله
عنه حيث قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه وقد راه يتنفس فقال يا عمار
على ماذا تنفست ان كان على الاخرة فقد ربحت تجارتك وان كان على الدنيا
فقد خسرت صفقتك فاني وجدت لذاتها سبعا المأكولات والمشروبات
والمنكوحات والملبوسات والمشمومات والمسموعات والمبصرات فاما
المأكولات فافضلها العسل وهي صنعة ذباب واما المشروبات فافضلها الماء
وهو مباح اهون موجود واعز مفقود واما المنكوحات فمباح في مباح وحسبك
ان المرأة تزين احسن شئ منها ويراد اقبح شئ منها واما الملبوسات
فافضلها الديباج وهو نسج دود واما المشمومات فافضلها المسك وهو دم
فارة واما المسموعات فريح هابة في الهواء واما المبصرات فخيالات صابرة

الى الفناء وقد ذكر الله اصل ذلك في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية والمشار اليه
بحرث الدنيا هذه الاشياء السبعة على ما ذكره امير المؤمنين والعشرة
على ما ذكره غيره وكلا القولين في التحصيل واحد والمراد بالنساء اقتناء هن
والاستكثار منهن وبالبنين الذكور من الاولاد والحفدة والخدم وبالانعام
الازواج الثمانية وبالخيل المسومة السابحة منها والمستعدة واعلم
ان التي هي ضرورية للانسان من هذه اللذات ولا قوام له في هذه الدنيا
الا بها ما هو مشترك بينه وبين جنسه من الحيوان الماكل والمشرب
ويجمعها اسم الغذاء والمنكح فبالغذاء بقاء الاشخاص وبالنكاح بقاء الانواع
ولذلك صارت الحاجة اليهما ضرورية وصلتنا ولهما لا بد للانسان منه
وسائر اللذات مخصوصا بها الانسان وليس بضروري له ويتيسر له بفكرة
ويأنف الملوك من هذه الملاذ الا اثنين السماع لكونه من وجه لذة روحانية
والثناء لكونه دالا على الهمة الرفيعة ومتى كانت الشهوة متناهية عقلية
كانت تامة بدنية قيل لها الحرص فالحرص قد يكون محمودا ولذلك قال تعالى حريص عليكم
بالمؤمنين رؤوف رحيم ومتى كانت الشهوة للمقتنيات قيل لها الشره سواء كان
ماكلا او طعاما او منكحا ومتى كانت للطعام قيل لها النهم واذا كانت للنكاح
قيل لها الشبق وثلاثتها اعني النهم والشبق والشره مذمومة وما روت
من قوله منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم استعارة وهو ان
تحمل على نفسه ما يقصر قواه عنه فينبت وقد قال صلى الله عليه وسلم

ان النبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ع ع ع

ما حسن فيما حسن تناوله من المطعم وفيما بقي منه

الغذاء ضربان احدهما ما لا يستغنى عنه في قوام البدن كالطعام
الذي به يتغذى والماء الذي به يروى والانسان اذا تناول من ذلك
مقدار ما لا يمكن التبلغ بما قل منه على ما يجب وكما يجب معذور بل مشكور
ومأجور وعلى هذا ما روي عند اكل الصالحين تنزل الرحمة وحقه ان
يتناوله متناول مضطر عالم بمقداره ماله وان يرى ادخاله في نفسه
كدخول المستراح ويتحقق ان نسبة الانسان الى الفواكه والثمار نسبة
الجعل الى الروث فلو نطق الشجر لقال لك انت تاكل فضالتي كما ياكل الجعل
فضالتك فالحسن بل اذا استطاب فضالة الانسان فما هو الا كاستطابتنا
لفضالة الشجر وهذا يعلم ان شرف المطعم والمشرب بالاضافة لا بالاطلاق
فالق ايها الانسان عن مناكبك الادثار واجعل البصيرة واستعمل الاعتبار
تجد صدق ما قلت ومن تناول من الطعام اكثر من ذلك كره له طبا وشرعا
اما طبا فان الدا اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب
وقد قال النبي عليه السلام البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء
وعود كل بدن ما اعتاد قال ابن زكريا المتطبب ما ترك النبي عليه السلم
في الطب شيئا الا اتى به في هذه الكلمات الثلاث واما شرعا فقد قال
النبي عليه السلم ما ملأ وعاء بغضا الى الله من بطن فملئ من حلال وذلك ان امتلاء
البطن مقوٍ للشهوة وتقوية الشهوة داعية الهوى والهوى اعظم جند

الشيطان ومن اشرب هواه وانتشر في بدنه حل في كل عضو منه جزء بقدر
وسعه له فكثر جنود الشيطان والشيطان اذا تسلط على الانسان
سباه من ربه وصرفه عن رايه وقيل الحكيم ما بالك مع كبرك لا تفقد
بدنك وقد انهدت فقال لانه سريع المرح فاخشى الاشر فاخاف ان يجمح بي
فيورطني ولان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش
والضرب الثاني من المطعم ما يستغنى عنه ولو توهمناه مفقودا لم يختل
بافتقاده البدن واعظم ما ضر بالمسكر فنفعه ليس بضروري وتناوله
تسهيل لطرق الشيطان ايا تهييج القوة السبعية واثارة سلطان
الهوى كما قال عز وجل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر وقيل حبيت كل الشراب واللهو لا تسكن العفة والحكمة
فان قيل فقد قال الله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق فلم يخص من الحلال قدرا دون قدر وجنسا دون
جنس قيل الطيب التام الطيب هو الذي جمع اللذة والنفع والفضيلة
وذلك هو قدر المتبلغ به على ما يجب وكما يجب الا تري انه كيف ذم
من لم يكن ذلك قصده فقال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون
وقال والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم
ومن الدلالة على خسة كثرة الاكل اذعا عامة الاستغنا بالقليل
وقلة وجود المفتخر بكثرة الاكل وقيل من همته ما يدخل بطنه فقيمته
ما يخرج منه وقد استحسن قول الشاعر

وانك مهما تعط بطنك سوله وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

الناس

ظل كان لابد

وقال صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان ابت فثلث
للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقال عليه السلم المومن ياكل
في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء فنبه من الخبرين انه لا يستحب
الا للانسان الاكل الى شبع بطنه وهو ما ذكره من اللقيمات وذلك
دون عشرة لقمات لان الجمع بالالف والتا ما دون العشرة ثم رخص لمن
غلب عليه النهمة ان يملا الثلث بطنه فحصل من ذلك ان اكل المومن في اليوم
يجب ان يكون سبع بطنه او ثلثه

باب فيما يستحسن من المنكح وما يقبح منه

قد تقدم ان النكاح ضروري في حفظ النسل وبقاء النوع كما ان الغذاء
ضروري في حفظ الشخص ولذلك قال صلى الله عليه تناكحوا تكثروا وقال
خير النسا الولود الودود وشرها العقيم وقال تزوجوا الودود الولود
فاني مكاثر بكم الامم وقال سوداء ولود خير من حسناء عقيم ولقصد النسل
حظر اتيان النسا في محاشهن وعلى هذا نبه قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم
فنبه انه لا يجوز اتيانها الا في المحرث وكره العزل توكيدا للمقصود من
الجماع وعلى ذلك دل قوله عز وجل وابتغوا ما كتب الله لكم وتحري النكاح
على ضربين احدهما على الوجه الذي سنه الشرع وذلك اما محمود وهو ان
يتعاطاه قاصدا به النسل ومزيلا على الحجب لوجهه ومسكنا لنفسه فاما
اذا اجتمع في مقره بحري مجرى مدة في قبح جمر يعظم بحبسه الضرر
ويدعو صاحبه الى ما هو في الشرع محرم واما مكروه طبعا وان لم يكن قد كره

شرعا وذلك ان يتعاطاه المرء فضلا عما تقدم ذكره فانه ينقد العمر ويستنفد
القوى ويوسع اوعية المني ويجلب اليها دما كثيرا ويزيده شهوة واعظم
فايدة فيه ان يلحق صاحبه بافن البهايم من التيوس والثيران ونحوها مما
يوصف بالشبق والضرب الثاني هو ان يكون على غير الوجه المشروع وذلك
ضربان احدهما تعاطيه في المحرث ولكن لا على الوجه الذي يجب وكما يجب كالزنا
وقد عظم الله عز وجل امره فقرنه مرة بالشرك فقال الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ومن قرنه بالشرك وقتل النفس
المحرمة فقال عز وجل والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الا به ومنع ذلك سفاحا من حيث
ان المجتمعين عليه لا غرض لهما سوى سفح الماء للشهوة كمن ضيع ما في غير حرثه
والثاني تعاطيه في المحرث على غير الوجه الذي يكون ان يزرع غير المحرث
كاللواطة وهي اعظم من الزنا لان الزنا وضع البذر في المحرث على غير الوجه
الذي يجوز ان يزرع فيها وفي اللواطة مع ذلك تضييع البذر فمتعاطيها
ممن قال عز وجل ويهلك الحرث والنسل ولهذا وصف الله تعالى قوم لوط
بالاسراف فقال انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا بل انتم قوم مسرفون
واما العشق الشهوي فخفة وجهل بما وضع له الجماع وتجاوز الحد
البهايم في عدم ملكة النفس وذم الهوى لان المتعشق لم يرض بارادة الله الباه
التي هي من اجج الشهوات حتى ازالها من موضع واحد فازداد بذلك عبودية
وذلة على ذلة والبعير احسن حالا منه انها اذا اسقطت الاذى

لاجله

عن نفسها بالسعاد سكنت فصارت الى الراحة وهو لم يرض بذلك حتى استعان
بالعقل في خدمة الشهوة واستجلابها وانما اعطاه الله العقل ليقمع به
الشهوة القبيحه لا ليجعله خادما لها وساعيا في حمقتها وتعاطى
العشق حال كل جاهل فارغ سيما اذا نظر في اخبار العشاق وجالسهم
ورأيا يودي العاشق الحال الى الدق والذبول بل الى الموت
قال الشاعر لو فكر العاشق في منتهى معشوقه قصر من عشقه
ومن اثار شهوته فهو كمن يثير بهائم عادية وسباعا ضارية ثم يلتمس
دفاعها والخلاص منها وكفى مما يهتاج من باعث الطبيعه عن اثار ذلك
بالفكر والروية فمن اعان الطبيعة على ذلك فهو كما قيل
كلما انبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا وقال حكيم لتلميذ
له هوى جارية هل تشك في ان لا بد ان تفارقها يوما فقال نعم قال
فاجعل تلك المرارة المتجرعة في ذلك اليوم في يومك هذا وارح ما بينهما
من الخوف المنتظر وصعوبة معالجة ذلك بعد الاستحكام وانضمام الالف
اليه وقيل لبعض الحكماء ما العشق فقال جنون لا يوجر عليه صاحبه
وسئل اخر فقال مرض نفس فارغة لا همة لها وقال اخر هو سوء اختيار
صادف نفسا فارغة فاشاروا كلهم الى معنى واحد

ذكر العفة

العفة لا تتعلق الا بالقوة الشهوية ولا تتعلق من القوة الشهوية الا
بالملاذ الحيوانية وهي المتعلقة بالغارين البطن والفرج دون الالوان الحسنة

والالحان الطيبة والاشكال المنتظمة فان قيل فاستطابة الرائحة قد تكون
للبهايم الا ترى ان الذيب يستطيب ريح الغنم والكلب يستطيب ريح
الارنب قيل ان استطابتها لذلك استطابة الاكل والذي قلناه من
الرائحة هو ما يستطاب لذاته لا لاجل غيره وما هو لاجل اصل الغارين
فحكمه حكمها كاستطابة الانسان ريح السكباج فثبت ان العفة هي ضبط
النفس عن الملاذ الحيوانية وهي حالة متوسطة بين افراط هو الشره
وتفريط هو خمود الشهوة وهي ام الفضايل من القناعة والعفة والزهد
وغنى النفس والسخا وعدمها يعفى على هذه المحاسن ويعرى عن لبوس المحامد
ومن اتسم بسمة العفة قامت العفة له بحجة ما سولها من الفضايل وسهلت
له سبيل الوصول الى المحاسن واستها يتعلق بضبط القلب عن تطلع الشهوات
الدنية وعن اعتقاد ما يكون جالبا للبغي والعدوان وتمامها يتعلق بحفظ
الجوارح فمن عدم عفة القلب يكون منه التمني وسوء الظن اللذان هما اس
كل رذيلة لان من تمنى ما في يد غيره حسده واذا حسده عاداه واذا
عاداه نازعه واذا نازعه ربما قتله ومن اساء الظن عادى وبغى وعتدى
ولذلك قال نهى الله تعالى عنها جميعا فقال ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض وقال يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم فامر فيهما بقلع الشجرتين تتفرع عنهما جل الرذايل والمائم
ولا يكون الانسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع
والبصر فمن عدمها في اللسان السخرية والتجسس والغيبة والهمز واللمز

والتنابز بالالقاب ومن عدمها في البصر مدة العين الى المحارم وزينة الجوة الدنيا المولدة للشهوات الردية ومن عدمها في السمع الاصغاء الى المسموعات القبيحه وعلى هذا عفة الجوارح كلها ان لا يطلقها صاحبها في شئ مما تختص كل واحد منها الا فيما سوغ فيه العقل والشرع دون الشهوة والهوي واعلم انه لا يكون المتعفف عفيفا الا بشرايط وهي ان لا يكون تعففه عن الشئ استظارا لاكثر منه او لانه لا يوافقه او لخمود شهوته او لاستشعار خوف من عاقبته او لانه ممنوع من تناوله او لانه غير عارف به لقصوره فان ذلك كله ليس بعفه بل لما هو اصطياد او تطبب او مرض او حزم او عجز او جهل وترك ضبط النفس عن الشهوة اذم من تركها عن الغضب والشهوة مغتاله مخادعة و الغضب مغالب والمنحصر عن قتال المخادع اردء حالا من المنحصر عن المغالب ولهذا قيل عبد الشهوة اذل من عبد الرق وايضا فالشره قد يجهل عيبه فهو شبيه بمدينة لهم سنة ردية واهلها يدعون صحتها ومن لا يضبط نفسه للغضب لم يكد يجهل عيبه فهو شبيه بمدينة لهم سنة ردية يتعاطونها وهم يعرفون قبحها وليس من تعاطى قبيحا يعرفه كمن تعاطاه وهو يظنه حسنا

القناعة والزهد

القناعة الرضى بما دون الكفاية والزهد الاقتصار على الزهيد اي القليل وهما يتقاربان لكن القناعة يقال اعتبارا برضى النفس والزهد يقال اعتبارا بالمتناول لحظ النفس وكل زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهد

لا زهد ولذلك قال بعض الصوفية القناعة اول الزهد تنبيها ان الانسان يحتاج اولا الى قدع نفسه والتخصص بالقناعة ليسهل عليه تعاطي الزهد والقناعة هي الغنى في الحقيقة فالناس كلهم فقراء من وجهين احدهما لافتقارهم الى الله عز وجل كما قال يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والثاني لكثرة حاجاتهم فاغناهم اقلهم حاجة ومن سد مفاقره بالمقتنيات فما في انسداد لها طمع فانه كمن يرقع الخرق بالخرق ويمد الفقر بالفقر ومن سدها بالاستغناء عنها بقدر وسعه والاقتصار على تناول ضروراته فهو الغني والمقرب من الله تعالى كما اشار اليه فيما حكي عن طالوت عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم ولان الغنى هو عدم الحاجة فاغناهم اقلهم حاجة ولهذا كان الله اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به الى شئ وعلى هذا نبه النبي عليه السلام بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض فانما الغنى غنى النفس ومن ابيات الحكمة عني النفس ما يكفيك من سد حاجة فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

والمخير بين ان يستغني عن الدنيا وبين ان يستغني بها كالمخير بين ان يكون مالكا او مملوكا وقويا او ضعيفا ومعافى او مبتلى وحيا او ميتا فمتى اختار الاستغناء بها فقد اختار ان يكون مملوكا وضعيفا وميتا ومبتلى ولهذا قال عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش وقيل لحكيم لا تغتم فقال لا اني لم اتخذ ما يغتمني واعلم انه ليس

الزهد من ترك المكاسب في شيء كما توهمه قوم افرطوا حتى فروا من مذهب
المانوية والبراهمة والرهبانية فان ذلك سوء ادب في ابواب رب العالم و
مضادة الله عز وجل فيما قدر ودبر وقد تقدم ذلك والزهد من وجه
صبر ومن وجه جود عما في يد غيرك متورعا وذلك اشرفهما ولا يحصل
الزهد في الحقيقة الا لمن يعرف الدنيا ما هي ويعرف عيوبها وافاتها
ويحقق ما يستغني عنها ويعرف الاخرة وافتقاره اليها ولاجل ان لا بد
في ذلك من العلم قال تعالى قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل
ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون ولان الزاهد في الدنيا
راغب في الاخرة وهو يبيعها بها كما قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة ومحال ان يبيع كيس عينا باش الا اذا عرفها وعرف
فضل الثمن على المبيع وقيل لبعض الزهاد ما ازهدك واصبرك
فقال اما ازهد في غرفة فيها هو اعظم مما انت فيه واما صبري فلجزعي من
النار

باب الورع

الورع اصله جبن وضعف وقد يستعمل في كل واحد منهما لكن جعل في
عرف الشرع لترك المتورع الى تناول اعراض الدنيا وذلك ثلثة اضرب
واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة ومندوب وهو الوقوف
عن الشبهات وذلك للاوساط وفضيلة وهو الكف عن كثير من
المباحات والاقتصاد على اقل الضرورات وذلك للمتقين والصديقين

والشهداء والصالحين وقد قال صلى الله عليه لا يكون العبد من المتقين
حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس وقال باعتبار المستوى الثاني
لما قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما اشد الورع قال
عليه السلام ما ايسر الورع اذا شككت في شيء فدعه ع

الفصل الرابع
فيما يتعلق بالقوى الغضبية ع

باب ما ينتج من القوة الغضبية

الحمية وهي قوة الغضب متى تحركت تحرك دم القلب فتولد منه ثلثة احوال
وذلك انها اما ان تتحرك على من فوقه او على من دونه او على نظيره فان كان ذلك
على من فوقه ممن يظن انه لا سبيل له الى الانتقام منه تولد منه انقباض الدم
وذلك هو الجزع وان كان على من دونه ممن يظن ان له سبيلا الى الانتقام منه
تولد منه ثوران دم القلب ارادة للانتقام وذلك هو الغضب وان كان
على نظيره ممن يشك انه هل يقدر على الانتقام منه تولد منه تردد
الدم بين انقباض وانبساط وذلك هو الوتر والحقد ولكون الغم والغضب
بالذات واحدا واختلافهما بالاضافة سئل ابن عباس رضي الله عنه
عنهما فقال مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه
اظهر غضبا ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنا ومن هذا قال الشاعر
فحزن كل اخي حزن اخو الغضب ✿ والانبساط دم القلب الحقد يحمر وجهه

تارة ويلتفح اوداجه كالكنار تلتهب وتسود وجهه تارة وذلك اذا كثر
واشتد غضبه كنار في غار فيسود وجوه ولانقباض دم الجرح عن ظاهر
الجلد واجتماعه في القلب يسود ويصفر وجهه حتى ربما يهلك من ذلك
ولتردد دم الحقد بين هذه الاحوال يحمر ويصفر ويسود والحرد هو الغضب
لكن يستعمل اذا كان معه قصد المغضوب عليه ولذلك يقال حرد حرد الاسد

باب انواع الصبر ومدحه

الصبر ضربان جسمي ونفسي والجسمي هو تحمل المشاق بقدر البدنية وخصلته
نهايته معلومه واكثرها الذي لجسوم الخشنة وليس ذلك بفضيلة تامة
ولهذا قال الشاعر الصبر بالارواح يعرف فضله صبر الملوك وليس بالاجسام
وذلك في الفعل كالمشي وربع الجري في الانفعال كالصبر على المرض واحتمال
الضرب والقطع والثاني نفسي وبه يتعلق الفضيلة وذلك ضربان صبر
عن تناول مشتهى ويقال له العفة وصبر على تحمل مكروه او محبوب
وذلك يختلف اسماؤه بحسب اختلاف مواقعه فاذا كان ذلك في نزول مصيبة
فانه لم يتعد به اسم الصبر ويضاده الجزع والهلع وان كان في احتمال
غنى فقد سمي ضبط النفس ويضاده الدفع والبطر وان كان في امساك
النفس عن قضاء وطر الغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة
مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده ضيق الصدر والضجر والتبرم وان
كان في امساك الكلام في الضمير سمي كتمان السر ويضاده الافشاء وان
كان عن فضولات العيش سمي قناعة وزهدا ويضاده الحرص والشره

ولكون الصبر عاما قال عز وجل والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس
اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فذكرانهم يصبرون في البأساء الفقر
وفي الضراء المصيبة وحين البأس الحرابة قال بعضهم ضبط النفس
يقال في الاشياء الملذة والصبر يقال في الاشياء المحزنة وقال بعضهم بل هما
من الاسماء المترادفة على معنى واحد ان قيل ما معنى قول النبي عليه السلام
الصبر نصف الايمان قيل لما كان جميع المحامد ضربين ترك الشر ويعبر عنه بالصبر
وفعل الخير ويعبر عنه بالشكر صار الصبر الذي هو ترك الشر نصف الايمان

باب الشجاعة

الشجاعة ان اعتبرت في النفس فرامة القلب على الاهوال وربط الجاش
في المخاوف وان اعتبرت بالفعل فالاقدام على موضع الفرصة وهي فضيلة بين
التهور والجبن وتولدها من الغضب والفزع اذا كانا متوسطين فان الغضب
قد يكون مفرطا كمن يحتدم سريعا من اشياء صغيرة وقد يكون مفرطا كمن لا
يغضب من الافتراء على حرمه وشتم ابيه وامه وقد يكون متوسطا على ما
يجب في وقت ما يجب وبقدر ما يجب وكذلك الفزع يكون مفرطا فيتولد منه
الجبن الهالع ومفرطا فيتولد منه الوقاحة والغمارة كمن لا يفزع من شتم
اباه وتضييع حرمه واصدقائه وقد يكون متوسطا كما يجب وقد ما يجب
ولكونهما اعني الغضب والفزع على حالتين محمودة ومذمومة صار الحمد
تارة ويقتران اخرى فان الغضب في نحو قوله تعالى وغضب الله عليهم والفزع
في نحو قول الشاعر فزعت لظلمه هما محمودان والتهور هو التبار المذموم

في الامور المعضله وانواع الشجاعة خمسة سبعية كمن اقدم لثوران غضب
وتطلب غلبة وبهيمية كمن حارب توصلا الى مأكل او منكح وتجربية
كمن حارب مرارا فظفر فحمل ذلك الصلابة على عليه وحسمادية كمن حارب
ذبا عن الدين وحكمية وهي ما يكون في كل ذلك عن فكر وتمييز وهيئة محمودة
بقدر ما يجب وعلى ما يجب الاترى انه يحمد من اقدم على الكافر غضبا لدين الله
او طمعا في ثوابه او خوفا من عقابه او اعتمادا على ما راى من انجاز الله وعده
في نصرة اوليايه فان كل ذلك محمود وان كان محض الشجاعة ان لا يقصد بالاقدام
حوز ثواب ودفع عقاب فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم والفرق
بين المقدم في الحروب لمحض الحكمة ولاخلاص الدين وبين المقدم لغير ذلك
ان المقدم لغير الحكمة والاخلاص يخاف الموت اكثر مما يخاف المنهزم الصادق
والمقدم للحكمة والاخلاص بالضد من ذلك فانه يختار الموت على الحيوة
الذميمة ولذلك قال امير المومنين رضي الله عنه ايها الناس ان لم تقتلوا
تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة
على فراش ومن الشجاعة المحمودة مجاهدة الانسان نفسه او غيره وكل واحد
منهما ضربان مجاهدة النفس بالقول وذلك بالتعلم وبالفعل وذلك بقمع
الشهوة وتهذيب الحمية ومجاهدة الغير بالقول وذلك تبيين الحق
وتعليمه وبالفعل وذلك مدافعة الباطل ومتعاطيه بالحرب ع

باب اسم الفزع والفرق بينها وما يحمد منها ويذم

الفزع والجزع اخوان لكن الفزع ما يعتري من الشئ المخيف والجزع ما يعتري

محمد

من الشئ المولم والفزع لفظ عام سواء كان عارضا عن امارة او دلالة او
حاصلا عن ذلك ومتى كان ذلك من عار فهو الحيا والخجل ومتى كان عن شئ يضر
فهو الفرق والذعر ومتى كان لفوت محبوب فهو الاشفاق ولهذا قال حكاية
عن اهل الجنة انا كنا قبل في اهلنا مشفقين والخوف يقع كثيرا عن امارة والخشية
خوف يشوبه تعظيم المخشي مع المعرفة به ولذلك قال تعالى من خشي الرحمن بالغيب
والوجل استشعار عن خاطر غير ظاهر ليس له امارة قال الله عز وجل والذين
يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون والرهبة خوف مع تحرز
واضطراب ولتضمن الاحتراز قال عز وجل اوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي
فارهبون والهيبة رهبة جالبة للخضوع عن استشعار تعظيم ولذلك يستعمل
في كل محتشم قال الشاعر اهابك اجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها
وهذه الاشياء قد تذم باعتبار الامور الدنيوية وتحمد باعتبار الامور الاخروية
قال الله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال واياي فارهبون
وقال انما يخشى الله من عباده العلماء والخوف من الله ليس بشار به الى ما يخطر
بالبال من الرعب كاستشعار الانسان الرعب من الاسد وانما يشار به الى ما
يقتضيه الخوف وهو الكف عن المعاصي ولذلك قيل لا تعد خايفا من
لا يترك الذنوب وقال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مومنين اي لا تفعلوا ما يقتضيه الخوف منه وافعلوا ما يقتضيه خوفي
ان قيل كيف مدح المومن بالحزن والخوف مع قوله الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قيل انما الممدوح به فهو مقتضاهما وذلك ما قام العبد اذا

واما المتقيان عنهم فهما اللذان يكونان من الاشرار ع

باب مداواة الغم وازالة الحزن

حق الانسان ان يعلم ان الدنيا جمة المصايب رنقة المشارب تتمر للبرية اصناف البلية فيها مع كل لقمه غصه ومع كل جرعه شرقه فهي عدوة محبوبة كما قال ابو نواس

عن اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وكما روي للحسن انه قال ما مثلنا مع الدنيا الا كما قال كثير

اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

فما احد فيها الا وفي كل حال غرض لاسهم ثلثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية تناضله الآفات من كل جانب فتخطيه يوما وتوما تصيبه

وقال بعض الحكما اسباب الحزن فقد محبوب او فوت مطلوب ولا يسلم منها انسان لان الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد فمن احب ان يعيش هو واهله واحبابه فهو غير عاقل لانه يريد ان يملك ما لا يملك ويوجد له ما لم يوجد فحق المرء ان لا يخلي قلبه من اعتبار فيما يرى من ارتجاع ودايعها من ارباحها وحلول قوارعها باصحابها وما احسن ما قال ابن الرومي

الم ترزء الدهر من قبل كونه كفاحا اذا فكرت في الخلوات

فما لك كالمرمى من مأمن له بنبل اتته غير مرتقبات

فان قلت مكروه اذا ما تجاه فما فوجيت نفس مع الخطرات

ولا غوفصت نفس بلوى وقدرات عظات من الايام بعد عظات

اذا بغتت اشيا قد كان مثلها قديما فلا تعتدها بغتات

ثم من حقه ان يقلل من اقتنائها يورثه الحزن فقد قيل لحكيم لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغمني فقده واخذ الشاعر ذلك فقال

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيا يبالي له فقدا وقيل لحكيم هل يمكن الانسان ان يعيش امنا قال نعم اذا احترس من الخطية وقنع بحاله ولم يحزن لما هو واقع به لا محاله واعلم ان الجزع على ما فات لا يلم ما شعث ولا يبرم ما امتك كما قال الشاعر وهل جزع مجد علي فاجزعا فاما غه على المستقبل فلا يخلو امن ثلثة اوجه اما في شي ممتنع كونه او كونه واجب او ممكن كونه فان كان على ما هو ممتنع كونه فليس ذلك من شان العقلا وكذلك ان كان من قبيل الواجب كونه كالموت الذي هو حتم في رقاب العباد وان كان ممكنا كونه فانه ان كان من الممكن الذي لا سبيل الى دفاعه كالممكن الموت قبل الهرم فالحزن لاجله جهل واستجلاب غم الى غم وان كان من الممكن الذي يصح دفاعه فالوجه ان يحتال لدفاعه بعقل غير مشوب بحزن فان دفعه والا تلقاه بصبر ولتحقق معنى قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم والله لا يحب كل مختال فخور فمن علم ان ما جرى في حكمه وسبق في علمه لا سبيل الى ان يكون هلت عليه النوب واعلم ان الذي يغر الناس حسن ظنهم بالحسان الافات واغترارهم حالة بعد حالة بصفا الاوقات لو تاملوها بالبصيرة لتحققوا انها كما قال امير المومنين رضي الله عنه ما قال الناس لقوم

طوبى لكم الا وقد حبا لهم الدهر يوم سوء ——— سبب
ان الليالى لم تحسن الى احد الا اساءت اليه بعد احسان ٭ واما الانعام
بالموت فلا ينفك من اربعة اوجه اما لفوت شهوات بطنه وفرجه
واما على ما خلفه من ماله واما على جهله بماله واما خوفه لما قدمه
من عصيانه فان كان ذلك لشهوة بطنه وفرجه فليعلم ان ذلك
كمشتهٍ دنيقا له بدرهم مثله فان الانسان لا يستلذ الطعام حتى يجوع
والجوع دامهروب عنه وشبعه دامهروب فيه فمثل من يحب الجوع
ليستطيب بعده الاكل كمن يستطيب القعود فى الشمس لينال الحر
ثم يستطيب القعود فى الظل ومحبة ذلك رقاعة لا تحمد ولا تعد
وان كان غمه على ما خلفه من ماله فذلك لجهله بخساسة الاعراض الدنيوية
وكونها مجمع كل بليه وبنفاسه الاملاك الحقيقيه التى عرا المتقون
بها وان كان غمه لجهله بماله فمداواته العلم والمعرفه الحقيقيه التى
تريه حال ما للانسان بعد الموت كما قال حارثه للنبى صلى الله عليه
كانى انظر الى عرش ربى بارزا وكانى انظر الى اهل الجنة يتزاورون
والى اهل النار يتعاوون فيها وان كان خوفا لما كان من عصيانه فدواه
المبادرة بالتوبة وكفاه ان كان ذا بصيرة ما جعل الله له اليه
سبيلا من تلافى ما فرط منه ووعد به التائبين ٭

باب احوال الناس فى محبة الموت والاحتيال لقلة المبالاة به

الناس فى ذلك على ثلثه اضرب الاول حكيم يعلم ان الجبرة تستر قه

والموت يعتقه وان الانسان وان طال فى هذا العالم لبثه فهو كخطفة
برق لمعت فى اكناف السماء ثم عادت للاختفاء وانه فى دنياه كمبعوث اذا دعى
الى ثغر يحوطه وبلد يسوسه يراعى ما استرعى ويسير بدعايه ولا يتكاده
خروجه منها الا بقدر ما يفوته من خدمة ربه والازدياد من تقربه
والاستباق بما يقبل ويقال له كما قال بعض الصالحين وقد رؤى منه جزع
عند الموت فقيل له فى ذلك فقال جزعى ان اسلك طريقا لم اسلكه واقدم
على ربى لم اره ولا ادرى ما اقول وما يقال لى فالثانى رجل انس بهذا العالم
فالفه وان كرهه فسبيله سهيل من الف يقينا مظلما قذرا ولم ير غيره
فهو يكره الخروج منه وان كان قد كره دخوله فيه كما قال الشاعر

دخلنا كارهين لها فلما الفناها خرجنا مكرهينا ٭

وما حب الهلاد بنا ولكن امر العيش فرقة من هو بينا ٭ وبحسب ما قيل
لو رضى الناس بارزاقهم رضاهم باوطانهم لما شكا احد فقره فهذا متى خرج عن
دنياه واطلع على ما اعد للصالحين مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر سر بخلاصه كما حكى الله تعالى عمن استقر به القرار فى جنة
النعيم حيث قالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى
احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
والثالث رجل عم البصيرة منا بظلم السريرة بما ارتكبه من انواع الجريرة رضى
بالجبرة الدنيا واطمان بها ويئس من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور
فاذا خرج منها الى دار الخلود اضر ذلك به كما تضر رياح الورد بالجعل ٭

فاذا خرج من فاذورات الدنيا لم يوافقه عالم العلى ومصاحبة الملأ الاعلى
ومنادمة اولى العلى فيعمى كما قال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى واضل سبيلا ولهذا قال صلى الله عليه الدنيا سجن المومن وجنة الكافر
واجدر ان من تزين في هذا العالم بغذايه من العلم والعمل الصالح ان لا يشتاق
اليه بعد خروجه منه وان خرج كارها كما لا يشتاق الرجوع الى بطن امه
بعد الخروج منه ويدلك على انه خرج من بطن امه كارها بكاؤه فقد قال
بعض العلماء اول ما ينال الصبي غمه عند سقوطه كما يضغطه من مضيق
خروجه ويصيبه من الهواء فيتوجع والوجع يورثه الغم والغم يحمله
على البكاء وذلك ان للصبي كل ما يكون للحيوان غير النطق من اللذة والالم والجوع
والعطش ومن هذا الخزابز الرومي فقال

لما تؤذن الدنيا بهام صروفها يكون بكا الطفل ساعة يولد

والا فما يبكيه منها وانه لافسح مما كان فيها وارغد

قال ابن عباس رضي الله عنهما ما احد الا والموت خير له من الحيوة لان الله تعالى
قال في الاخبار وما عند الله خير للابرار وقال في الاشرار انما نملي لهم
ليزدادوا اثما وقيل الصالح اذا مات استراح من الدنيا والبشر يراد اذا مات
استراح منه الدنيا وقال بعض الحكماء من قال لغيره صاحبك الموت من نوب الايام
وصروف الزمان فانه يدعوا له بالموت فالانسان لا ينفك من ذلك الا بعد
خروجه من دار الكون والفساد وقال بعض الصوفية حق على كل الموت ان يحبه
المسلم من بين الملايكة فضل محبة من حيث انه احد اسباب تعويضه

الحيوة السنية الابدية من حياته الدنية الدنيوية ولهذا امرنا ان نقول في
دعايا اللهم صل على جبرئيل وميكايل وملك الموت فان جبرئيل وميكايل هما سببان
لاتيانا من ذلك العالم بما فيه خلاصا من دار الكون والفساد فاذا احققه
عظيم وشكره لازم وقد حكي ان قوما من الاوايل كانوا يعظمون نخل البقر بس
والتسبيح له وقالوا انه لا يعين على الحيوة العرضية بل هو سبب انتقالنا من الدنيا
الدنيا وقال بعض الاولياء في مناجاته الهي ان سالتك الحيوة في دار الممات فقد
رغبت في البعد منك وزهدت في القرب منك فعلا قال بيك وصفيك من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وقال بعضهم ان كان
في قلة الحاجة الدنيوية غنى ففي انقطاع الحاجة كلها الغنى الاكبر ولا
انقطاع لها الا بمفارقة الدنيا فالدنيا سبب فاقتنا والعبودية لغير الله
وقبيح بالعاقل صحبة الفاقة والتخصص بعبودية غير رب العزة والموت
سبب كمال الانسان ومن رغب عن كماله من الذين خسروا انفسهم ومن كره
الموت اخرج عن الدنيا كارها فيكون كعبد آبق رد الى مولاه ماسورا وقيل
قيل لحضرمي مقهورا وشتان بين عبد دعاه مولاه فاتاه طوعا وعبد
ابق اسر فاتي به قسرا وحق العاقل ان يكثر من ذكر الموت فذكره للموت
لا يقرب اجله ويعيده ثلثا القناعة بالرزق والمبادرة بالتوبة و
النشاط في العبادة ولذلك قال صلى الله عليه اكثروا ذكر هادم اللذات
فانه ما ذكره احد في ضيق الا وسعه عليه ولا في سعة الا ضيقها عليه
وقيل ذكر الموت يطرد فضول الامل ويكف غرب المنى فيهون المصايب ويحول بين الانسان والمعاصي

باب السرور والفرح

السرور انشراح الصدر بلذة فيها طمانينة الصدر عاجلا واجلا وذلك في الحقيقة انما يكون اذا لم يخف زواله ولا يكون الا في العقبات الاخروية ولذلك قيل لا سرور في الدنيا على الحقيقة ۞ والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة غير اجله وذلك في اللذات البدنية الدنيوية ولهذا قال عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم والفرح يدعو الى النشاط والنشاط الى المرح والمرح داعية الاشر والاشر مقدمة البطر واكثر ما يظهر ذلك في الاحداث والصبيان بقدر ما يغلب عليهم من الغفلة وقد ذمه الله تعالى بقوله وفرحوا بالحيوة الدنيا وقال ان الله لا يحب الفرحين وقال ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقال تعا كل حزب بما لديهم فرحون وقد يسمى الفرح سرورا والسرور فرحا لكن على نظر من لا يعتبر السابق ومتصور احدهما بصورة الاخر ولذلك قيل من طلب السرور بالخارجات فسلم يبل ۞

باب العذر والتوبة

المذنب اذا عوتب او خاف العتب لا ينفك من وجهين اما ان يكون مصرا او معتذرا فاما المصر فقد يستحسن في بعض الاحوال النجاء عنه وقد سمع رجل حكيما يقول ذنب الاحرار اولى بالاغتفار فقال صدق ليس فضل من عفا عن السهو القليل كمن عفا عن العمد الجليل واما المعتذر فهو المظهر لما نحوا به الذنب وجميع المعاذير لا تنفك من ثلثة اوجه اما ان يقول لم افعل او يقول فعلت لحق كذا فيبين ما تخرجه عن كونه ذنبا او يقول فعلت ولا

اعود فمن انكر وابى عن كذب ما نسب اليه فقد برئت ساحته وان فعل وحمد فقد بعد التغابي عنه كرما واياه قصد الشاعر تغابى وما بك من غفلة لفرط الحيا وفضل الكرم ۞ ومن اقر فقد استوجب العفو لحسن ظنه بك قال بعض البلغا تجاوز عن مذنب لم يسلك بالاقرار طريقا حتى اخذ من رجليك رفيقا وان قال فعلت ولا اعود فهذا هو التوبة وحق الانسان ان يقتدي بالله في قبولها وللتوبة شرايط فرضا ونفلا فرضها ترك الذنب مع ترك العود اليه ونفلها التاسف لما سلف من الذنب والاستغفار له وترك بعض المباحات مقابلة لما كان من العصيان واعلم ان للمذنب التايب اذا تاب توبة نصوحا فضيلة على من لم يذنب من ثلثة اوجه الاول من حزب العيوب والذنوب وعرف مداخل الشيطان على الانسان يكون اهدى الى الاحتراز فقد قيل الحكيم قلان لا يعرف الشر فقال ذاك الجاهل وان يقع فيه والثاني ان المذنب التايب محتشم قد غلب الخوف على قلبه فيأتي باب مولاه خربان منكسرا ومن لم يذنب ربما عجب بنفسه ويدل بفعله وليس خدمة عبد عصى ملكا وخرج عليه خارجيا ثم عاد اليه وجلا عنه كخدمة من لم يزل يطاعته والثالث ان التايب جلب الدهر شطريه خيره وشره وحلوه ومره فهو ارفق بالمذنبين واوفق لهم واصلح للرياسة ممن يظن ان الذنب شيء خرج عن طبيعة الانسانية فيعجب بنفسه ويزري بغيره ۞

باب الحلم والعفو ۞

الحلم امساك النفس عن هيجان الغضب والتحلم امساكها عن قضاء الوطر منه

والحق ان يكون لا تجاوز

اذا هاج ولما كان الحلم عن ثائر العقل وغير منفك منه صار يعبر به
عن كل عقل ظهر فعلا كقوله تعالى في ذم الكفار على سبيل التعجب منهم
ام تامرهم احلامهم بهذا ومتى استعمل الحلم في الباري عز وجل فانه يراد
به العمل بمقتضاه وهو العفو دون الانفعال يعرض له ولن يتم حلم الانسان
الا بالجوارح كلها اليد عن البطش واللسان عن الفحش والسمع عن سماعه
والعين عن فضولات النظر واقرب لفظ يستعمل في ضد الحلم التذمر
واما العفو والصفح فهما صورتا الحلم ومخرجاه الى الوجود فالعفو ترك
المواخذه بالذنب والصفح ترك التثريب واشتقاقه من تجاوز
الصفحة التي اثبت فيها ذنوبه اي الاعراض بصفحة الوجه عن التلفت
الى ما كان منه وهو محمود اذا كان على الوجه الذي يجب ولهذا قال
تعالى فاصفح الصفح الجميل فخص تنبيها على ما يجل منه وقد حث الله
تعالى على ذلك بقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فامر بالحلم
والعفو وقال وليعفوا وليصفحوا وقال فاعف عنهم واصفح ان الله يحب
المحسنين وقال فمن عفا واصلح فاجره على الله والعفو انما يستحب
فيما كان الاساءة مخصوصة بالعافي كمن اخذ ماله او شتم عرضه
فاما اذا كانت الاساءة عايدة بالضرر على الشرع او على جماعة الناس فانه ان
كان غبيا ادنى شبهه فللسلطان العفو لقوله عليه السلام ادرؤا الحدود
بالشبهات وان لم يكن ذات شبهة فليس له العفو ولهذا قال الله تعالى في
الزنا ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر وحث

باسماك

92

المعاقب ان لا يكون سبحانه وانتقامه بل لا يعاقب حتى يزول سلطان غضبه
ليدل على ان لا يقدم على ما ليس بواجب ولذلك جرى سنة السلطان بحبس المجرم حتى
ينظر في وجهه ويعيد النظر فيه قال بعضهم ينبغي للسلطان ان يؤخر
العقوبة حتى ينقضي سلطان غضبه ويتحمل مكافاة المحسن ويستعمل الاناة
فيما يحدث فتاخير العقوبة فيه امكان العفو ان احب ذلك وفي تعجيل المكافاة
بالاحسان مسارعة الاولياء الى الطاعة واتى الاسكندر بمذنب
فصفح عنه فقال بعض جلسايه لو كنت اياك لقتلته فقال اظلم اذن انا اياك
ولا انت اياي فكيف تقتله وانتهى الى بعض اصحابه وهو يعتابه فقيل له
لو امكنه عقوبة فقال حينيذ ابسط لسانا وعذرا في اغتيالي واعلم ان
لذة العفو اطيب من لذة التشفي لان لذة العفو يلحقها حمد العاقبه ولذة العقوبة
يلحقها ذم الندم والعقوبة الا في حالات ذي القدرة وهي طرف من الجزع ومن رضي
ان لا يكون بينه وبين الظالم الا سترقيق فلينتصف وقد نبه الله تعالى على
ذلك بلطيف من المقال فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمى مجازاة المسيء
باسائته اساءة وقال عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم فسمى المجازي على الاعتداء معتديا تنبيها على انه قد كاد يكون اياه
والعقوبات فيما بين الناس اقتحمها ما كان فيما كان لم يظهر بالفعل فقد قال بعض
الملوك انما نملك الاجساد دون الضمايز ونحن عن الظواهر لا عن السرايز ثم من سلم
ظاهره احتمل جرايره فقد يعفو المرء ونيته سليمة وينزل وطريقته مستقيمه

باب ثوران الغضب وفضل كظمه

الغضب فى الانسان نار ما يشتعل والناس يختلفون فيه وبعضهم كالحلفا سريع
الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطئ الوقود بطئ الخمود وبعضهم سريع
الوقود بطئ الخمود وبعضهم على عكس ذلك وهو احدهم ما لم يكن مغضيا به الى زوال
حميته وفقدان غيرته واخلافهم تارة يكون بحسب الغريزة فمن كان طبعه حائلا
من حارا يابسا يكثر غضبه ومن كان بخلافه يقل وتارة يكون بحسب اختلاف العادة
فمن الناس تعود السكون والهدوء وهو المعبر عنه بالذلول بالذلول والهين واللين
ومنهم من تعود الطيش والانزعاج فيحتد بادنى ما يطرقه كالكلب يسمع حسا
فيعوى قبل ان يعرض ما هو واسرع الناس غضبا الصبيان والنساء والكبر هم
ضجرا الشيوخ واجل الناس شجاعة وافضلهم مجاهدة واعظمهم قوة من يكظم
الغيظ وعلى ذلك دل قوله عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين وقال صلى الله عليه وقد مر بقوم يرتعون الحجر فقال الا اخبركم
باشدكم من ملك نفسه عند الغضب واعلم ان نار الغضب متى كانت عنيفة ثائرة
واضطرمت فاحتدمت منه غليان دم القلب وملأت الشرايين والدماغ دخانا مظلما
مضطربا يسود منه حال العقل ويضعف به فعله فكما ان الكهف الضيق اذا ملئ
حريقا اختنق فيه اللهب والدخان وعلامته الاجيج فيصعب علاجه و
اطفاؤه ويصير كل ما يدنى منه مادة لقوته كذلك النفس اذا اشتعلت غضبا عميت
عن الرشد وصمت عن الموعظة فتصير مواعظه مادة لغضبه ولهذا حكى عن ابليس
انه قال متى اعجزنى ابن ادم فلن يعجزنى اذا غضب لانه ينقاد لى فيما ابتغيه ويعمل ما
اريده وارتضيه وقيل الغضب جنون ساعة وربما ادى الى تلف باختناق حرارة القلب

باب
ثوران الغضب
وفصل
كظمه

وربما كان سبب الامراض صعبة مؤدية الى التلف واسباب الغضب العجب
والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والضيم والاستهزاء وطلب ما فيه
التنافس والتحاسد وشهوة الانتقام وحق من اعترته غضبة ان يتفكر
فان كان المغضوب عليه تحت يده فلا معنى لاستشاطته اذ هو ممكن
من الانتقام منه على سكون الجاش وان كان غضبه على من لا سبيل له عليه
فلا معنى لتعذيبه نفسه في الوقت بل حقه ان يصبر حتى يتمكن منه ثم يفعل
بالواجب * وقال حكيم سد طريق الغضب قبل تلهب ناره في حمك ودمك
فانما يمكن اطفاؤها قبل انتشارها فاما اذا اشتعلت فلا سبيل الى اطفائها
وقال سلطان الحكم كيف لي ان لا اغضب فقال بان تكون في كل وقت ذاكرا انه يجب
ان تطيع لا ان تطاع فقط وان تخدم لا ان تخدم فقط وان تحمل لا ان تحمل فقط
وان تحقق ان الله يراك دايما فاذا فعلت ذلك لم تغضب وان غضبت غضبت قليلا

باب الغيرة والجوار

الغيرة ثوران الغضب حماية على اكرم الحرم واكثر ما يراعى في النساء وجعل الله
هذه القوة في الانسان سببا لصيانة الماء وحفظا للانساب ولذلك قيل لكل امة
وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسايها وقد يستعمل ذلك في صيانة
كل ما يلزم الانسان صيانته في السياسات الثلاث التي هي سياسة الرجل و
سياسة منزله واهله وسياسة مدينته وصقعه ولذلك قيل ليست الغيرة
ذب الرجل عن امراته والكف به عن كل متحقق به وقيل الغيرة الذب عن كل ضعيف
وسمي كراهية النعمة عند من لا يستحقها غيرة والغيرة وان كانت من قوة الانسانية

وواجب كونها في كل اجيل فقد كثر في العرب كثرة متناهية حتى ان من دخل دار
احدهم والتجأ الى فنايه عدوا فعله حرمة وجوارا وذمارا بل ان تعلق الذليل بالذليل
الغريبة او يلابس الطنب المستحصد الطنب بل كانوا يراعون ذلك في الوحشيات
والهوام حتى قيل مجير الجراد ومجير الغزال ومجير الذيب ومحمي الغضب المقتفي
الغيرة الحفيظة فقالوا احفظني فلان اي اعضبني الغضب الذي اثار مني قوة الحفيظ

باب الغبطة والمنافسة والحسد

الذي ينال الانسان بسبب خير يصل الى غيره على سبيل التمني ان يكون له مثله فهو غبطة
واذا كان مع ذلك سعي منه وان يبلغ هو مثل ذلك من الخير او ما هو فوقه فمنافسة
وكلاهما محمودان وان كان مع ذلك تمني زوال النعمة عما يصاحبه من غير استحقاق
لزواله فحسد والحسد متى زوال نعمة من مستحق لها ولربما كان مع ذلك سعي في
ازالتها والحاسد التام هو الخبيث النفس الساعي في ازالة نعمة مستحقيه من غير
ان يكون طالبا لذلك لنفسه ولذلك قيل الحاسد قد يرى زوال نعمتك نعمة عليه
وقال عليه السلام المؤمن يغبط والمنافق يحسد فحمد الغبطة وقال تعالى فليتنافس
المتنافسون فحث على التنافس اذ هو باعث دال على طلب المحاسن وذلك
كقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقول النبي صلى الله عليه ثلثة لا ينجوا
منها احد الظن والطيرة والحسد وساخبركم بالمخرج من ذلك فاذا ظننت
فلا تحقق واذا تطيرت فامض ولا تثنى واذا حسدت فلا تبغ اي اذا اصابك
غم تخيل بنالة غيرك فلا تبغ ازالته عنه واعلم ان الحسد من وجه غاية البخل
لان البخيل يبخل بمال نفسه والحاسد يبخل بمال الله ولذلك قيل الحاسد بخيل

بما لا يملكه ومن وجه هو اظلم ظالم لانه يظلم غيره في ان الله حاله ويظلم ربه
فيما قدره وقبل الحسد والحرص ركبا الذنوب ومنه انتج ذنب ابليس وآدم
فابليس حسد آدم فصار لعينا وآدم حرص على ما نهي فاخرج من الجنة فهما
شجران يجتنى منهما سائر الرذايل فمن قطع اسبابهما نجا ان قبل ما وجه
قول النبي صلى الله عليه لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فجعله في حق
ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها قيل عني بالحسد ها هنا الغبطة
وقد سمي ذلك من حيث انهما الغم الذي ينال الانسان من خير يناله غيره
ولا ينال له هو وعلى ذلك يقول الانسان لولده لا تحسد فلانا فيما يتعلمه
اي لا تتمنى حاله واعلم ان الحسد ضرب من الحماقة لان اغتمامه بما ينال
ذووه واهل بلده يقتضي ان يغتم لما ينال اهل الصين والهند على ان الخير الذي
ينال ذويه اذا تفكر فيه هو انفع له مما ينال الابعد هم هم

الفصل الخامس في العدالة والظلم والمحبة والبغض

باب العدالة وفضيلتها

معنى العدالة لفظ يقتضي المساواة ولا يستعمل الا باعتبار الاضافة وهي
في التعارف اذا اعتبرت فهيئة في الانسان يطلب بها المساواة
واذا اعتبرت بالفعل فهي التقسيط القايم على الاستواء واذا وصف الله
عز وجل بالعدل فليس يراد به الهيئة وانما يراد به افعاله واقعه

على نهاية الانتظام والانسان في تحري فعل العدالة يكون تام الفضيلة
اذا حصل مع فعله هيئة مهيئة لتعاطيه فقد يقع فعل العدالة من الانسان
ولا يكون ممدوحا به بحيث ان يقسط مرايا او توصلا الى نفع دنيوي او خوف عقوبة
السلطان والعدالة تارة يقال هي الفضايل كلها من حيث انه لا يخرج شيء من الفضايل
عنها وتارة يقال هي اكمل الفضايل من حيث ان صاحبها يقدر ان يستعملها في نفسه
وفي غيره وهي ميزان الله المبرأ من كل زلة وبه استتب امر العالم ولذلك قال عز وجل
الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقال والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا
في الميزان وعبر عن العدالة بالميزان اذ كان من آثارها ومن اظهر افعالها للحاسة
وقال النبي عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض اي لو كان شيء من موجودات
العالم واصولها زايدا على الاخر او ناقصا عنه لم يكن منتظما هذا النظام ومن
فضيلتها ان الجور الذي هو ضده لا يستتب الا به فلو ان لصوصا تشارطوا
فيما بينهم شرطا فلم يراعوا العدالة فيه لم ينتظم امرهم ومن فضلها ان كل نفس
تتلذذ بسماعها وتسالم من ضدها ولذلك يستحسن الجابر العدل عدل غيره
اذا راه او سمع به وقيل العدل يحفظ والله اي من حيث العدالة لا خوف عليه وحسن
العدالة والمساواة تسالم النفس من كل ما كان مركبا في العالم ليس له نظام مستقيم
فيكره العرج والعور فتشام به ولتحري المساواة جعل الله تعالى اعضاء الانسان
الواقعة في الاطراف زوجين اثنين وفي الاوساط واحدا واحدا وللافتداء بذلك
تحري النقاشون بان اكل منقوش فجانبه منقوش مثله في الجانب الاخر لياتي
الصورة معوجة العدالة وسط اطرافها كلها جور فالجور الخروج من وسط
و

زيادة او نقصان ولذلك صار الجور والخطأ بالاضافة الى العدل والصواب
من حيث ما لانهاية له والعدل والصواب من حيث المتناهي وادراكها
صعب عسر والصعوبة ذلك قال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا وتمدح
تعالى بقوله واحصى كل شئ عددا تنبيها انه هو المتحقق للعدالة و
الصواب من كل شئ وقال بعض الصوفية رايت النبي عليه السلام في المنام
فقلت بلغني يا رسول الله انك قلت شيبتني هود واخواتها فما الذي
شيبك منها فقال قوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولما كان الوصول
اليها عسرا صار طالبها اذا تحراها بجهده وان اخطأ فيها معذورا بل
ماجورا ولذلك قال عليه السلم من اجتهد فاخطأ فله اجر ومن اجتهد فاصاب
فاصاب فله اجران

باب انواع العدالة وما يستعمل ذلك فيه

العدالة بان مطلق يقتضي العقل حسنه ولا يكون منسوخا في شئ من الازمنة
ولا يوصف بالجور في حال وذلك نحو جذب الاحسان الى من احسن اليك وكف
الاذية عمن كف اذاه عنك وعدل مقيد يعرف كونه عدلا بالشرع
وعكن ان يكون منسوخا في بعض الازمنة وذلك مقابلة السوء بمثله كالحوال
القصاص واروش الجنايات وكاخذ مال المرتد وهذا النحو يصح ان يوصف
على المجاز في بعض الاحوال بالجور ولذلك قال عز وجل وجزاء سيئة سيئة
مثلها فسمى جزاء السيئة سيئة من حيث انه لو لم يكن معتبرا بالسيئة المتقدمة
كانت هي سيئة وعلى ذلك ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وبالنظر
الى النوع الاول والاعتبار به قال بعض المتكلمين يعرف العدل والجور

بالعقل قبل الشرع وبالنظر الى النوع الثاني قال بعضهم لا يعرفان الا بالشرع
وفي الجملة ان الشرع مجمع العدالة وبه يعرف حقايقها ولو توهمناه مرتفعا
لكان يود كل الحال تكون عدالة على الحقيقة في شئ من جزويات الافعال
ولا في كثير من كلياتها والعدالة المحمودة هي التي يحتاج لاريا وسمعة
ورغبة ورهبة وانما يكون تحريا للحق عن بصيرة والذي يجب ان يستعمل
الانسان معه في العدالة خمسة الاول بينه وبين رب العزة تعرفه توحيده
واحكامه والثاني بينه وبين قوى نفسه وذلك بان يجعل هواه مستسلما
لعقله فقد قيل اعدل الناس من انصف عقله من هواه والثالث بينه
وبين اسلافه الماضين في انفاذ وصاياهم والدعا لهم والرابع بينه وبين
معامليه من ادا الحقوق والانصاف في المعاملات من المبايعات والمقارضات
والكرامات والخامس بينه النصفة بين الناس على سبيل الحكم وذلك الى الولاة
وخلفايهم وات الحكام العدل في الارض فثلثه حاكم من الله وهو
الكتاب المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والعامل
والامر به وهو كل والى عدل والناض المعتبر به واعلاه الانبيا ومعناه
بالفارسية دين اوره والناض من وجه حاكم ومن وجه كالة للحاكم
يعتبر اذا قيس عمل بعمل ولما كانت الشريعة مجمع العدالة ومنبعها صار
من امتنع من التزامها اظلم ظالم ولهذا قال عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولكون الكفر ظلما قال عز وجل
وننزل من القرآن ما هو شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فقابل المومن بالظالم

ع باب ما الحسن ترك العداله فيه

ترك العداله الى الظلم عدا مذموم فى جميع الاحوال والخارج منها الى الظلم
مستوجب بقدر خروجه عنها سخطا من الله عز وجل الا ان يتغمده بعفوه
واما الخارج منه الى الانظلام اي التزام الظلم فقد يحمد والانظلام
من حيث الكمية ثلثة اضرب انظلام فى المال وهو الاستخذال للظالم فى اخذ
ماله وانظلام فى الكرامة وهو الاستخذا فى نحس منزلته من التعظيم
وانظلام فى النفس وهو استخذال المرء لهله وكل واحد يكون محمودا ومذموما
ومن حيث الكيفية ضربان محمود ومذموم فالمحمود التغابن عن حقه فى
المال او فى الكرامة او فى النفس بقدر ما يحسن وهو المعبر عنه بالانخداع
والتغافل الذى قيل فيه العقل مكيال ثلثه فطنه وثلثا ٥
تغافل واياه قصد معوبة فى قوله من خدعك فلن خدعت له فقد خدعته
وقال الشاعر ممن يغر على الثنا فيخدع ٥ وذلك اذا كان فى النفس
فعفو واذا كان فى الكرامة فتواضع واما على الوجه المذموم ففى المال
غبن وفى الراى غبن وفى النفس والكرامة هوان ومذلة وقد تقدم
ان الافضال والاحسان اشرف من العداله اذا كان الحكم بينك وبين غيرك
واذا حكمت بين اثنين فليس الا العداله واما الاحسان الى المتحاكمين ٥
ولهذا قال تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وقال
تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
وقال لمن له الحق وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال يحيى بن معاذ

اصحبوا الناس بالفضل لا بالعدل فمع العدل الاستقصا ومع الفضل الاستيفا
واني لارجو ان لا يحاسب الله عباده بالعدل وقد امرهم ان يصاحب
بعضهم بعضا بالفضل وقد عظم الله امر الاحسان والافضال فقال للذين
احسنوا الحسنى وزياده وقال وهل يامر الحكيم ثم لا يفعله وكيف يترك
الكريم التفضل ويقتصر على العداله وقد بين ان التفضل افضل واكرم
تعالى الله عز ادنى المنزلتين وكيف لا يرجى تفضله وافعاله كلها عدل
وعدله كله تفضل لانه مبتدئ بما لا يلزمه والابتداء بما
يلزم تفضل وهل يجوز ان يترك التفضل انتهى وقد تحراه ابتداء

ما ترك الظلم

الظلم هو الانحراف عن العداله ولذلك حد بانه وضع الشئ فى غير
موضعه المخصوص به وقد تقدم ان العداله تجرى مجرى النقطة من الدايرة
فتجاوزها من جهة الافراط عدوان وطغيان واليه اشار بقوله عز وجل
قد ضلوا ضلالا بعيدا والانحراف عنها فى بعض جوانبها جور والظلم اعم
الاسما ولما كان الظلم ترك الحق الجارى مجرى النقطه من الدايرة صار
العدول عنها اما قريبا واما بعيدا فمن كان عنه ابعد كان رجوعه
اليه اصعب ولذلك قال عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
تنبيها ان الشيطان متى امعن بهم فى البعد عن الحق صعب عليهم حينيذ
الاهتدا ولاجل من جعلهم الشيطان كذلك قال تعالى اولئك ينادون
من مكان بعيد واما المستعمل معهم الظلم فخمسه وهم الذين يحب

استعمال العدالة معهم وقد تقدم ذكرهم الاول رب العزة الثاني قوي النفس
الثالث اسلاف الرجل الرابع معاملوه من الاحياء الخامس الناس اذا تولى انسان
الحكم بين بعضهم وبعضهم وقال بعض العلماء شر الناس من جار على نفسه
ثم من جار على ذويه ثم من جار على كافة الناس وافضلهم من عدل مع كافة
الناس ثم مع عشيرته ثم مع نفسه وهذا قول اورد بنظر عامي قال الظالم
لا يكون ظالما لغيره حتى يظلم اولا نفسه فانه في اول ما يهم بالظلم فقد ظلم
نفسه فاذا الظالم ابدا مبتدئ بنفسه في الظلم والعادل مع الناس اذا هم
بالعدل وتحراه فقد عدل مع نفسه قبل ان عدل مع غيره قال بعضهم
الظلمة ثلثه الظالم الاعظم وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله عز وجل
واياه قصد بقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والاوسط وهو الذي لا يلتزم حكم
السلطان والاصغر وهو الذي يتعطل عن المكاسب والاعمال فيأخذ
منافع الناس ولا يعطيهم منفعه ومن خرج عن تعاطي العدالة بالطبع
وبالحلق والتحلق والتصنع والرياء والرغبة والرهبة فقد انسلخ عن الانسانية
ومتى صار اهل الصقع كلهم على ذلك فتهارشت وتغالبت واكل قويهم ضعيفهم
ولم يبق فيهم اثر القبول فقد تقدم ان عادة الله في امثالهم افناؤهم واهلاكهم عن جرائمهم

ع باب الاسباب التي يحصل منها الاضرار

جميع ذلك اربعة اسباب الاول الشرارة كمن يضر بغيره مستلذا لفعله
وذلك اخس الوجوه الثاني الشهوة وهي ان يقصد ادراك شهوة ما فرأى لا يمكنه
تحصيلها الا بان يضر بغيره كعامة المتلصصه العابثين في الارض الثالث

المفسدة

الخطأ وهو ان لا يقصد الاضرار بمن ضره بوجه بل اقصد فعلا اخر فاتفق
منه ذلك كمن رمى قرطاسا فاصاب رجلا فهذا معذور من وجه والرابع
الشقاوة كمن يصيبه ريح فاوقعه على انسان فمات ذلك الانسان فهذا
معذور ومرحوم

باب ذكر المكر والخديعة والكيد والحيله

المكر والخديعة يتقاربان ومعناهما ان لكل فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف
ما يقتضيه ظاهره وذلك ضربان احدهما مذموم وهو الاشهر عند الناس
والاكثر وذلك ان يقصد فاعله انزال مكروه بالمخدوع واياه قصد النبي
عليه السلام المكر والخديعة في النار والمعنى يودي بقاصدهما الى النار
والثاني على عكس ذلك وهو ان يقصد فاعلهما الى استجرار المخدوع والمكور
به الى مصلحة لهما كما يفعل بالصبي اذا امتنع من فعل خير قال بعض الحكماء
المكر والخديعة محتاج اليهما في هذا العالم وذاك ان السفيه يميل الى
الباطل ولا يقبل الحق ولا يميل اليه لمنافاته لطبعه فيحتاج ان تخدع
عن باطله بزخارف موهمة خدعة الصبي عن الدرس عند الغطام
ولهذا قيل مخرقة فان الدنيا مخاريق وسفسطة فان الدنيا سوفسطائيه
وليس هذا حثا على تعاطي الخبث بل هو حث على جذب الناس الى الخير
بالاحتيال ولكون المكر والخديعة ضربين سيئا وحسنا قال الله عز وجل
والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور وقال فلما
جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر
السيئ الا باهله وقال الغافر الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض

المكر والخديعة في الشر والخير

في
تخصيص الايات السيئ من المكر تنبيها على جواز المكر الحسن ووصف
نفسه بالمكر الحسن فقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين واما الكبد
فارادة متضمنه لاستار ما يراد به لكن اكثر ما يستعمل ذلك في الشر و
متى قصد به شر فمذموم ومتى قصد به خير فمحمود وعلى الوجه المحمود
قال تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله
وعلى ذلك الاستدراج منه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
واملي لهم ان كيدي متين واستدراجه تعالى تعطيه السبيل على الانسان
وتمكينه منه ليطلبه بالآلات التي اعطاه وذلك تكليف له لما يقدر
عليه وان كان فيه مشقه وليتمكنه من ادراك ذلك قال الم نجعل له
عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فمن جاهد في سبيله واعمل
فكره حتى ظفر به سلكه على ما يجب وكما يجب سهل عليه الوصول
وكان ذلك منة منه ولطفا واحسانا ومن عطل معاونه من الفكرة
والبصر والسمع حتى اضل طريقته كان ذلك خذلانا وعذابا له وعلى نحو ما تقدم
وصف تعالى نفسه بالحيله او الممالحه في قوله وهو شديد المحال وهذه
الفاظ لولا ان الباري تعالى اطلقها في مواضع مخصوصة قاصدا بها معاني
صحيحة لما تجاسر بشر على الله تعالى لم يخطر فيه بباله فضلا ان يجريه
في مقاله وان قصد بها المعنى الصحيح تنزيها له وتعظيما فيجب ان يتلى في
القران حيثما ورد ولا يتعدى بها وقد ذكر المحققون ان كثيرا من الاوصاف
الشريفة كالرحيم والغفور والودود ما كان يتجاسر على الاطلاق عليه تعالى

لولا السمع الوارد لما في هذه الاسماء من معنى الكيفيه والكميه والانفعال
في وضع اللغة والله تعالى منزه عن ذلك كله وهذا فصل كبير نخص به عبر هذا
الكتاب

باب ماهيه المحبه وفضيلتها وانواعها

المحبة ميل النفس الى ما تراه او تظنه خيرا وذلك ضربان احدهما طبيعي
وذلك في الانسان وفي الحيوان وقيل قد يكون ذلك في الجمادات كالالفة
بين الحديد وجر المغناطيس والثاني اختياري وذلك يختص به الانسان
فاما ما يكون بين الحيوانين فالفه وهذا الثاني اربعة اضرب الاول للشهوة
واكثر ما يكون ذلك بين الاحداث والثاني للمنفعه ومن جنسه ما يكون
بين التجار واصحاب الصناعات المهنيه واهل المذاهب والثالث
مركب من الضربين كمن يحب اخر لنفع وذلك الاخر يحبه للشهوه والرابع للفضيله
كمحبة المتعلم للعالم وهذه المحبة باقية على مر الاوقات وهي المستثناة
بقوله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاما الضروب
الاخر فقد تطول مدتها وتقصر بحسب طول اسبابها وقصرها والصداقه
اخص من المحبة وقلما تقع بين جماعة ولا تستعمل الا في الحيوان واما
العشق فمحبة بافراط وذلك اما لحسب اللذة فيكون مذموما واما لحسب الفضيله
فيكون محمودا ولا يكون للنفع فان النافع يراد لغيره والفضيله واللذة يرادان
لانفسهما

باب فضيله المحبه

احد اسباب نظام امور الناس المحبة ثم العدالة فلو تحاب الناس وتعاملوا
بالمحبة لاستغنوا عن العدالة فقد قيل العدالة خليفة المحبة تستعمل

حيث لا توجد المحبة ولذلك عظم الله تعالى المنة بايقاع المحبة
بين اهل الملة فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا اي محبة في القلوب تنبيها ان ذلك اجلب للعقايد وهو افضل
من المهابة فان المهابة تنفر والمحبة تولف وقيل طاعة المحبة خير
من طاعة الهيبة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة
من خارج يزول بزوال سببه وكل قوم اذا تحابوا تواصلوا واذا تواصلوا
تعاونوا واذا تعاونوا عملوا واذا عملوا عمروا واذا عمروا عمروا والفضل
وقوع المحبة شرعا شرع الله تعالى اجتماع اهل الملة الواحدة في مساجدهم
خمس مرات لاقامة صلواتهم واجتماع اهل البلد كل اسبوع مرة في الجامع
واجتماع اهل المدينة والسواد كل سنة مرتين في الجبانة واجتماع
اهل البلدان النائية في العمر مرة بمكة كل ذلك ليتاكد اجتماعهم الانس
وليقع بسببه الودع

باب فضيلة الصداقة

الصديق محتاج اليه في كل حال اما عند سوء الحال فليعاونه واما عند حسن
الحال فليوانسه وليضع معروفه عندهم ومن ظن انه يمكنه الاستغناء عن
صديق فيغرر ومن ظن ان وجوده سهل فمفقوده ولكثرة نفعه سئل حكيم عن
الصديق فقال هو الاخر بالشخص الا انه انت بالنفس ولعز وجوده سيل اخر
عنه فقال هو اسم على غير معنى وحيوان غير موجود فمن وجد اخوانا
ذوي ثقة وجدهم عيونا ولذانا وقلوبا كلها له فيرى الغايب بصوره الشاهد

والاختيار من تركن اليه لتصادفه صعب اذ قد تشبع لك الناقص فتظنه
فاضلا فتكون كمن يحسب الشحم فيمن شحمه ورم

باب ذكر المحبب في الناس

من حببه الله تعالى الى الناس فقد انعم عليه نعمة وسعة كما ان من بغضه
اليهم فقد جعل له نقمة فظيعة والسبب فيمن يكون محببا ان من رعاه
الله صفى جوهره وطاب روحه وحسن عمله حصل له نور يسري في
مشاعر من يراه فيحبه واياه قصد تعالى بقوله لموسى عليه السلام والقيت
عليك محبة مني وقال صلى الله عليه اذا احب الله عبدا القى محبته في
الما فلا يشربه احد عبدا الا احبه واذا القى بغضه في الما فلا يشربه احد
الا بغضه ولما القى الله بيننا محمد صلى الله عليه من المحبة قل ما كان بينه
من بغضه فيهم بقتله الا اذا راه وقلب في افاق وجهه طرفه والقى
الى كلامه سمعه اعجب به فارقه على جميل

باب الحث على مصاحبة الاخيار وتجنب الاشرار

حق الانسان ان يتحرى بغاية جهده مصاحبة الاخيار وتجنب الاشرار
فان مصاحبته قد تجعل الشر برا خيرا كما ان مصاحبة الاشرار قد تجعل الخير
شرا قال بعض الحكما من صحب خيرا اصابته بركته فجليس اولياء الله لا يشقى
وان كان كلبا كما كلب اصحاب الكهف حيث قال عز وجل وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
ولهذا اوصت الحكما بمنع الاحداث عن مجالسة السفها وقال امير المومنين
رضي الله عنه لا تستصحب الفاجر فيزين لك فعله ويود لو انك مثله وقيل

جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويزيد في خيركم نطقه وقالوا اياكم ومجالسة
الاشرار فان طبعك يسرق من طبعه وانت لا تدري بل قد قال النبي عليه السلم
مثل الجليس الصالح كالدارئ الا يحذيك من عطره يعلقك من ريحه
ومثل الجليس السوء كمثل القين الا يحرقك بشرره يؤذيك بدخانه وقال
عليه السلم المرء على دين خليله فلينظر امرؤ من يخالل اى يجذبه خليله
الى دينه ومن قوة هذا المعنى في النفوس شاع على الالسنة قول الشاعر
عن المرء لا تسئل وابصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدي وليس اعدا
الجليس جليسه خلقه كماله وفعاله فقط بل بالنظر اليه والنظر الى
الصور يؤثر في النفوس اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه فان من دام
نظره الى مسرور سر والى محزون حزن وليس ذلك في الانسان فقط بل في الحيوانات
والنبات فالجمل الصعب قد يصير ذلولا بمقارنة الجمال الذلل والذلول قد ينقلب
صعبا بمقارنة الصعاب والريحانة الغضة تذبل بمجاورة الذابلة ولهذا يلقط
اصحاب الفلاحة الرمم عن الزرع ليلا تفسدها ومعروف ان الماء والهواء يفسدان
بمجاورة الجيفة اذا قربت منها وذلك مما لا ينكره ذو تجربة واذا كانت هذه
الاشياء قد بلغت في قبول التاثير هذا المبلغ فما الظن بالنفوس البشرية
التي موضوعها لقبول صور الاشياء خيرها وشرها فقد سمي الانس لانه
يانس بما يراه ان خيرا وان شرا وللانسان في المعاشرة ثلثة احوال اما ان يكون شكسا
اى قاسي الطبع او خلقا اى سلس الطبع او مساعدا اى تاركا للخلاف على مقتضى
العقل وهو المحمود وحق الانسان في المعاشرة ان يتقوى من جهة الفكرة بالمطايبه

في الكلام ومن جهة الغضب بالحلم ومن جهة الشهوة بالجود وان يتحرى من اضداد ذلك
وان يحامل المعاشرين والمعاديين والمتشبهين بالاخوان ويصابرهم ويكاشرهم
طمعا في رجوعهم اخوانا واتقاء من شرورهم حتى يكون ظريفا فالظرف عبارة عن
استجماع آلة العشرة من الطلاقة والاحتمال ولين الجانب ع

باب فضيلة التفرد عن الناس وذم بلتهم

قد كثر اختلاف الناس في مفاضلة التفرد والاختلاط فبعضهم اثر التفرد عن الناس
وبعضهم الاختلاط بهم واورد كل فريق منهم في ذلك اخبارا وذلك بسبب
اختلاف نظرهما وابتلاء احدهما بصاحبة من لم يحمد مصاحبته ومصاحبة
الاخر من حمد مصاحبته والاصل ان اجتماع الناس بعضهم مع بعض امر ضروري اللهم
لتعلق امور بعضهم ببعض ولهذا لما سمع عمر رضي الله عنه رجلا يقول اغنى من
الناس قال يا رجل اراك تسأل الموت قل اللهم اغنني عن شرار الناس فالناس
لا يستغني بعضهم عن بعض ما كانوا احيا ثم في المعاشرة فالتفرد عن الاخيار
الذين يفيدونك ويعينونك ولا يؤذونك مكروه سيما مالم تتدرب في الفضل
ولم تستغن عن اقتباس العلم واما عن الاذناب الذين تتدنس بصاحبتهم فمحمود
وقيل التفرد مكروه الا لثلثة سلطان لا تتم تدبير المملكة وحكيم لاستنباط
الحكمة ومتنسك لمناجاة رب العزة قال التفرد يبطل الانسانية ولا يظهر من
صاحبه فضيله ومن ظن بالتفرد خيرا فالاجل ان ليس يظهر منه شر وهذا يشاركه
فيه الموتى وفضيلة الانسان ان يكون خيرا لا ان يكون شريرا وان كان زمانا كما
قيل انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال

فحق العاقل الفاضل ان يجتمع مع العامة فى ظواهر احكام الشرع واقامة
وظايف العبادات وانالتهم من الفضيله بقدر الوسع ويترفع عن منزلتهم فى
المعارف والاخلاق فقيل المروة التامة مباينة العامة بل قيل من استانس
بالناس استوحش من الناس وذلك لمخالفته اياهم فى الخلق والنهى عن الاقتداء بكثير
منهم والركون اليهم سيما من ليس قصده الاخرة وطلب الحق قال الله عز وجل
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين

باب العداوه

العدو هو الذى يجرى لاقتبال الاخر وبضاده فيما يودى اليه مصالحه ومنه
تعدى فلان ومعناه فعل فعل العدو وهو من قولهم مكان ذو عدوا اى متنائى
الاجزاء اى لمن حله والعداوة ضربان باطن لا يدرك ذاته بالحاسة وظاهر
يدرك بالحاسة فالباطن انسان احدهما الشيطان وهو اصل كل عدو
يعادى معاداة جوهرية وقد حذرنا الله تعالى منه غاية التحذير فقال
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا
تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين اى لا تنقادوا له وقال ان هذا عدو
لك ولزوجك وقال ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين والثانى
الهوى المعبر عنه بالنفس فى قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقول
النبى عليه السلم اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وكذا الغضب اذا كان

الاضداد الجملة والمراد حكم الظاهر قال عليه السلم
والمراد الاصغر والاخلاق
بالسواد الاعظم والتنزه عن منزلتهم فى المعارف

فوق ما يجب ولكون هذه القوة فى الانسان اذا اشتدت طريقا للشيطان
فى وصوله اليها وكونها كالخليفة له سماه النبى عليه السلام باسمه فقال
الهوى شيطان والغضب شيطان وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلم
هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين واما الظاهر من العداوة
فالانسان وذلك ضربان ضرب هو عدو مضطغن للعداوة قاصد الى
الاضرار اما مجاهرة واما مسارة وذلك اثنان واحد يعادى كل احد
وهو انسان سبعى الطبع حيث الطينه مبغض لكل من لا يحتاج اليه فى
العاجل يغيض الى كل نفس بهارش كل من لا يخافه كما قال الشاعر
يسطو بلا سبب وذاك طبيعة الكلب العقور ومثله هو الذى عنى
تعالى بشياطين الانس والثانى عدو خاص العداوة وذلك اما بسبب
الفضيلة والرذيلة كمعاداة الجاهل العاقل واما بسبب نفع دنيوى كالتجاذب
فى رياسة ومال وجاه واما بسبب لحمة او مجاورة موروثة للحسد كمعاداة
بنى الاعمام بعضهم بعضا وذلك فى كثير من الناس كالطبيعى وقال رجل لاخر انى
احبك فقال قد علمت ذلك قال له فمن اين علمت فقال لانك لست لى بشريك
ولا لى بنسيب ولا بجار قريب واكثر المعاداة بين الناس يتولد بشئ من ذلك
والضرب الثانى عدو مضطغن للعداوة لكن ودى حاله بالانسان الى ان
يقع بسببه فى مثل ما يقع من كيد عدوه منتهى عدوا لذلك الاولاد والازواج
وعلى ذلك قال عز وجل ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله
عليه لعين عدوك الذى ان قتلته اجرك الله فى قتله وان قتلك ادخلك الجنة

ولكن اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك واولادك
الذين من صلبك وجعل عليه السلام هؤلاء اعدا الانسان لما كانوا سببا
لاهلاكه الاخروي لما يرتكبه من المعاصي لاجلهم فيودي به الى هلاك
الابد الذي هو شر من اهلاك المعادي المناصب اياه واعلم انه لكون
بعض الناس مشاركا للشيطان في المعاداة سمى الله تعالى الاعدا في
قوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقد
سمى كل ما يؤذي به شيطانا حتى قال الشاعر

ما ليلة الفقير الا شيطان مجنونة تؤذي بروح الانسان

والفقير هو اسم البئر فجعل ليلة ورودها شيطانا لتأذيه بها

الفصل السادس
فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب بالانفاق والجود والبخل

باب حاجة الناس بعضهم الى بعض للتظاهر

اعلم انه لما صعب على كل احد ان يحصل لنفسه اذى ما يحتاج اليه
الا بمعاونة عدة له فلقمة طعام لو عددنا تعب محصليها من الزرع
والطحن والخبز وصناع الآتها لصعب حصره فلذلك احتاج الناس ان

يجتمعوا فرقة فرقة فيتظاهروا ولاجل ذلك قيل الانسان
مدني بالطبع اي لا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم
الى بعض في مصالح الدين والدنيا وعلى ذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا وقوله مثل المؤمنين في توادهم
وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا الم بعضه تداعى سائره وقيل
الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا
اختل

باب تسخير الله تعالى الناس للصناعات المختلفة

وعناية كل واحد بما يحتاجه لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله تعالى
كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها وجعل بين طبايعهم وصنايعهم
مناسبات خفية واتفاقات سماوية ليثور الواحد بعد الواحد حرفة من
الحرف فينشرح صدره بما ابتنها وتطيعه قواه بمزاولتها فاذا جعل اليه
صناعة اخرى فربما وجد متسلطا فيها ومتبرما بها وقد سخرهم الله لذلك
ليلا يختاروا باجمعهم صناعة واحدة فتبطل الاقوات والمعاون
ولولا ذلك لما اختاروا من الاسما الا احسنها ومن البلاد الا اطيبها ومن
الصناعات الا انظفها ومن الاعمال الا ارفعها ولتنافسوا على ذلك
ولكن الله تعالى بحكمته جعل كلا منهم في ذلك مجبرا في صورة مخير
فالناس امارا ض بصنعته لا يريد عنها حولا كالحايك الذي يرضى بصناعته
ويعيب الحجام والحجام الذي يرضى بصناعته ويعيب الحايك وبهذا انتظم
امورهم كما قال تعالى وتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون

ولما كان لها يكابد هامع كل اهبته اياها كانه لا يجد عنها بدا وعلى هذا دل
قول النبي عليه السلام كل ميسر لما خلق له بل صرح تعالى بذلك في قوله
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
الايه وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وقوله كل يعمل على
شاكلته ولهذا قال عليه السلم لن يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا
هلكوا فالتباين والتفرق والاختلاف في نحو هذا الوضع سبب الالتيام
والاجتماع والاتفاق كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتفرقها التي لولاها
لما حصل لها نظام فسبحان الله ما احسن ما صنع واحكم ما اسس واتقن ما دبر
ولهذا قيل من حق ما قيض له صناعة مباحة فرزق منها ان يراعيها على
ما يجب وكما يجب وعليه دل النبي عليه السلم من رزق من شيء فليلزمه

باب كون الفقر وخوفه سببا لنظام الناس

حصول الفقر وخوفه ناجان للحرص الباعثان على الجد واحتمال الكد في منفعة
الناس اما باختيار واما باضطرار ولهذا قيل رب ساع لقاعد وهو ان
الناس لو كفي كل واحد امره لادى ذلك الى فساد العالم من حيث انه لم يكن
احد يتولى لغيره مهنة وكان الواحد منهم يعجز عن القيام بمصالح نفسه كلها
فيودي ذلك الى فقر جميعهم وقد قيل قيام العالم بالفقر اكثر من قيامه بالغنى
لان الصناعات القايمة بالغنى ثلث الملك والتجارة والسياسة وسايرها قائمة
بالفقر فلو لم يكن الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحياكة والحجامة والدباغة
والكناسة ومن كان ينقل العبر والملابس من الشرق الى الغرب ومن الجنوب

الى الشمال وعلى منفعة الفقر نبه قوله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا الايه وقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون هذا مع ان من
الناس من لو كفي امر دنياه لكان يوجد منه من البغي والتسلط ما يودي الى
خراب البلاد وفساد العباد بل كان يوجد منه ما يودي الى هلاك نفسه
في اسرع مدة وعلى ذلك دل قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض ومن تدبر صنع الله في ذلك وتامل ما اشار اليه هذه الايات
التي ذكرها لم تعرض له الشبهة التي تعرض لمن يقول اذا كان الله غنيا
جوادا واسعا فلم خص بعضهم بالغنى وجعل اكثرهم فقرا ومن حق الغنى
الذي لا يفنى غناه والجواد الذي لا يعرف لجوده منتهى الا يخص بالعطية
بعضا دون بعض وذلك ان الجواد الحق هو الذي يعطي كل احد بقدر استيهاله
على وجه يعود بمصلحته ومصلحة غيره وقد فعل ذلك بالعباد

باب مناسبة بذل الانسان بصناعته

ان الله تعالى فرق هم الناس للصناعات المتفاوتة وتيسر كلا لما خلق له
وجعل الآلات الفكرية والبدنية مستعدة لها فجعل لمن قيضه لمراعاة
العلم والمحافظة على الدين قلوبا صافية وعقولا بالمعارف لايقة وامزجة
لطيفة وابدانا ليّنة مستصلحة ومن قيضه لمراعاة المهن الدنيوية
والمحافظة عليها كالزراعة والبناء جعل لهم قلوبا قاسية وعقولا كزة
وامزجة غليظة وابدانا خشنة وكما انه محال ان يصلح السمع للرؤية

والبصر للسمع كذلك محال ان يكون من خلق للمهنه يصلح للحكمة وقد جعل
الله تعالى كل جنس من الفريقين رفيعا ووضيعا فالرفيع من تحري
الحذق في صناعته واقبل على عمله وطلب مرضاة ربه بقدر وسعه
وادى الامانه بقدر جهده ولم يشتغل عن عبادة الله تعالى كما قال رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال عليه السلم ان الله يحب الصانع
الحاذق ومدح الملائكة بوقوفهم حيث ما وقفوا واحكامهم لما ولوا فقال
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ع

باب وجوه التكسب

التكسب في الدنيا وان كان معدودا من المباحات عن وجه فانها من الواجبات
من وجه وذلك انه اذا لم يكن للانسان استقلال بالعبادة الا بازالة ضروريات
حياته وازالتها واجبه لان كل ما يتم الواجب به فواجب كوجوبه واذا لم يكن
له الى ازالة ضروريته سبيل الا باخذ نصيب من الناس ولا بد اذا ان يعوضهم
تعبا له والا كان ظالما فمن توسع في تناول عمل غيره في ماكله وملبسه و
مسكنه وغير ذلك فلا بد له ان يعمل لهم عملا بقدر ما يتناوله منهم والا كان
ظالما لهم قصدوا افادته اولم يقصدوها فمن رضي بقليل من عملهم فلم
يتناول من دنياهم الا قليلا لا يرضى منهم بقليل عمل ولهذا قال عليه السلم
من رضي بقليل الرزق رضي الله منه بقليل العمل ومن اخذ منهم المنافع
ولم يعطهم نفعا فانه لم يأتمر الله في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولم يدخل في عموم قوله والمحسنون والمومنات
والمومنون

بعضهم اولياء بعض ولهذا ذم من يدعي التصوف فيتعطل عن المكاسب لا يكون
له علم يرجع اليه ولا عمل صالح في الدين يقتدى به بل يجعل همه عمارة
بطنه وفرجه فانه يأخذ منافع الناس ويضيق عليهم معاشهم ولا يرد اليهم نفعا
فلا طايل في مثلهم الا ان يكدوا الما ويغلوا الاسعار ولهذا الشان كان عمر
رضي الله عنه اذا نظر الى ذي سبط سأل الله حرفه فاذا قيل لا سقط من
عينه واستحسن النبي صلى الله عليه من وفد عبد قيس لما سألهم فقال
ما المروة فقال العفة والحرفة ومن الدلالة على قبح فعل من هذا ضيعه
ان الله تعالى ذم من يأكل مال نفسه اسرافا وبدارا فما حال من اكل مال غيره على
ذلك ثم لا يفيلهم عوضا ولا يرد عليهم بدلا فحق كل مضطر الى كسب ان يقتصر
على ما يسد فقره وقته ولا يحمل هم غده على يومه فمن ينفق الساعات
في جمع ماله مخافة فقرها الذي فعل الفقر ومن اقتصر على قدر ذلك فقد صار
من المتوكلين الذين عناهم النبي صلى الله عليه بقوله لو توكلتم على الله حق التوكل
توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ع

باب مدح السعي وذم الكسل

من تعطل وتبطل خرج عن الانسانية بل عن الحيوانية وصار من جنس الموتى
وذلك انه خص الانسان بالقوى الثلاث ليسعى في فضيلتها فان فضيلة القوة
الشهوية ليسعى في فضيلتها فان تطالبه بالمكاسب التي تحميه وفضيلة
القوة الغضبية تطالبه بالمجاهدات التي تحميه وفضيلة القوة الفكرية
تطالبه بالعلوم التي تهديه فحقه ان يتامل قوته وبصيرته ما يطيقه

فيسبب بحسبه لما يفيده السعادة وتحقق ان اضطرابه سبب وصوله من
الذل الى العز ومن الفقر الى الغنى ومن الضعه الى الرفعة ومن الخمول الى
الشهرة وان من تعود الكسل ومال الى الراحة فقد الراحة
فحب الهوينا يكسب النصبا • وقد قيل ان اردت ان لا تتعب فاتعب
ليلا تتعب وقيل اياك والكسل والضجر فانك ان كسلت لم تود حقا وان ضجرت
لم تصبر على حق وقال الشاعر

ان التواني انخ العجز بنته وساق اليها حين انكحها مهرا •
فراشا وطيا ثم قال لها تكي فقصركما لا شك ان تلدا فقرا •

وقال يزيد بن المهلب ما يسرني اني كفيت امر الدنيا كله ليلا انعود العجز
ولان الفراغ يبطل الهيئات الانسانيه فكل هيئة بل كل عضو ترك استعماله
يبطل كالعين اذا غمضت واليد اذا عطلت ولذلك وضعت الرياضات
في كل شئ • ولما جعل الله تعالى للحيوان قوة التحرك لم يجعل له رزقا الا بسعي
ما منه وليلا يتعطل فايدة ما جعل له من قوة التحرك ولما جعل للانسان
الفكرة ترك من كل نعمه انعمها تعالى عليه جانبا يصلحه بفكره ليلا
يتعطل فايدة الفكرة فيكون وجودها عبثا وتامل حال مريم عليها
السلام وقد جعل لها من الرطب الجني ما كفاها مؤنة الطلب وفيه
اعظم معجزة فانه لم يخلها من ان امرها بهزها فقال وهزي اليك بجذع
النخله تساقط عليك رطبا جنيا وكما ان البدن تعود الرفاهيه
يكسل كذلك النفس بترك الفكر والنظر تتبلد وتقبله وترجع الى رتبة

البهايم فحق الانسان ان لا يذهب عامة اوقاته الا في اصلاح امر دينه
او اصلاح امر دنياه متوصلا به الى اصلاح امر اخرته مراعيا لما قال الحجاج
ان امرا اتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه او يستغفر من ذنبه
او يفكر في معاده لجدير ان تطول حسرته يوم القيامه واذا تامل قول
النبي عليه السلام سارعوا تغنموا ونظرت اليه نظرا عاليا علمت انه حثك
على التحرك الذي يمرك الجنة الماوى ومصاحبة الملا الاعلى بل مجاورة الله تعالى
وذلك يحتاج الى اربعة اشيا معرفة المقصود المشار اليه بقوله قل هذه
سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة وتحصيل الزاد المبلغ به المشار اليه بقوله
وتزودوا فان خير الزاد التقوى والمجاهدة في الوصول اليه كما قال و
جاهدوا في الله حق جهاده فبهذه الاشيا يامن الغرور الذي يخوفه الله
منه في قوله ولا يغرنكم بالله الغرور وهذه من المعالي التي دونها هول
العوالي وهضيرا لمن رامها ان يتدرع الصبر فقد اصاب من قال هو

فقل لمرجي معالي الامور بغير اجتهاد رجوت المحالا •

باب تقاسيم الصناعات ومراتبها وفضيله بعضها على بعض

الصناعات ثلثه اضرب اما اصول لاقوام للعالم دونها وهي اربعة اشيا
الزراعة والحياكة والتنايه والسياسه واما مرشحة لكل واحد من ذلك
وخادمه كالحداده للزراعه والحلاجة والغزالة للحياكة واما مثمرة
لكل واحد من ذلك ومن بتبعه له كالطحانه والخبازه للزراعة وكالقصاره
والخياطة للحياكة ومثل ذلك بالاضافة الى العالم مثل اجزا الشخص الى الشخص

سوآ فانها على ثلثه اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما
مرشحة لتلك الاصول وخادمة كالمعدة والعروق والشرايين واما
مكملة لها ومزينة كاليد والحاجب واشرف اصول الصناعات السياسة
وهى اربعة اضرب الاول سياسة الانبيا عليهم السلم وحكمهم على ظاهر
الخاصة والعامة دون باطنهم ظاهرهم وباطنهم والثانى الولاة وحكمهم
على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والثالث الحكما وحكمهم على
باطن الخواص والرابع الوعظة والفقها وحكمهم على بواطن العامة
واشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب الناس
به وبيان ذلك ان شرف الصناعة يتبين من اوجه اما بحسب النسبة الى
القوة المبرزة لها كفضل معرفة الحكمة على معرفة اللغات فان الاولى
متعلقة بالقوة العقلية وهذه متعلقة بالقوة الحسية و
العقل اشرف من الحس واما بحسب عموم النفع كفضل الزراعة على
الصياغة واما بحسب شرف الموضوع المعمول فيه كشرف الصياغة
على الدباغة وقد علم ان الحكمة تدرك بالقوة المفكرة وهو اشرف
قوة وانه يتوصل به الى جنة المأوى وذلك ابلغ نفع وموضوعه الذى تعمل
فيه نفوس البشر وهى افضل موضوع يعمل فيه بل موجود فى هذا العلم
وافاده العلم من وجه صناعة ومن وجه عبادة ومن وجه اجل خلافة
لله فان الله تعالى مع استخلافه قد فتح على قلبه العلم الذى هو اخص
صفاته تعالى فهو خازن لاجل خزانيه وقد اذن له فى الانفاق على كل احد

ممن لا يفوته الانفاق عليه وكلما كان النفاق اكثر على ما يحب
وكما يحب كان جاهه عند مستخلفه اوفر

باب فى ان اصول الصناعات ماخوذة من الوحى

اصول الصناعات والمكاسب ماخوذة عن وحى وذلك ان نقص الانسان
وحاجة بعضهم الى بعض ظاهر والناقص محتاج الى الكامل فلا خلوا اما
ان يتصور اخذ واحد عن واحد بلا غاية وذلك ايجاب ما لا نهاية له
وهو محال واما ان ينتهى الى واحد من البشر علمه الله الصناعات
اما بسماع من الملأ الاعلى او بالهام او منام وهذا هو الحق فمعلوم لذى
اللب ان قوى العقاقير وطبايع الحيوانات مما لا يمكن ادراك خواصها
بافهام البشر وتجربتهم ورؤسا كل صناعة يقرون بذلك فاهل النجوم
يقولون مبادى النجوم من هرمس ويقولون هو الذى عرج بروحه الى السما
واطلع على ذلك وهرمس قبل ادريس عليه السلم وكذلك اصحاب الطب
يدعون مثل ذلك فى معرفة الادوية ثم اختصاص كل واحد من الموجودات
بفعل له على حدته وانحسار العقل عن توهم ما هو اصلح لذلك الفعل
منه تحقق انه صدر عن حكمة الهية

باب فى شان الناض المتعامل به وبيان حكمة الله فيه

اعلم ان الناض احد اسباب ما به قوام الحيوة الدنيوية ومتى توهمناه مرتفعا
تعسر على الناس تزجية معاشهم وقد تقدم ان الناس يحتاج بعضهم
الى بعض ولا يمكنهم التعايش ما لم يتظاهروا ويتولى كل واحد منهم عملا

ادريس

يصير به معينا للآخر مواسيا له ولما كان كل من واسى غيره فمن حقه
ان يقابل بقدر مواساته لكن ربما لا يحضر صاحبه ما يرده هو فقبض
الله تعالى هذا الناض علامة منه جل ثناؤه ليدفعه الانسان
الى من يوليه نفعا فيحمله الى من عنده مبتغاه فياخذ منه بقدر عمله
ثم اذا جاء ذلك الآخر بتلك العلامة او مثلها الى الاول وطلب منه
مبتغى هو عنده دفعه اليه لينتظم امرهم ولهذا قيل الدرهم حاكم
صامت وعدل ساكت وخاتم من الله نافذ وقيل لهذا المعنى سمي
في لغة الفرس الدينار دين آر اى الدين اتى به والدين فارسية معربة
ولما كان ذلك حسا كما عظم الله تعالى وعيد من احتبسه ومنع الناس
عن التعامل به فقال الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وذلك انه يصير باحتباسه اياهما
كمن احتبس حاكمين للناس بهما يتمشى امور معاشهم ولذلك قال عليه السلم
للذي شرب في آنية الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم لان اتخاذه
الفضة او الذهب يودي الى منع الناس عن تصريفه في معاملاتهم وتضييقه
عليهم في مكاسبهم

باب مدح المال وذمه

المال اذا اعتبر بكونه احد اسباب قوام الحيوة الدنيوية فهو عظيم
الفضل الخطر كما تقدم واذا اعتبر بسائر القنيات فهو صغير
الخطر اذ هو اخس القنيات فالقنيات ثلاث نفسية وبدنية
وخارجة والخارجة ادونها وادون الخارجات الناض لانه خادم

غير مخدوم وسائر القنيات خادم من وجه ومخدوم من وجه لان
النفس تخدمها البدن والبدن تخدمها المآكل والملبس وهما تخدمان
تخدمها المال فالمال من حقه ان يكون خادما لغيره من القنيات وان لا
يكون شيء من القنيات خادما له وان كان كثير من الناس لجهلهم يجعلون
جاههم وابدانهم ونفوسهم خدما للمال وعبيدا وهم الذين ذمهم النبي صلى الله
عليه بقوله تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس ولا انتعش واذا شيك
فلا انتقش ولعظم موقع المال عند من لم يتجاوز المحسوسات قال حكاية عن بعض
انبيائه فيما خاطب به امته استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما
عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ولعظم منافعه في امور الدنيوية قال
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما ونبه على حقارة قدره
بالاضافة الى الاحوال الاخر فقال لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وخوف من اعجب باقتنائه فقال
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين فسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
وقال ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا الآية
فحق الانسان ان يعد المقتنيات الدنيوية الآت موضوعة في خان سفر
يصلح للانتفاع به ما دام نازلا في ذلك الخان فيتناول منه مقدار البلغة
ويتسلى عنها عند الرحلة ويستهجن لنفسه ان يكذب ويغضب ويحزن
ويجبن ويرتكب القبائح في سببها واعلم ان الناض الذي هو العين والورق
حجر جعله الله عز وجل سببا للتعامل به كما تقدم انفا وخادم

كما ذكرناه فتصبح لحر المتوشح لنيل الفضايل والاقتدا بالبار جل
ثناوه والوصول الى الغنى الاكبر ان يتهافت على المال باكثر مما تحتاج اليه
ويجعل نفسه اقل رقيق له واخسه فرق ذوى الاطماع رق مخلد
ويكون معتكفا منه على حجر بعبده كما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم
واذكر ان ابرهيم عليه السلام لما سال الله تعالى فقال واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام لم يرد الا ان يحرسه وذريته عن الاعراض الدنيوية الصادفه عن
الله فمثله واولاده عليهم السلام ينزه عن ان يشفق من اعتقاده في حجر انه
صانعه ويستحق عبادته وقد قال في موضع اخر اشارة الى ما يعم هذا المعنى
وغيره يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا وقال بعض
الحكما مثل الانسان في شغفه بهذا الحجر بل بسايز الاعراض الدنيوية
كراكب في سفينه الى افضل بلد فانتهى بهم المركب الى جزيرة ذات اسود واساود
فامروا بالخروج والتهيو للطهارة وان يكونوا على حذر فراوا حجرا من برجا
وزهرا منورا فاعجبهم ذلك وشغفوا بها فتباعدوا عن المركب ونسوا مقصودهم
ومركبهم فبقوا الاهبين حتى سارت السفينة فتارت عليهم الاسود وتفرسهم و
الاساود وتنهسهم فلم يغن عنهم حجرهم وزهرهم فصاروا كما قال تعالى عمن هذه
حاله ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه

باب ذكر المال والادب في اقتنايه والوجوه التي منها يحصل

قد تقدم ان المال من الخيرات المتوسطه لانه كما قد يكون سببا للخير فقد يكون
سببا للشر لكن لما كان في اكثر الاحوال موجبا كرامة اصحابه وتعظيم اربابه حتى

صدق الشاعر في قوله

الناس اعداء الكل مدفع صعر البدين واحوة للمكثر

وحتى قيل رايت ذا المال مهيبا وقال عليه السلم نعم المال الصالح
للرجل الصالح واستصوب قول طلحة رضي الله عنه في دعايه اللهم ارزقني مجدا
ومالا فلا يصلح المجد الا بالمال ولا يصلح المال الا لاعانة المجد ونظر المتنبي
هذا النظر حيث قال فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وقال بعض الحكما اطلب العلم والمال نحوا لرياسه فالناس خاص وعام فالخاص
يفضلك بالحسن والعام بما تملك والكسب من الوجه الذي ينبغي صعب وتفريقه
سهل كما قال الشاعر له مصعد صعب ومنحدر سهل ومن رام الكسب
من وجهه صعب عليه فالمكاسب الجميله قليلة عند الحر العاقل ومن رضي
بكسبه من حيث ما اتفق فقد يسهل عليه والفاضل ينقبض عن اقتنا المال
ويسترسل في انفاقه ولا يريده لذاته بل لاكتساب المحمدة به ولا يجتمع عنده
المال مستاخرا لكن كما قال

لا يالف الدرهم المضروب صرته لكن يمر عليها وهو منطلق

انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت الى الطرق المعروف تستبق

وغير الفاضل يسترسل في اقتنايه وينقبض في انفاقه ويطلبه لذاته لا لاظهار
الفضيلة به والمال يحصل من وجهين احدهما بسبب منسوب الى الجد
المحض والبخت الصرف من غير اكتساب من صاحبه كمن ورث مالا
او وجد كنزا او وقيض له من اولاه شيا والثاني ان يكتسب الانسان

كمن اشتغل بتجارة او صناعة فيدخر منها مالا وهذا الضرب ايضا
لا يستغني فيه عن الجد ولهذا قال علي ان اسعى وليس علي
ادراك النجاح وحفظ الجد اكثر من حظ الكد بخلاف الاخلاق
والاعمال الاخروية التي حظ الكد فيها اكثر وقد نبه الله تعالى على ذلك
بقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم
يصليها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك
كان سعيهم مشكورا فاشترط في العاجلة مشيئته للمعطى واولا فه
للمعطى له ولم يشترط السعي واشترط في الاخرة السعي لها مع الايمان
ولم يشترط ارادته تعالى ومشيئته وان كان ذلك لا يتعرى منها فحق العاقل
ان يعنى بما اذا طلبه ناله واذا ناله لم يخف زواله ويقلل المبالاة بان
قدر له اتاه طلبه او لم يطلبه وقال بعض الحكماء ان البخت بمنزلة امراة
فصماء عمياء ورهان في جرة جواهر وهي قاعدة على حجر مدور يتبعها ناس كثير
يلتمسون ما عندها وهي لا تسمع قولا ولا ترى وجها وقد اعتزل عنها
قوم قليلو العدد قعدوا حجرة وفي كل ساعة تولي قبضة مما في حجرها
واحد من القوم لا تخص بتاعها بل ربما تخطيهم ورب احباهم كانها المعنية
بقول الشاعر لا تمدحن حسنا في الجد ان مطرت كفاه جودا ولا تذممه ان زرما

فليس يخلو بقاء على نشب ولن يجود بفضل المال معتزما
لكنه خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

وتارة تعرج على من اعطته فتسلبه سلبا وتدوسه بحجرها دوسا واما

الفضايل الاخروية فكما قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا
اعطيته كلك فانت من اعطايه اياك بعضه على خطر وقد قال تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى ﴿

باب سبب اخفاء العاقل وانجاح الجاهل

الحكمة تقتضي ان يكون العاقل الحليم في اكثر الاحوال مقلا وذلك انه لا ياخذ
المال الا كما يجب من الوجه الذي يجب وفي الوقت الذي يجب ثم اذا اخذه
وتناوله لم يدخره عن مكرمة تعن له والجاهل يسهل عليه الجمع من حيث
لا يبالي فيما يتناوله بارتكاب محظور واستباحة محجور واستمالة الناس
عما في ايديهم بالمكر ومساعدتهم على ارتكاب الشر طمعا في نفعهم وكثيرا ما يرى
من هم من جملة الموصوفين بقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا
وما له في الاخرة من خلاق شاكين لبختهم فبعضهم يغضب على الفلك
وبعضهم يعتب على القدر وبعض يتجاوز الاسباب الاحسية فيعاتب الله تعالى
حتى قال بعض المجان لقوله نحن قسمنا بينهم زال المراء لو تولى غيره قسمة
ارزاق الورى ٠ جرت خطوب سبينا الكتا تحوت العراء وذلك لحرصهم على
ارتكاب القبايح وجهلهم بما يقيض الله من المصالح وقول الشاعر
هذا الذي ترك الالباب حايره وصير العالم النحرير زنديقا ٠ فان الذي صير
بذلك زنديقا فبان يسمى الجاهل الشرير اولى بان يسمى العالم النحرير فقد قال
حكيم سوءة لمن اعطى العلم فجزع لفقد الذهب والفضة ولمن اعطى السلامة والدعة
فجزع لفقد الالم والتعب فثمرة العلم السلامة والدعة وثمرة المال الالم والتعب

باب تحقيق كون المال في ايدي الناس

ان الله تعالى لما وجد اعراض الدنيا بلغة فاتخذها الناس عقدة وصيّر الدنيا مرتحلا وممرا فصيروها موطنا ومقرا الا قليلا انزلوها حيث انزلها الله وهم الذين وصفهم الله بقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور تاجروا بها ربحهم كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فاعراض الدنيا من وجه عارية في ايدي الناس مسترده كما قال

وما المال والاهلون الا ودعة ولابد يوما ان ترد الودايع

ومن وجه منيحة منحت الانسان لينتفع مدة بدرّها وينفع به غيره ومن وجه وديعة في يده رخص في استعمالها والانتفاع بها بعد ان لا يسرف فيها لكن الانسان لجهله ونسيانه لما عهد اليه بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اغتر بها فظن ان جعلت له هبة مؤبدة فركن اليها واعتمد عليها ولم يود امانة الله فيها ثم لما طولب برده تضور منه وضجر فلم يفرج عنها الا بنزع روحه او كسر يده وبعضهم وهم الاقلون حفظوا ما عهد اليهم فتناولوها تناول العارية والمنيحة والوديعة فادّوا فيها الامانة وعلموا انها مسترجعة فلما استردت منهم لم يغضبوا ولم يجزعوا وردّوها شاكرين لما نالوه منها ومشكورين لاداء الامانة فيها وقد ذكر بعض الحكما في ذلك مثلا فقال ان مثل الدنيا فيما اعطوا من اعراض الدنيا مثل رجل دعا قوما الى داره فاخذ طبق ذهب عليه نخود

وريا حين فكان اذا دخل احدهم يتلقاه به ويدفعه اليه لا ليتملكه بل ليشمه ويدفعه الى من يجيء بعده فمن كان جاهلا برسومهم ظن انه قد وهب له فيضجر اذا ارتجع منه ومن كان عارفا برسومهم اخذه وردّه بانشراح صدر

باب تفاوت احوال المتناولين لاعراض الدنيا

طلب الدنيا وتناولها على ثلثة اضرب فالاول من يتناولها على اي وجه اتفق راكنا الى المال غير متفكر في المآل واياه قصد تعالى بقوله في ذم من ذمه يحسب ان ماله اخلده والثاني من يتناولها على وجه يجب عليه تناوله وذلك اذا اقتصر على ما لا يمكن التبلغ باقل منه من الوجه الذي يجب كما يجب ولوجوب تناول هذا القدر قيل مباحات الصوفية فريضة وفريضتها مباحة بمعنى انه لا يقدم على تناول مباح حتى يضطر اليه فيصير تناوله عليه فيصير ما كان مباحا تناوله فرضا عليه ويفعل من الواجبات فوق ما يجب عليه مسارعا اليه حتى يصير حكمها حكم النوافل وروي من طلب رزقه على ما سنّ فهو في جهاد وقال عليه السلم لابن مسعود ان المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى اللقمة يضعها في امرأته ولم يعن ان كل احد على كل حال يؤجر في ذلك وانما اراد تخصيص المؤمنين الذين يراعون حكم الله في مكاسبهم وانفاقهم ويتحرون في ذلك عبادة الله والضرب الثالث من يتوسع في تناولها يراعي فيه لكن يكون فيه وكيلا لله فيقتصر منها لنفسه على تناول بلغة ويجعل الباقي مصروفا الى ما دعي اليه فهذا افضل ممن تقدم ذكره فانه يصير بذلك من خلفا الله تعالى فمن تناول الدنيا

على احد هذين الوجهين فقد ارتسم لله عز وجل في قوله تعالى وابتغ فيما
اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك
ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين وبالاعتبار مثلهم قال
تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي
للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال تعالى ولقد كتبنا في
الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون فجعلها لهم ثم قال
ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين اي من تحرى عبادة الله في تناول الدنيا فانه يبلغ
بذلك مقصود المذكور في قوله وان اليا ربك المنتهى وقال لا جناح عليكم
ان تبتغوا فضلا من ربكم والفضل هو الاحسان فنبه بذلك ان تناول
المال اذا تحرى به الوجه الذي يجب كما يجب هو فضل واحسان يستحق به
الثواب وعلى ذلك قوله عز وجل وسلوا الله من فضله وقال في مدح قوم
بتناولون الدنيا كما يجب من حيث ما يجب رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله واقام الصلوة وايتا الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار

ع باب في بيان ما ورد من الآيات المتفاوتة الظاهر في شان الدنيا

من تصور الوجوه الثلثة التي تقدم ذكرها في تناول الدنيا سقطت شبهته
فيما ورد من الاخبار والآيات المتفاوتة في الظاهر من ذم الدنيا واعراضها
تارة ومدحها تارة وذلك ان ما جاء من ذمها فاعتبار المذموم فيها حظ النفس
وجعلها غاية مراده كما قال تعالى ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها
وما جاء من مدحها فباعتبار تناولها وانفاقها على ما يحمد وعلى ذلك قال

فاصية

امير المومنين رضي الله عنه الدنيا دار تجارة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود
منها والناس فيها رجلان بايع نفس فموبقها ومبتاع نفس فمعتقها
وعلى هذين الوجهين يمدح تارة عمارة الارض فقال تعالى واستعمركم فيها
وقال عليه السلام من غرس غرسا لم ياكل منه طاير ولا هيمة الا كان له
صدقة وذم مرة عمارتها فقال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما
عمروها وقال عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها

باب احوال الناس ومراعاة امور الدنيا والاخرة

الناس في ذلك ثلثة اصناف صنف هم المنهمكون في الدنيا بالالتفات منهم
الى العقبى وهم المستمرون على عبد الطاغوت وشر الدواب ونحوهم من الاسماء
وصنف مخالفون لهم غاية المخالفة براعون العقبى من غير التفات منهم الى
مصالح الدنيا وصنف متوسط وقروا الدارين حقهما وهذا الصنف هم
عند الحكماء الافضلون لان بهم قوام اسباب الدنيا والاخرة ومنهم عامة الانبيا
لان الله عز وجل بعثهم لاقامة مصالح العباد والمعاش ولان امورهم مبنية
على الاعتدال الذي هو اشرف الاحوال واجدان تكون ثلثتهم داخلين في
عموم قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون والمراعي للدنيا
والاخرة على ما يحسن وكما يحسن من السابقين وجعل قوم السابقين
هم النساك الذين رفضوا الدنيا بالكلية محتجين فيه بقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون

وخفي على هذا الجاهل ان اعظم عباد الله ما كان عابدا لمصالح عباده وروي
ابن مسعود عن النبي عليه السلام انه قال الخلق كلهم عيال الله واحب الناس
اليه انفعهم لعياله ولانه كما يقبح ان يشتغل الانسان بامر دنياه وبدنه
فيضيع احد جزءيه المركب عليه كذلك يقبح ان يضيع الجزء الاخر
الذي هو بدنه ودنياه لانه يصير مضادا لله تعالى في ابطال ما اوجده
واتقنه فان قيل فقد قال بعض الحكماء الناس ثلثة رجل شغله معاده
عن معاشه وذلك درجة الفايزين ورجل شغله معاشه عن معاده وذلك
درجة الهالكين ورجل هو مشتغل بهما وذلك درجة المخاطرين قال وقد علم
ان الفايز احسن حالا من المخاطر قيل ان المنازل الرفيعة لا تنفك
من مخاطرة ولم يقصد هذا القايل بذلك ايجاب تفضيل الفايز وانما خوف
ان يترشح لخلافة الله تعالى من هو قاصر عنها ويقوي ذلك ما روي ان
بعض اولاد الملوك ممن تقوى في العلم والحكمة اعتزل الملك وزهد في الدنيا
فكتب اليه بعض الملوك قد اعتزلت ما نحن فيه فان علمت ان ما اخترته
افضل فعرفنا لنذر ما نحن فيه ولا تحسبني اقبل منك قولا بلا حجة
فكتب اليه اعلم انا عبيد لملك رحيم بعثنا الى حرب عدو وعرفنا ان
المقصد من ذلك قهره او السلامة منه فلما قربوا من الزحف صار واثلثة
اثلاث متحرز اطلب السلامة منه فاعتزل عنه فاكتسب الملامة وان لم
يكتسب المحمدة ومتهورا اقدم على غير بصيرة فخرجه العدو وقهره فاستجلب
بذلك سخط ربه وشجاعا اقدم على بصيرة فقاتل وابلى واجتهد فهو الفايز

التام الفوز وانا لما وجدت شيئا ضعيفا رضيت بادنى المنزلتين
فكن انت ايها الملك من افضل الطوايف تكن اكرمهم والسلام ع

باب بيان حال من يجوز له الاستكثار من اعراض الدنيا ومن لا يجوز له ذلك

الاعتبار في تناول الدنيا والاستكثار منها او الاستقلال والزهد فيها او الرغبة
ليس بتناول الكثير والقليل بل بتناولها من حيث ما يجب ووضعها كما يجب
قال امير المومنين رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه
الله لسمي زاهدا ولو انه ترك جميع ما في الارض ولم يرد بتركه وجه الله لم يسم
زاهدا ولا كان لله في ذلك عابدا فليكن اخذك ما تاخذه وتركك لما تتركه
لله عز وجل لا لغيره واعلم ان الحكيم اذا تناول اعراض الدنيا جرى مجرى راقي
حاذق يتناول حية قد عرف نفعها وضرها وامن سمها وشرها فيتحرى
بتناولها الوجه الذي ينتفع بها هو وينفع غيره فهو مباح له تناولها وغير
الحكيم اذا تناولها فهو كالجاهل استحسن الحية واستلان مسها فظن
انها مستصلحة لان يتقلد بها فجعلها سخابا في عنقه فلدغته وقتلته
وما احسن ما قال الشاعر في وصفها هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت الجسة لانت

فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية ان يقتدي بالراقي
في تناول الحية والتصرف فيها كذلك لا يجب للجاهل ان يقتدي بالحكيم
في تناول اعراض الدنيا وكما انه محال ان يسلك الاعمى من غير قايد طريقا
وعر ايسلكه البصير اذ هو غير امن ان يقع في هوة كذلك محال ان يسلك
الجاهل مستبدا برايه في تناول اعراض الدنيا طريقا يسلكه الحكيم العاقل

اذ هو خير امن ان يقع في هاوية وايضا فان الدنيا غانية رعنا كما قال
الشاعر شيم الغانيات فلا ادري اذا انث اسمها الناس ام لا
فكما ان الغانية لا يجوز ان يدخل عليها ويخلو بها من الرجال الا
من كان محجوبا او من عليها كذلك الدنيا لا يجوز ان يتمكن منها الا
المقطوع عنها بالعفة والزهد ليلا تغره وذلك كامير المومنين
رضي الله عنه حيث قال يا حمرا احمري وابيضي وغري غيري هذا جناي
وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه ومن تصور ذلك علم ان الله تعالى
قد اباح الدنيا كلها لاوليايه علما منه انهم لا يتناولونها الا على ما يجب
وكما يجب واذا تناولوها وضعوها كما يجب وحيثما يجب وعلى هذا قال
تعالى ان الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة للمتقين وقال تعالى
ان الارض يرثها عبادي الصالحون الى غير ذلك من الايات التي تقدم ذكرها

باب ما ينال ارباب الدنيا من العقوبات الدنيويه

لله تعالى عقوبتان في معاقبه من تناول ما لا يجوز تناوله من الدنيا او تناوله
من الوجه الذي يجوز لكنه لم يوف حقه احدى العقوبتين ظاهره للبصر
والبصيره وذلك كعقوبات من غصب مالا مجاهرة او سرقه خفية وكمن
منع حق الله تعالى من الزكوة فان عقوبات ذلك ظاهرة السلطان
باقامتها والثانيه خفيه على البصر مدركه ببصاير اولي الالباب
كعقوبة من تناول مالا من حيث لا يجوز تناوله او منعه من حيث لا يجوز
منعه لا على وجه فيه حد امر السلطان باقامته فهذا عقوبته

ما روي اتى امرءا وسكن قلبه حب الدنيا بلي بثلاث شغل لا يبلغ مداه وفقر
لا يدرك غناه وامل لا يدرك منتهاه وما قال صلى الله عليه من كانت الدنيا اكبر
همه شتت الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم ينل الله في اي واد من
الدنيا هلك وعلى ذلك قال عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيمه اعمى ليس يعني قلة المعيشه وانما يعني ما يقاسي فيها
من الهموم والغموم التي يتكدر عليه العيش ع

باب ذكر الانفاق المحمود والانفاق المذموم

الانفاق ضربان محمود ومذموم فالممدوح منه ما يكسب صاحبه العدالة
وهو بذل ما اوجبت الشريعة بذله كالصدقة المفروضة والانفاق على
العيال ومنه ما يكسب صاحبه اجرا وهو على من لزمت الشريعة الانفاق
عليه ومنه ما يكسب له الحرية وهو بذل ما ندب الشريعة الى بذله
فهذا يكتسب من الناس شكرا ومن ولي النعمه اجرا والمذموم ضربان
افراط وهو التبذير والاسراف وتفريط وهو التقصير والامساك
وكلاهما يراعى فيه الكمية والكيفية فالتبذير من جهة الكمية ان يعطي
اكثر مما يحتمله حاله ومن حيث الكيفيه فان يضعه في غير موضعه
والاعتبار فيه بالكيفية اكثر منه بالكمية فرب منفق درهما من الوف
هو في انفاقه مسرف وبذله بعينه ظالم كمن اعطى فاجرة درهما او اشترى
خمرا ورب منفق الوفا لا يملك غيرها هو فيه مقتصد وبذله متحمد كما روي

اذا

في شان ابي بكر رضي الله عنه وقد قيل لحكيم متى يكون بذل القليل اسرافا و
الكثير اقتصادا قال كان بذل القليل في باطل وبذل الكثير في حق والتقتير
من جهة الكمية ان ينفق دون ما يحتمله حاله ومن جهة الكيفية ان يمنع
من حيث يجب وينفق حيث لا يجب والتبذير عند الناس اخص لانه جود
لكنه اكثر مما يجب والتقتير بخل والجود على كل حال احمد من البخل
لان رجوع المبذر الى السخا سهل وارتقاء البخيل اليه صعب ولان
المبذر قد ينفع غيره وان اضر بنفسه والمقتر لا ينفع نفسه ولا غيره
على ان التبذير في الحقيقة هو من وجه اقبح اذ لا اسراف الا وبجنبه حق
مضيع ولان التبذير يودي صاحبه الى ان يظلم غيره ولهذا قيل السخي
اعذر من الظالم ولانه جهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس
والجهل راس كل شر والمتلاف ظالم من وجهين احدهما لاخذه من غير موضعه
ووضعه في غير موضعه ولكثرة مذام الاسراف ذمه الله تعالى باعظم مما
ذم به البخل فقال ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
وكان الشيطان لربه كفورا وقال عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا اي تقعد ملوما من جهة
ما سالك فلم تجد ما تعطيه وحسيرا عن بلوغ مرادك وبهذا الم المتنبي حيث

قال فلا تبخلن في المجد ما لك كله فيبخل مجد كان بالمال عقده ٤ تبخلن

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وليس الاسراف متعلقا بالمال فقط بل بكل شئ وضع في غير موضعه

اللايق به الا ترى ان الله تعالى وصف قوم لوط بالاسراف لوضعهم البذر
في غير المحرث فقال انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون
ووصف فرعون بقوله انه كان عاليا من المسرفين وقوله ان فرعون لعال في الارض وانه
لمن المسرفين

باب حقيقة السخا والبخل والجود والشح

السخا هيئة للانسان داعية الى بذل المقتنيات حصل معه البذل او لم يحصل
وذلك خلق ويقابله الشح والجود بذل المقتنى ويقابله البخل هذا هو الاصل
وان كان كل واحد منهما قد يستعمل في موضع الاخر ويدلك على صحة هذا الفرق
انهم جعلوا الفاعل من السخا والشح على بنا الافعال الغريزية فقالوا
شحيح وسخي وجواد وباخل واما قولهم بخيل فمصروف عن لفظ الفاعل
للمبالغة كقولهم راحم ورحيم ولكون السخا غريزة لم يوصف الباري سبحنه
به وقد عظم امر الشح وخوف منه ولهذا قال عليه السلام ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فخص المطاع ليتنبه ان وجود
الشح في النفس ليس مما يستحق به ذم اذ هو ليس من فعله وانما يذم
بالانقياد له فقال ومن يوق شح نفسه وقال واحضرت الانفس الشح
وقال عليه السلام لا يجتمع شح وايمان في قلب عبد ابدا

باب فضيلة الجود وذم البخل

الجود على السنة الورى محمود ولذلك قيل كني بالجود احمد ان اسمه مطلقا
لا يقع الا في ذم وكني بالبخل ذما ان اسمه مطلقا لا يقع الا في ذم
وقيل الحكيم اي فعل البشر اشبه بفعل الباري تعالى فقال الجود وقال عليه

الجود شجرة من اشجار الجنة فمن اخذ بغصن من اغصانها اداه الى الجنة
والبخل شجرة من اشجار النار فمن اخذ بغصن من اغصانها اداه الى النار
ومن شرفه ان الله عز وجل قرن ذكره بالايمان ووصف اهله بالفلاح
والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين فقال الذين هم في صلوتهم خاشعون
الصلوة الى قوله هم المفلحون وحق للجود ان يقرن بالايمان فلا شيء اخص به
واشد مجانسة له منه فمن صفة المؤمن انشراح الصدر كما قال عز وجل
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ومما من صفات الجواد والبخيل لين الجواد
يوصف بسعة الصدر للانفاق والبخيل بضيق الصدر للامساك وقال
صلى الله عليه اي داء ادوى من البخل ولان البخيل ثلثه اضر بخل الانسان
بماله وبخله بمال غيره على غيره وبخله بنفسه على نفسه بمال غيره وهو
اقبح الثلاثة والباخل بما في يده باخل بمال الله على نفسه فقد تقدم ان
المال عارية في يدي الانسان مستردة ولا احد اجهل ممن لا ينقذ نفسه
من العذاب الاليم بمال غيره سيما اذا لم تخف من صاحبه تبعة ولا ملامة
والكفاية الالهية متكفلة باعواض المنفق فقد قال عليه السلام
اللهم اجعل المنفق خلفا والممسك تلفا وقال ان الله عز وجل ينزل المعونة
بقدر المؤنة وروي من وسع وسع عليه

باب انواع الجود والمجود به

الجود خمسة اضرب سجود الاله تعالى وهو البذل لكل احد على قدر استحقاقه

وجود الملوك وهو بسط المال على العفاة غنيهم وفقيرهم وجود السوقة
وهم الذين دون الملوك وهو بذل المال للسؤال وجود الصعاليك وهو البذل
للندامى والمعاشرين والشرب وجود عوام الناس وهو الاحسان في الاقارب
والمحمود من ذلك كله جود الاهي وهو بذل الموجود بقدر الطاقة
لكل محتاج بقدر استحقاق من غير امتنان ولا تاذ به فالمعطي المحتاج
اليه لمن لا يحتاج اليه مسرف مضيع والمعطي غيره شيأ لرهبة واق
نفسه والمعطي لرغبة له في مثوبة منه او لمحمدة دنيوية فتاجر
وقول الشاعر فتى يشتري حسن الثنا بماله ويعلم ان الدراهم تنفد
فليس بغاية في الوصف بالجود التام بل وصف بتجارة محمودة واحسن منه
قول ابن الدمينة وتاجر البر لا يزال له ربح في كل متجر تجره
اجر وحمد وانما طلب الاجر ولكن كلاما اعتوره وقد اجاد
الشاعر ليس يعطيك للرجاء والخوف ولكن يلذ طعم العطاء

السابع

الفصل السابع في ذكر بلغ الافعال

باب الافعال

الافعال ضربان الهي وانساني فالالهي اربعة اضرب ابداع وتكوين وتربيه
واحاله وجميع ذلك يسمى خلقا من حيث كان وجود كل شيء بمقدار والخلق في
الاصل التقدير المستقيم فالاول الابداع وهو ايجاد الشيء دفعة لا عن موجود

ولا بترتيب ولا عن نقص اي كمال وليس ذلك الا للبارئ عز وجل
وان كانت العرب تستعمل الابداع فيمن يحفر بئرا او في مكان لم يحفر فيه
قبل وفيمن نسج شعرا او ورد كلاما لم ينسج على منواله قبل والثاني
التكوين وهو ايجاد الشئ عن عدم بترتيب ومن نقص الى كمال و
المتكلمون قد يستعملون التكوين موضع الابداع ولما هنوا عن حقيقة
التكوين استشعروا قول من قال السما ليست بكونه وقدروا انه يقول
ليست بمبدعة ولا مخلوقه وانما اراد هذا القايل فيما ذكر اصحابه
ودل عليه كلامه ان الله تعالى ابدعها ابداعا كما قال بديع السموات
والارض ولم يخلقها خلقة ناقصة في ابتدائنشيه ثم كملها شيا فشيا
كالحيوان والانسان والنبات والثالث رتب الشئ وهو تغذيته وذلك
استخلاف ما تحلل من ابدان ما وجد من كون ليبقى المدة المضروبة له
وبه قيل له تعالى رب العالمين والرابع احاله الشئ وهو التغاير
الذي يحقق للكاينات في كيفياتها من لون وطعم ورايحة والفعل الانساني
ثلثة اضرب نفساني فقط وهو الافكار والعلوم وما ينسب الى الافعال
القلوب وبدني وهو الحركات التي يفعلها الانسان في بدنه كالمشي
والقيام والقعود وصناعي وهو ما يفعله الانسان بمشاركة البدن
والنفس كالحرف والصناعات ع

باب الفرق بين الفعل والعمل والصنع

الفعل لفظ عام يقال لما كان بارادة او غير ارادة ولما كان بعلم او غير

علم وقصد او غير قصد ولما كان من الانسان والحيوان والجمادات واما
العمل فانه لا يقال الا لما كان من الحيوان دون ما كان من الجمادات ولما كان
بقصد وعلم دون ما لم يكن عن علم وقصد قال بعض الادبا العمل مقلوب
عن العلم فان العلم فعل القلب والعمل فعل الجارحة وهو يبرز عن فعل
القلب الذي هو العلم وينقلب عنه واما الصنع فانه يكون من الانسان
دون سايرالحيوان ولا يقال الا لما كان باجادة ولهذا يقال للحاذق المجيد
والحاذقة المجيدة صَنَعٌ وصُنَاع والصنع قد يكون بلا فكر لشرف
صاحبه والفعل قد يكون بلا فكر لنقص فاعله فالصنع اخص المعاني
الثلثة والفعل اعمها والعمل اوسطها فكل صنع عمل وليس كل
عمل صنعا وكل عمل فعل وليس كل فعل عملا وفارسية هذه الالفاظ
تنبي عن الفرق بينهم فانه قيل للفعل كار وللعمل كردار وللصنع كشتهء

باب انواع الصناعات

الصناعات ضربان علمي وعملي فالعلمي ما يستغني فيه عن الاستعانة
بالجوارح من اليد والرجل كالمعارف الالهية والحساب والعملي
ما يحتاج اليه فيه الى الاستعانه بالجوارح وذلك ضربان الاول
شئ يقتضي باقتضاء حركة الصانع كالرقص والزمر والمحاكاة والثاني يبقى
له اثر وذلك ضربان ضرب يبقى له اثر معقول لا محسوس كالطب والبيطرة
وضرب يبقى له اثر محسوس كالبنا والكتابة ع ع ع

باب الافعال الارادية وغير الارادية

الافعال التي تظهر من غير الله تعالى اما تسخيري واما غير تسخيري
فالتسخيري هو الذي يظهر ممن يظهر لا بقصد وارادة منه وقد يكون
ذلك من الجماد والحيوان وذلك نوعان نوع بتسخير الله تعالى كاحراق
النار الحديد وتبريد الثلج الماء وضرب بتسخير بشر كطحن الرحى ودوران
الدولاب واما غير التسخيري فضربان ضرب يكون من فاعله مبدأه
الارادة فالذي منه مبدأ الارادة ثلثة الاول بحسب التمييز كمن تناول
الخير دون الشر موثرا له والثاني بحسب الغضب كمن بطش لمن يغضب عليه
والثالث بحسب الشهوة كمن تناول ما اشتهاه لشهوته والذي لا يكون منه
مبدأ الارادة ضربان ضرب لا يكون منه مبدأ الارادة ولا منتهاها كمن رمى
غرضا فاصاب رجلا وضرب يكون منه مبدأ الارادة ولكن لا يكون منه منتهاه
كمن حمل في سفينة فخاف الغرق فكلف ان يلقي متاعه في الماء فتخلص
والافعال من الجمادات تقع بالتسخير فقط ومن النبات تقع بالتسخير وبالنزاع
الذي تقتضيه القوة الشهوية ومن الحيوانات تقع بهما وبالغلبة
بالغلبة التي تقتضيها القوة الغضبية ومن الانسان يكون بكل ذلك
وبالفكرة التي تقتضيها القوة العاقلة ع ع ع

باب ما يستحق به اللوم من الافعال وما لا يستحق به

الافعال ضربان ارادي وغير ارادي فالارادي ضربان ضرب عن رويه و
لا عن رويه فالذي عن رويه ضربان احدهما الذي عن رويه يظن في غاية
الشرف وهو ما يكون بحسب النفس الناطقه ويسمى الاختيار وهو طلب

ما هو خير ويستحق ابدا به الحمد اذا كان على الحقيقة اختيارا والثاني
عن رويه فيما ليس هو في غاية الشرف وذلك اما بحسب القوة الغضبية
وهو دفع ما يضره واما بحسب القوة الشهوية وكل واحد منهما اذا كان
بقدر ما يوجبه العقل يستحق به الحمد واذا كان زايدا او ناقصا عما يوجبه
يستحق به الذم والارادي الذي عن غير رويه واختيار ضربان احدهما
ما يفعله في نفسه والثاني ما يفعله بغيره وكل واحد منهما ضربان نفع
وضر فما قصد به نفع نفسه فقد يستحق به الحمد والشكر معا وما قصد
به ضر نفسه فقد يستحق به الذم والعتب عليه وغير الارادي ثلثة
اضرب الاول ان يكون قسريا وهو ما يكون مبدأه من خارج ولا يكون من اراد به
معونة بوجه كمن رفعته ريح فسقط على انية فكسرها فلا ملامة فيه
بوجه والثاني ان يكون الجائيا كمن اكرهه سلطان على ان يفعل فعلا ما
وهذا متى كان الملجأ اليه قبيحا جدا والسبب الملجئ اليه خفيفا يستحق
مرتكبه الذم كمن يضرب بان يقتل انسانا ومتى كان الملجأ اليه ليس بجد
قبيح والسبب الملجئ اليه عظيما لا يستحق مرتكبه الذم كمن يوضع على
حلقه السيف فيهدد بان يقتل ان لم يتكلم بكلام قبيح وكلاهما يقال لهما
الاكراه والثالث الخطا وهو ما يكون مبدأه من صاحبه وذلك
نوعان احدهما ما تولد عن فعل وقع منه وله ان يفعله كمن يرمي هدفا
فاصاب انسانا وذلك يستحق ملامة به ما لم يقع من صاحبه تقصير في
الاحتراز والثاني ما يتولد عن فعل ليس له ان يفعله كمن شرب فسكر

فحمله مذكره على از كسرانا وضرب انسانا فان ذلك يستحق الملامة
وان لم يرد كسر الاناء وضرب الانسان فقد ارتكب محظورا ادى به الى
وقوع ذلك منه فالضرب الاول يقال له اخطا فهو مخطئ والثانى
يقال له خطأ فهو خاطئ ولهذا قال اهل اللغة خطأ ماكان على سبيل
العمد واخطأ ماكان على سبيل السهو

باب الاسباب التى يمكن نسبة الفعل اليها

اكثر الاسباب التى يحتاج اليها الفعل فى وجوده عشرة اشياء فانه يحتاج
فى حصوله الى فاعل يصدر عنه الفعل كالنجار والى عنصر يعمل فيه
كالخشب والى عمل كالنجر والى زمان والى مكان يعمل فيهما والى آلة يعمل بها
كالمنجر والمنحت والى غرض قريب كاتخاذ النجار الباب والى غرض بعيد
كتحصين البيت به والى مرشد يرشده وكل ذلك قد ينسب اليه الفعل
فيقول اعطانى زيد اذا باشر الاعطاء واعطانى الله لما كان هو المبتر و
ربما جمع بين السبب القريب والبعيد فيقول اعطانى الله وزيد قال
حبانا بمجيئنا والاله وضرب لنا خادم صايب فنسب الى السبب
الاول وهو الله عز وجل والى السبب المتاخر وهو الضرب والى
المتوسط وهو الجد وقال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
وقال تعالى قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون فاسند
الفعل الى الامر به والثانى الى المباشر له وقال الشاعر فى صفة الدمع
والسنبه الهالكى وقال كساهم محرق فنسب الفعل الى عاملها وفى

الثانى الى مستعملها وقال فى صفة النبال كسنتها ريشها مضرحية
فنسب كسوتها الى الطائر الذى تتخذ ريشه فجعل ريشها لها وقيل
يداك اوكتا وفوك نفخ فنسب الفعل الى الآلة المتصلة وقال سيف قاطع
فنسب الفعل الى الآلة المنفصلة وقيل ضرب فيصل وفاصل وطعن جايف
فنسب الى الحدث وقيل سر كاتم وعيشه راضية فنسب الى المفعول
وقال حرما امنا فنسب الى المكان وقيل يوم صايم وليل ساهر قال ونمت
وما ليل المطى بنايم فنسبه الى الزمان فلما كان افعالنا على ذلك صح فى
الفعل الواحد ان يثبت لاصلا لاسباب مرة وينفى عنه مرة بنظرين مختلفين
وعلى ذلك قول الشاعر

اعطيت من لم تعطه ولو انقضى حسن الثقاء حرمت من لم تحرم

فاثبت له الفعل ونفاه عنه معا بنظرين مختلفين ويقال هذا الخشب قطعته
انا بالسكين ويقال قطعه السكين ولم اقطعه ويقال فلان هداه الله
وهداه الرسول وهداه القرآن وهداه فهمه فنسب الى كل ذلك
فقال واضله الله لما كان تعالى هو السبب الاول فى وجوده ووجود سببه
المضل ووجود الآلة وان لم يكن هو تعالى الداعى الى الضلال واضله
نفسه لما كانت هى التى تركت الاحتراز وهذا افصل من تصوره لم
يعتمد فى تثبيت المعانى على مثلها من الالفاظ فينظر من اللفظ الى
المعنى بل ينظر فى مثل هذا من المعنى الى اللفظ واعلم ان من اجل هذا
الذى قدمنا قال قوم من المحصلين لا شئ من الافعال فاعله فاعل واحد

وقال اضله الشيطان لما كان هو الداعى الى الضلال

على الحقيقة الا الله تعالى فان فعله تعالى يستغني عن الزمان والمكان
والالة والمادة وعن مثال يحتذيه ومن عداه تعالى من الفاعلين لابد
له من كل ذلك او من بعضه ولهذا لا يصح ان ينسب الابداع الى
غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازا ويصح ان ينسب فعل غير الله الى
كل ما تقدم ذكره م ❧ قال الشيخ ابو القسم الراغب هذا اخر
ما قصدت تبيينه من هذا المعنى واختم القول بحمد الله والثناء عليه
والتفزع اليه في ان ينفعني واخواني بما تحريته وان يجعلني ممن تذكر
فتذكر وتبصر فبصر واتعظ فوعظ وتيقظ فايقظ فاعظم
الهجنة ان يأمر من لا يأتمر وينزجر من لا ينزجر وان يدعى الحكمة من اذا
تلقنه المحاسن لا يحتويه واذا تلقنته المساوى لا تجتويه بركت
الغفلة في عيون اخوانه فينكرها ويترك الجذع المعترض في اجفانه
ولا يغيرها ينصح غيره ويغش نفسه كمن كسا الناس من عرى وعورته
للناس باديه ما ان يواريها وكالمسن يسن الحديد ولا يقطع وكالصخر
الصلد الذي كم مر به الماء فلا الناقع فلا ينتفع به وقد قال عليه السلام
ان الله ينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم وترغب اليه تعالى ان يجعلنا
برحمته ممن ائتمر للنبي عليه السلم حيث قال بادر خمسا قبل
خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك
وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك فما اعظم في القيمة الحسرة
والندامة ان لم يتغمدني الله برحمته التي وسعت كل شيء فسهل

يارب المجاز وبيسر لي الجواز فقد حان حصادي ولم يصلح فسادي
وصل على خاتم النبيين محمد واله اجمعين واجعله لي
من الشافعين م

تمت الذريعة الى مكارم الشريعة
بحمد الله وحسن توفيقه

مر مسموعات سيدنا الاول والمسمى المكرم السيد فردي
عمر الله قبره وبرد مضجعه مسندا الى حامله الولد رضي قال
حا رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم لك عما يغنيني في الدنيا والاخرة
فقال له سل عما بدا لك قال يا نبي الله احب لي الكوى اعلم الناس
قال اتق الله تكن اعلم الناس فقال احب لي الكوى اغنى الناس
قال كن قانعا تكن اغنى الناس فقال احب لي الكوى خير الناس
قال خير الناس من ينفع الناس فكن نافعا لهم فقال احب لي الكوى
اعدل الناس قال احب للناس ما تحب لنفسك تكن اعدل
الناس فقال احب لي الكوى اخص الناس الى الله تعالى قال
اكثر ذكر الله تكن اخص العباد الى الله تعالى فقال احب لي الكوى
من المحسنين قال اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك فقال احب لي الكوى اما في قال احسن خلقك

فقال احب لزاكون من المطيعين فقال ذفر انف الله مطيعا
كن من المطيعين فقال احب لزاكون تقيا من الذنوب
قال اغتسل من الجنابة متطهرا تلقى الله عز وجل يوم القيامة
وما عليك ذنب فقال احب لزاحشر يوم القيامة فى النور قال
لا تظلم احدا تحشر فى النور يوم القيامة فقال احب لزاكون
اكرم الناس قال اتقوا الله من الخلق تكن اكرم الناس فقال
احب لزاكون اقوى الناس قال توكل على الله تكن اقوى الناس
فقال احب لزاكون اوسع على فى الرزق قال تدم على الطهارة يوسع
عليك فى الرزق فقال احب لزاكون امنا من سخط الله تعالى
قال لا تغضب على احد تامن غضب الله وسخطه فقال
احب لزاكون رحيما بى قال ارحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك
ربك فقال احب لزاكون ذنوبى فقال استغفر الله دائما يغفر
ذنوبك فقال احب لزاكون ايما احب الله ورسوله قال ابغض ما ابغض
الله ورسوله فقال احب لزاستجاب دعوتى فقال اجتنب
المحارم تستجب دعوتك فقال احب لزالا يفضحنى على رؤس
الاشهاد قال احفظ حدودك لا تفتضح على رؤس الاشهاد
فقال احب لزاستر الله على عيوبى فقال استر ذنوب اخوانك
يستر الله على عيوبك فقال ما الذى يمحو عنى الخطايا قال
الدموع والخضوع والتذلل فقال اى حسنة افضل عند الله قال
حسن الخلق التواضع والصبر على البلية والرضا بالقضاء فقال

Süleymaniye [illegible]phanesi
Kısmı Ergat 4.
Yeni Kayıt No
Eski [illegible] 1410